الحدود الإسلامية البيزنطية
بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري

الكتاب الثاني
في التاريخ الحربي

تأليف
فتحي عثمان

الناشر
دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
القاهرة

الفصل الرابع

المعارك فى أراضى الحدود

• الحملات البرية : حملات الحدود ، محاولات فتح القسطنطينية فى العهد الاموى .

سياسة العباسيين ووجهتها المشرقية

دبيب الوهن

• الحملات البحرية

• الفتن الداخلية ومعاركها فى اراضى الثغور والعواصم الاسلامية

« لكم جرت الدماء فوق كل قدم من أرض الثغور طوال أيام الأمويين والعباسيين .. ان الدماء قل ان خضبت أرضا فى آسيا كما خضبت هذه الأرض ! .. بل وربما لم تسل الدماء على حدود الرين وسهول لمباردى بهذا القدر !! » .

عبارة تداولتها أقلام مؤرخين متعددين شرقيين ومستشرقين .. لقد كانت تلك المعاقل الهامة التى تسيطر استراتيجيا على تقاطع الطرق الحربية أو مداخل الممرات الضيقة الجبلية تتداولها الأيدى مرارا وتكرارا تبعـــا لانتصار فريق أو اندحاره .. ففي عهد الخلفاء الامويين الاقوياء توغل العرب داخل كيلكيا وكبادوكيا ، ولكن الدولة البيزنطية فى عهد يزيد الثـانى وخلفائه الضعاف استردت المدن التى كان قد احتلهـــا المسلمون . ثم اكتسبت الدولة الاسلامية بقيام العباسيين حيوية جديدة فلم تلبث أن استردت هذه الثغور وحصنتها فكانت قواعد انطلاق للجيوش الجرارة فى الغزوات السنوية من صوائف وشواتى ، وكانت هذه الجيوش تدخل فى معارك شديدة أحيانا ، وأحيانا كثيرة لا يتعدى نشاطها حدود المناورات (١)

ولم يكن هذا الصراع جديدا على المنطقة .. لقد تغير أحد طرفيه فقط فغدا صراعا بين المســلمين والبيزنطيين بينمـــا كان من قبل صراعا بين الساسانيين والبيزنطيين . وفى عهد الامبراطور جستنيان (٥٢٧:٥٦٥م) وكسرى الاول انو شروان (٥٤١ : ٥٧٩م) قاد كسرى جيشه بنفسه سنة ٥٤٠م نحو قلاع بلاد الجزيرة وانقض على سوريا الشمالية « وكان هدفه

(١) Encyc. de l'Islam. Art. Awasim, Hitti: Hist. of Syria. p. 443
الترجمة العربية جـ ٢ ترجمة د. اليازجى ص ٤٤ ــ ٥ ، حتى : تاريخ العرب ترجمة نافع حـ ١ ص ٢٥٠ ، سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامى ــ ترجمة رياض رأفت ص ٢٧٠

الأساسى أن يوجه ضربة الى انطاكية عاصمة الشرق الغنية التى لم تر عدوا منذ ثلاثة قرون تقريبا .. فسقطت المدينة وأنزل كسرى على الفرات آلاف الأسرى كما فعل نبوخذ نصر من قبل باليهود فى مدينة اسماها أنطاكية الكسروية Chosro Antiocheia ، وتابع كسرى هجومه على الحدود الرومانية فى كلكيز Cholcis فى أقصى الشمال ، ولكنه رجع أدراجه عندما وصلته الأنباء بأن بلزاريوس Belisarius غزا بلاد أشور وأخذ يحاصر نصيبين . ونجح بلزاريوس فى الدفاع عن خط الفرات ، وارتد الغزاة بعد أن استولوا على قلعة واحدة من بلاد الجزيرة .. واستمرت المنازعات بين الساسانيين والبيزنطيين مالا يقل عن عشرين سنة من عهود جستين الثانى (٥٦٥ : ٥٨٧ م) وتيبريوس (٥٧٨ : ٥٨٢ م) وموريس (٥٨٢ : ٦٠٢م) – اذ أعلنت الحرب سنة ٥٧٢م ولم تقف حتى سنة ٥٩٢ م . وكانت حربا غير حاسمة ، وأصبحت من جرائها ولايات الحدود فى كلا الامبراطوريتين فى حالة مخيفة من الخراب ، ووصل الفرس أبواب أنطاكية كما توغل الروم فى ميديا . واضطر كسرى الثانى (٥٩٠ : ٦٢٨ م) أن يتنازل لموريس عن مدينتى دار ومارتيروبوليس من مدن الحدود وقطعة من الاراضى الارمينية . وفى سنتين متواليتين من عهد فوكاس (٦٠٢: ٦١٠م) اندفع الفرس الى سوريا الشمالية وخربوها حتى ساحل البحر ، وفى السنة الثالثة اتجهوا شمالا واكتسحوا ولايات آسيا الصغرى التى لم تكن قد مست حتى الآن بسوء ، وفى سنة ٦٠٨م توغل جيشهم عبر كبادوكيا وجالاتيا حتى وصل الى أبواب خلقيدونية . وبذل هرقل(٦١٠: ٦٤١م) جهوده لانقاذ الامبراطورية فى حملات متتابعة (٦٢٢ : ٧م) حتى انسحب الفرس من آسيا الصغرى وسوريا ، واسترد بلاد الجزيرة الرومانية بما فيها قلاع أميدا (آمد) ودارا امارتيروبوليس . وحاصر الفرس القسطنطينية سنة ٦٢٦م متعاونين مع الآفار والسلاف الذين حاصروها من الجانب الأوربى ولكن الاسطول الرومانى حال دون توحيد قواتهم وثبتت القسطنطينية واستدعى هرقل حلفاء تتار من الشمال وهاجم الفرس فى عقر دارهم » . (٢)

ولم يكد البيزنطيون يفيقون من ضغط الهجمات الفارسية حتى واجهوا مخاطر الحملات العربية التى « كانت أبرز ظهورا وغيرت تماما مجرى التاريخ » . (٣)

---

(٢) اومان : الامبراطورية البيزنطية ترجمة دكتور بدر ص ٧٧ : ٩ ، ٩٤ ، ١٠١ ، ١٠٥ : ٧ .

(٣) Byzantium p. 11.

وقد بلغت المسلمين فى أول أمرهم أنباء صراع الفرس والروم ، فانحازوا بعاطفتهم الى الروم المسيحيين ضد الفرس الوثنيين حتى راهن أبو بكر الصديق أن الغلبة آخر الامر ستكون للروم ، ونزل القرآن يقول « غلبت الروم في أدني الارض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين » .

وانتصر الروم على الفرس فعلا « ويعتبر عصر هرقل أفضل نقطة انفصال في تاريخ الامبراطورية بين ما يمكن أن يطلق عليه بصفة عامة التاريخ القديم وبين تاريخ العصور الوسطى » . (٤) .

ولكن المسلمين مالبثوا أن جاءوا هم يدقون أبواب الامبراطورية البيزنطية التى كانوا يتوقون الى انتصارها منذ سنوات على الفرس الكفار .. وكان ذلك فى عهد الخليفة الذى راهن على انتصار الروم من قبل . فجاء الفتح الإسلامى خطا رئيسيا فى مجرى التاريخ « وكانت الحادثتان الرئيسيتان فى أواخر العصور القديمة : هما الهجرات التيوتونية التى أسفرت عن تمزيق الامبراطورية الرومانية الوقورة ، والفتوحات العربية التى حطمت الامبراطورية الفارسية وهزت القوة البيزنطية الى أساسها ، ووصلت أقصاها فى احتلال أسبانيا ـ فاعتبرت بداءة العصور الوسطى .. وكانت الحملات الحربية التى قادها خالد بن الوليد وعمرو بن العاص الى العراق وفارس والشام ومصر من بين أروع الحملات التى تمت فى تاريخ الحروب والتى تجمل مقارنتها بحروب نابليون أو هانيبال أو الاسكندر » . (٥)

وقد كانت هذه الفتوح حدثا مؤثرا فى تاريخ الدولة البيزنطية نفسه « ففى خلال القرن السابع برزت الى الوجود امبراطورية جديدة ، وثبتت على موقفها حين سار ليو الثالث من آسيا ليؤسس أسرة حاكمة . لقد كانت الامبراطورية الجديدة جواب الشرق المسيحى على تهديد خلفاء رسول الاسلام ، وكان ينبغى للدولة كما نظمت وقتذاك أن تكون قوقعة صلبه لمقاومة الهجوم الاسلامى . وهنا لا نجد استمرارا للامبراطورية الرومانية القديمة ، بل نجد فقط معاودة لتأكيد السلطان الامبراطورى المطلق والمركزية الادارية لمواجهة ظروف متغيرة » . (٦)

لقد فتحت الشام فتتابعت على أثرها فتوحات الجزيرة وارمينية من

---

(٤) اومان : الامبراطورية البيزنطية ترجمة دكتور بدر ص ١١٠ .

(٥) حتى : تاريخ العرب . ترجمة نافع جـ ١ ص ١٧٤ .

(٦) Byzantium. pp. VX—XVI

جهة، وفتوحات مصر والمغرب وجزر البحر المتوسط من جهة أخرى • ذلك أن تأمين فتح الشام قد استدعى السيطرة على تخومها من الشمال والشمال الشرقي ، ومن الجنوب والجنوب الغربي • وكان موقع مصر الاستراتيجي هاما بالنسبة للشام والحجاز ، فهي الجناح الأيسر لهما ولها ساحلان طويلان على البحر المتوسط والأحمر ، كما كانت عاصمتها مقرا للأسطول البيزنطي واليها انسحب الأرطبون Areteon بعد سقوط الشام ، ومنها خرجت حملة هرقل البحرية التي هاجمت شمالي الشام واستولت على انطاكية ، فكان لا بد من السيطرة عليها لاضعاف بيزنطة وتأمين الشام ثم ان مصر هي بوابة افريقية ومورد القمح الغني للامبراطورية • وقد ذكر ابن الحكم أن عمرو بن العاص كتب الى عمر يقول : « ان فتحها كان قوة للمسلمين وعونا لهم ، وهي أكثر الارض أموالا » وهكذا كان ضمان السلامة هو الذي أدى بالعرب الى مد فتوحهم من أجل تحقيق حماية أفضل ، وفي ظل هذه القاعدة يبحث عن أسباب الفتوح بوجه عام عدا فتوح المشرق ، ومن هنا استدعى الموقف أن تؤمن الشام بفتح الجزيرة ومصر ، وقد نوقشت هذه السياسة وتقررت في مؤتمر الجابية حين اجتمع عمر بن الخطاب بقواده • كذلك جاء فتح الجزيرة والعراق لأهميتها الاستراتيجية بالنسبة لضمان السلامة من جهة ثم لسهولة هذا الفتح للقوات المستقرة بالشام ، وأخيرا للوصول الى مصبات دجلة والفرات • فبعد فتح الشام لم يعد الفرات حدا خطيرا ، وهو يكون طريقا هاما عرف الفرس قيمته • وفي الشرق والجنوب من السهل السوري الطويل الممتد بين اللكام (أمانوس) والفرات لاتعترض أية عقبة جغرافية مدخل وادي النهرين • وقد كان هذا السهل مع اقليم أنطاكية ميدانا ملائما للحشود العسكرية بحكم اتصالها بمناطق غنية • وقد كان نظام الدفاع البيزنطي عن طريق اقامة سلسلة من المعاقل المنعزلة أو المتصلة ، يحتاج الى أن يعزز بقوات متحركة حسنة التدريب • وهذا ما لم يكن متوافرا في بعض الاوقات • وان كان الاقليم ـ كما يؤكد شابو ـ Chapot متجاوبا مع بيزنطة رغم نزعات اليهود وأهل حران Carrheens (٧) •

ولم يتوقف الخطر العربي وكان على الامبراطورية البيزنطية أن تحشد كل امكانياتها وجهودها للاحتفاظ بجبال طوروس حدا أقصى للتوسع العربي في الشمال ، فقد واصل العرب اجتياز السلسلة الجبلية الى آسيا

(٧) حتي : تاريخ العرب ح ١ ص ١٩٦ ، العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ص ٤٤ ـ ٧ ، أسد رستم : الروم ح ١ ص ٢٤٨ ـ ٩ ،
Cheira : La Lutte entre Arabes et Byzantins pp. 47-8, 50—1

الصغرى • وشيدوا لهم أسطولا ، وفى سنة ٦٧٢م وطدوا مركزهم فى بحر مرمرة وفى سنة ٦٧٧م أغاروا على أسوار القسطنطينية ، وفى بداية القرن التالى نظموا حركة ضخمة لتوجيه الضربة القاضية للامبراطورية باحتلال العاصمة • وفى خلال ذلك الوقت نفسه كانوا يتوسعون صوب الغرب فشرعوا يهاجمون افريقية سنة ٦٧٠م وسقطت فى أيديهم قرطاجة سنة ٦٩٧م ، ومنها تحركوا صوب الأندلس • ومن الموانى البحرية فى مصر والشام تقدمت أساطيل العرب لتستولى على قبرص ورودس ، ومنهـــا هاجمت جزر بحر ايجة والبحر المتوسط ، وتعرضت آسيا الصغرى آخر ممتلكات البيزنطيين غير الأوربية الى منازعات عنيفة طيلة قرن ، واستسلمت فى النهاية أرمينية وأقاليم القوقاز ، ومع ذلك نجح البيزنطيـــون فى فى الاحتفاظ فى الجنوب بممرات جبال طوروس التى تعتبر الباب الرئيسى الى شبه الجزيرة (٨) • « وانتزعت من الامبراطورية أقاليمها الكبرى فى المساحة والسكان والثروة ، ونزع منها كل طابع عالمى ، وهبطت الى مجموعة من الأقاليم المتفرقة فى آسيا الصغرى وجنوبى شبه جزيرة البلقان وايطاليا وصقلية ، على أن العرب بدورهم لم يكفوا عن أن يؤملوا فى انتزاع البقية الباقية منها • وقد حملوا مرتين فى خلال نصف قرن على العـــاصمة القسطنطينية سنة ٦٧٣ م ، ٧١٦ م ولم ينقذها من المصير المحتوم سوى تفوق الفن الرومى technique grecque وخاصة استعمال النار الاغريقية feu grégois » (٩) • كما واجهت القسطنطينية وقتذاك اخطار اللمبارد والسلاف والبلغار بجانب العرب ، وكمـا يقـول بريـيه L. Brehier ان هذه الفترة تميز بالنسبة للقسطنطينية بداية دور تاريخي من الدفاع الدائم استمر حتى القرن الخامس عشر الميــــلادى وتعاقب فيه التقدم والتقهقر • (١٠)

وكانت سلسلة جبال طوروس وطوروس المضـــادة أو الداخلية Anti-Taurus تبـدو وكأن الطبيعـة قد أقامتهـا حدودا طبيعية « حتى كأن اللغة العربية كانت تتجمد على منحدرات تلك الجبال الجنوبية » • على حد تعبير فيليب حتى !! على أن المسلمين وقد نجحوا فى فتوحهم بالشام والجزيرة وأرمينية قد ثبتوا حدودهم فى مواجهة بيزنطة وكان عليهم أن

(٨) Runciman : Byz. Civ. p. 35, Byzantium. pp. 11 - 12.

(٩) Gaudefroy-Demembynes, Platonov: Le Monde Musulm. et Byz. pp.453-4

(١٠) Vasiliev. Hist. de L'Emp. Byz. Vol. I. p. 283.

يضطلعوا بوضع نظام دفاعي يتمشى مع امتداد هذه الفتوح • وكانت الخطة الأولى التى انتهجتها الدولتان المتعاديتان على جانبى هذه السلسلة الجبلية هى احتجاز احداهما عن الاخرى بتحويل المنطقة الفاصلة بينهما الى أرض قفراء • وعمل المسلمون من جانبهم أول الأمر على اقامة هذه المنطقة الحاجزة بين الدولتين التى لايملكها أحد no man's land ، لكنهم ما لبثـــوا بعد ذلك أن تابعوا خطة أخرى ترمى الى تأسيس قواعد عسكرية فى تلك المنطقة باعادة بناء المدن المهجورة أو المخربة وبناء مدن جديدة وتحصينها جميعا • وهكذا نما خط التحصينات الاسلامية فى الثغور من طرسوس فى قيليقية (كيليكيا) الى ملطية عند الفرات الأعلى التى تتحكم فى الممرات الجبلية ، وشحنت هذه الثغور والعواصم التى تليهـــا بالمقاتلة ، وكانت القسطنطينية على مسيرة ٤٥٠ ميلا من طرسوس وعلى خط مستقيم معها وقد وصلت الغارات المتكررة فى آسيا الصغرى الى العاصمة البيزنطيـــة ، لكن المسلمين لم يستطيعوا أن يثبتـــوا لهم مركزا فى آسيا الصــــغرى نفسها • (١١) •

واتحدت فى الدولتين المتصارعين سمات مشتركة « فالمؤمن الذى يقتل فى هذا الكفاح يدخل الجنة شهيدا ، وعلى هدى تلك الروح نفسها سأل نقفور فوقاس (٩٦٣ : ٩م) القساوسة اليونان أن ينزلوا الجنـــود المسيحيين الذين قتلوا فى حرب المسلمين منازل الشـــــهداء • وقد أدى استمرار حرب الثغور الى حدوث نفس التطور الاجتماعى لدى كل من الدولتين ، فمنذ القرن السابع شرعت كل من الدولتين تقطع أجزاء كبيرة من مناطق الثغور لطائفة وراثية من المقاتلين المحترفين •• وكانت كل من الامبراطوريتين الاسلامية والبيزنطية تحت حكم اوتوقراطى مطلق •• وكان كل من المسلم والمسيحى اللاتينى والمسيحى اليونانى يرى نفسه صاحب الدين الحق ، وكانت الثقافة هى الدين والدين هو الثقــافة ، وارتبطت العقيدة بالدولة » • (١٢)

(١١) حتى : تاريخ العرب ترجمة نافع حـ ١ ص ٢٤٨ : ٢٥٠ ؟
Hitti. Hist. of Syria. pp 442: 4
الترجمة العربية جـ ٢ ــ ترجمة د• اليازجى ص ٤٤ ــ ٥

(١٢) جرونيباوم : حضارة الاسلام ــ ترجمة جاويد ص ٢٢ : ٦

صور النشاط الحربى :

تتابعت **الصوائف والشواتي** التى كان يرسلها المسلمون الى الحدود البيزنطية بصفة دورية فلم تعد تنقطع الا لخطر بالغ تواجهه الدولة الاسلامية في داخلها ، وهذه الغزوات وان لم تكن لها نتائج حاسمة فانها كانت مدرسة مفيدة لعرب الشام والجزيرة اذ بفضلها لم ينقطع تدربهم على الحرب (١٣) ٠ وقد اهتمت المراجع الاسلامية بايراد أخبار الصوائف والشواتى مجملة أو مفصلة حسب أهميتها ، ذكرها البلاذرى (المتوفى سنة ٢٧٩هـ ، ٨٩٢م) فى سياق حديثه عن فتوح البلدان بلدا بلدا ، وأوردها الطبرى (المتوفى سنة ٣١٠ هـ ـ ٩٢٣ م) على طريقة الحوليات سنة سنة ، وتابعه على ذلك ابن الاثير (المتوفى سنة ٦٣٠ هـ ـ ١٢٣٣م) لكنه أدخل مرويات البلاذرى فى ثنايا حولياته ٠ وفى تاريخ اليعقوبى (المتوفى سنة ٢٨٤ هـ ـ ٨٩٧ م) اختصت هذه الحملات بوضع خاص فى نهاية حكم كل خليفة ، جعل لها ابن كثير فى (البداية والنهاية) موضعا خاصا فى مدخل أخبار كل سنة ، وهى مميزة كذلك عند ابن خلدون (المتوفى سنة ٨٠٨ هـ ـ ١٤٠٦ م) ، كذلك حاول المؤرخون المسلمون التأريخ لدولة الروم وبيان ملوكها الأقدمين والمتنصرين ومن عاصر منهم دولة الاسلام ٠

وقد كانت الحملات الاسلامية على الدولة البيزنطية **برية وبحرية** ، وقدامة بن جعفر يرى أن من الثغور « ما يجتمع فيه الأمران وتقع المغازى من أهله فى البر والبحر ٠٠ والمجتمع فيه الأمران غزو البر والبحر الثغور المعروفة بالشامية » ٠ (١٤) كذلك شهدت مناطق الثغور والعواصم وما يتاخمها من أرض الجزيرة وشمالى الشام **فتنا داخلية** شغلت الدولة الاسلامية بقمعها ، فأدارت سلاحها من الهجوم خارج الحدود الى تاديب المتمردين داخل الحدود ،وقد وجدت الفتن الداخلية كذلك فى داخل الدولة البيزنطية ومنها ما كان يمس مناطق حدودها مع المسلمين ، وقد حاولت كل دولة أن تفيد من الظروف السيئة والعناصر المتمردة فى الدولة الأخرى ٠

وعلى ذلك يمكن اجمال صور النشاط الحربى فى اقليم الثغور والعواصم الاسلامية فى هذه الصور الثلاثة : ـ

---

(١٣) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ـ ترجمة دكتور أبى ريده ص ٣٠٩ ٠

(١٤) قدامة : نبذ من كتاب الخراج ملحق بالمسالك والممالك لابن خرداذبة ص ٢٥٣

١ ـ الحملات البرية :

استهدفت الحملات الاسلامية الهجوم على معاقل الحدود البيزنطية أولا ، ثم استطاعت أن تتوغل فى داخل الاراضى البيزنطية حتى بلغت العاصمة •

(ا) معاقل الحدود : لم يكن أسلوب الدفاع عن الحدود المألوف فى بريطانيا مطبقا فى الشرق ، وهو لا يكاد يوافق ظروفه الجغرافية • ففى الجزيرة أو التخوم الصحراوية للشام لا نجد آثار حواجز كالتى عرفت فى نورثمبرلند واسكتلندا وأراضى الرين ، والتى كانت تتألف من حواجز وخنادق : Vallum, foss ، وانما وجدت سلاسل من القلاع امتدت على حدود الفرات وطول الخابور (أبوراس Aborras) ، كما امتدت شمالا من دارا الى آمد ، وكان الحد الشرقى لآسيا الصغرى يتابع الفرات الأعلى وأهم قاعدتين على هذا الحد هما ملطية فى الجنوب وستلا Satala (سداغ) فى الشمال • وكانت ملطية Melitene على مسافة واحدة من كل من انطاكية وطرابزون ويمكن الوصول اليها من سميساط Samosatia بطريق مباشر أو بطريق أطول يساير الضفة اليمنى للفرات • وكانت أرمينية الرومانية تقع وراء الفرات وتكون خط دفاع جبلى ضد الفرس • وتعرضت الصحراء الممتدة شرقا من سوريا وفلسطين الى الفرات والأرض المتروكة فى جنوبى وادى بين النهرين لهجمات البدو الذين كانوا يغيرون ويلوذون بالفرار فيتعذر تعقبهم فى فيافى الصحراء ، وقد بدأ توطن هؤلاء داخل الاقليم الرومانى فى القرن الثالث الميلادى • ويمكن أن نقارن مراكز تجمعهم بمراكز تجمع الجرمان على الحدود الأخرى ، وقد نالت تجمعاتهم تعضيد الدولة ، على ان هناك من ظلوا خارج الحدود يحاولون الافادة من العداء بين الروم والفرس بعرض خدماتهم على جانب أو آخر(١٥) • وقد كان على المسلمين حين اتجهوا الى فتح الشام أن يحتكوا بالعرب المتوطنين على الحدود أولا ، ثم يفتحوا الشام بأجنادها المختلفة بعد ذلك ، حتى اذا دانت لهم الشام صار عليهم أن يؤمنوا مراكزهم الجديدة بفتح الجزيرة وأرمينية • وعندما استقر الفتح الاسلامى فى تلك الديار تطلع المسلمون الى أراضى الدولة البيزنطية فى آسيا الصغرى فبدأوا بشن الغارات على معاقل حدودها ، ولما خبروا مسالكها أخذوا يتوغلون الى داخلها شيئا فشيئا مستندين الى قواعدهم العسكرية التى أقاموها عند حدودهم مع البيزنطيين • ثم تطلعوا بعد ذلك

---

(١٥) Bury : Hist. of the Later Roman Emp. Vol. I. pp. 94-5

الى العاصمة نفسها ، لتضيموا الدولة كلها الى حوزتهم ويسقطوها نهائيا بضربة قاضية كما فعلوا بدولة الأكاسرة الساسانيين ٠

(ب) **القسطنطينية** : تعرضت أسـوارها التى أقيمت تحت رعاية Anthemius (٤١٣م) لخسائر بالغة من جراء زلزال حدث سنة ٤٤٧ م فأصلحت ودعمت وأقيم سور خارجي جديد ٠ ولعل المدينة فى ذلك الوقت كانت تتوقع هجـوم الهـون فى أى لحظة فأجرى العمل على عجل لمواجهة الخطر ٠ ولما تم تحصين المدينة على هذا النحو لم يتعرض بعد ذلك هذا التحصين لتغيير جوهرى ٠ وكان هنـاك سـور داخلى يمثل خط الدفاع الرئيسى عن المدينة وسمكه حوالى ١٤ قدما ، ويدعمه ٩٦ برجا ـ ارتفاع كل منها ٦٠ قدما ، ويفصل كل برج عن الآخر حوالى ٦٠ ياردة ويرابط فى هـــذه الابراج حرس دائم ٠ وبين هذا الحـائط الداخلى وبين السور الخارجي مسافة يبلغ عرضها من ٥٠ الى ٦٠ قدما ٠ وسمك السور الخارجى من ٢ الى ٦½ قدما فقط ، ومعظمه مبنى بشكل أقواس arches وله ٩٦ برجا أيضا يتفاوت ارتفـاعها ما بين ٣٠ و ٣٥ قدما ٠ وفى خارج السور جسر عرضه ٦١ قدما ، يليه خندق يتفاوت عمقه من موضع الى آخر ويبلغ عرضه ٦١ قدما وتقســـمه سدود منخفضة ٠ ويخترق هذه التحصينات ١٠ بوابات خصص منهـــا خمسة للأغراض العسكرية البحتة ٠ وتتوالى البوابات المدنية والعسكرية ٠ والمدخل الرئيسى الأقرب لبحر مرمرة هو البوابة الذهبية Golden Gate وقد شـيدها ثيودوسيوس الكبير (٣٧٩: ٣٩٥) كقوس نصر تذكارى لتغلبه على ثورة مكسيموس ، وتصميم القوس كبوابة يوحى بأن ثيودوسيوس ربما يكون قد فكر فى احاطة المدينة بسور جديد ٠ وكانت البوابات الاربعة الاخرى تعرف بهذه الاسماء Melantias, Rhegion, St. Romanus, Charisius وكان الجزء الممتـد من السـور النازل من بوابة سانت رومانوس الى وادى ليكوس Lycus والصاعد بعد ذلك الى بوابة كاريزيوس ـ ويعرف هذا الجزء بالسور الأوسط Mesoteichien أضعف نقطة فى خط الدفاع يتخيرها العدو لينفذ منها ٠ وكانت البوابات الخمسة تقسم السور الى ستة أقسام لكل منها حامية خاصة ٠ وفى كل قسم ـ عدا القسم القصير بين البوابة الذهبية والبحر الذى كان القسم الاول يمده بالرجال ـ كانت هناك بوابة عسكرية تؤدى الى الممر الداخلى ٠ وبعد اتمام سور انتيميوس بخمسة وعشرين عاما ، مدت الاسوار البحرية للقسطنطينية على طول القرن الذهبى Golden Horn ومرمرة لتتصل بخط التحصينات الجديد ، ويبدو ان هذا قد تم سنة ٤٣٩م ٠ غـير ان الاقليم الثالث عشر وراء القرن الذهبى المعروف باسم Syca وفيما بعد

Galata لم يكن محصنا ، وهو وأن كان جزءا من المدينة من الناحية الرسمية الا انه كان ضاحية في واقع الامر • وكانت هناك سفنا تسير كمواصلات منتظمة لهذا الجزء فضلا عن جسر خشبي مقام على القرن الذهبي حلت محله قنطرة حجرية في القرن السادس الميلادى • وكانت البوابة الذهبية الميناء الكبير للقسطنطينية غير انه كانت هناك مرافيء صغرى على البسفور كانت تأتي اليها السفن المحملة بالقمح من مصر وأهمها Eleutherius وقد كانت هذه الموانى الصغيرة موافقة لاحتياجات الدولة وضرورية لها اذ ان الرياح الشمالية السائدة كانت تجعل من العسير على السفن غالبا أن تدور لتدخل القرن الذهبى (١٦) • وقد وصف ابن رستة القسطنطينية فقال «مدينة عظيمة : اثنى عشر فرسخا في اثنى عشر فرسخا • وفرسخهم على ما ذكر لى ميل ونصف ، ويحيط البحر مما يلي المشرق منها وغربيها صحراء يؤخذ منه الى الرومية • وعليها حصن • والباب الذى يؤخذ منه الى الرومية من ذهب ، والى جانبه ناس من خدمه ويسمى باب الذهب ، وعلى الباب تماثيل خمسة على مثال الفيلة ، وتمثال على صورة رجل قائم قد أخذ بزمام تلك الفيلة ، ولها باب مما يلى الجزيرة يقال انه باب بيغاس ـ موضع يتنزه الملك اليه وهو باب من حديد (١٧) » •

وقد صاحبت الحملات الاسلامية البرية من الثغور الشامية والجزرية أيضا مثل أرضد الدولة البيزنطية حملات أخرى فى جبهات مختلفة ضد البيزنطيين أيضا مثل ارمينية من جهة وبلاد المغرب وجزر البحر المتوسط من جهة أخرى • وكانت هذه الجبهات المتعددة التى فتحها المسلمون في أراضي الدولة البيزنطية تدعو الى تنسيق سياسة الهجوم الاسلامي وبالتالي سياسة الدفاع البيزنطي مما يؤدى الى تأثر الحرب فى جبهة بما يحدث من عمليات فى جبهة أخرى •

٢ ـ الحملات البحرية :

كانت معركة ذات الصوارى سنة ٣٤ هـ ـ ٦٥٥ م التى وقعت قرب ثغر Phoenicus على ساحل آسيا الصغرى بداية موفقة للمعارك البحرية بين المسلمين والبيزنطيين • وقد تأسس الاسطول الاسلامي بفضل جهود عبد الله بن سعد بن أبي سرح فى مصر ، ومعـــاوية بن أبي سفيان في

(١٦) Bury: Hist. of the Later Rom. Emp. Vol. I. pp. 70-2.

(١٧) ابن رستة : الأعلاق النفيسة ص ١١٩

الشام » وكانت معركة ذات الصواري قاضية على تفوق الاسطول البيزنطي، ولكن المسلمين بسبب بعض الاضطرابات الداخلية فشلوا في أن يستغلوا انتصارهم ويواصلوا تقدمهم الى القسطنطينية التى كانت هدفهم الاصلي(١٨) » ٠

وتتابعت الحملات البحرية الاسلامية على جزر البحر المتوسط ، كما ساندت الهجمات البرية على القسطنطينية واضطرت الدولة البيزنطية ازاء الخطر الاسلامي الى تعميم نظام البنود Thema وادخاله في ولاياتها البحرية المواجهة للمسلمين ، ففى القرن الثامن الميلادى كان هناك البند الايجى (ابيدوس) وبند كيبيرايوت Kibyrhaetoi وكان حاكم البند الاول موكلا بحماية شواطىء آسيا الصغرى ومداخل بحر ايجه من المسلمين ٠ وكان هذان البندان البحريان خاضعين لقيادة عليا خاصة لدفع العرب عن القسطنطينية ومواجهة حركات الاساطيل الاسلامية فى الحوض الشرقي للبحر المتوسط ، وكان تحت تصرف كل منهما أسطول كبير من سفن القرابيز Carabos الصغيرة السريعة الشبيهة بالشوانى المملوكية ٠ ودعا النشاط البحرى الاسلامى فى القرن التاسع الميلادى الدولة البيزنطية الى معاودة تنظيم بنودها البحرية فأسست بندا بحريا ثالثا مركزه جزيرة ساموس ومهمته مراقبة حركات المسلمين المسيطرين على كريت وحماية مداخل البحر الادرياتى وجنوبى ايطاليا من غاراتهم ، كما أقيمت قواعد بحرية فى بعض البنود الاوربية المهددة بالخطر الاسلامى البحرى مثل البلوبونيز وبنود ايطاليا(١٩) ٠

٣ ـ المعارك الداخلية :

لم تنقطع محاولات كلا الفريقين للافادة من الفتن والقلاقل لدى الآخر، فالبيزنطيون قد حاولوا كثيرا استثارة الجراجمة ضد المسلمين « فكانوا يستقيمون للولاة مرة ويعوجون أخرى ويكاتبون الروم ويمالئونهم(٢٠)»٠ كذلك حاولوا الانتفاع من فتنته الخرمية أيضا ٠ وبالمثل اتجه المسلمون الى الافادة من خصوم الدولة البيزنطية من الصقالبة ، فيذكر تيوفانيس فى

(١٨) حتى : تاريخ العرب ترجمة نافع حـ ١ ص ٢٠٤ ـ ٥ ٠

(١٩) دكتور مؤنس : المسلمون فى البحر المتوسط ـ المجلة التاريخية م ٤ ع ١ مايو ١٩٥١ ، دكتور العدوى دراسات فى التاريخ البيزنطى : المجلة التاريخية م ٢ ع ٢ سنة ١٩٤٩ ؟ Runciman: Byz. Civ. pp. 150-1.

(٢٠) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٦٦

أحداث عام ٦٦٤ أن السلاف انضموا الى قائد المسلمين وسار معه الى سوريا خمسة آلاف منهم فسكنوا فى أفامية . ونجح القائد المسلم فى استمالة « قائد الصقالبة حليف الروم ، فأرسل له كيسا مملوءا ذهبا وأطعمه بالوعود الكثيرة وحرضه على الانضمام اليه مع عشرة آلاف من الصقالبة . وهكذا كان هربه من صفوف الروم » . وقد أسكن محمد بن مروان الصقالبة فى الثغور ، وأنزلهم مروان بن محمد الخصوص (٢١) شرقى جيحان ازاء المصيصة . وفى عهد عبد الملك بن مروان (٦٥:٨٦هـ - ٦٨٥:٧٠٥م) تجددت الحرب مع البيزنطيين وكان يحكمهم جستنيان الثانى (٦٨٥ : ٦٩٥ م ، ٧٠٥ : ٧١١م) ، وحين اصطدم الفريقان عند سيواس Sebastopolis انضمت العناصر السلافية الى المسلمين (٢٢). كما حاول المسلمون الاستفادة من البيالقة (البولسيين) Paulicians الذين اضطهدتهم الدولة البيزنطية فتقفهم العرب وأنزلوهم فى مواضع أمينة وأدخلوهم فى جيوشهم فشاركوهم حملاتهم على الروم أكثر من مرة . ويقول قدامة عن هؤلاء البيالقة « هم من الروم الا انهم يخالفونهم فى كثير من أديانهم ، وكان هؤلاء مع المسلمين يعينونهم فى غزواتهمويتوفر على المسلمين المعونة بهم ، الى أن رحلوا دفعة واحدة باساءة أهل الثغور معاشرتهم وقلة اشراف المدبرين على أمرهم ، فتفرقوا فى البلاد وسكن مكانهم الارمن (٢٣) » . واستفاد المسلمون من ثورة توماس Thomas على ميشيل الثانى (٨٢٠ : ٨٢٩ م) « وهى التى استمرت ثلاث سنين وكانت حادثا رئيسيا فى حكم ميشيل الثانى فهى التى فرضت على الامبراطورية سياستها الدينية ، ولعل فقد كريت وصقلية نتيجة من نتائجها .. ونلاحظ حلفا حقيقيا كاملا بين توماس والعرب . وكان المأمون متبعا خطة دقيقة التحديد عدائية للروم ، وقد أجل خطته بعدهزيمة توماس بسبب الفتن الداخلية الخطيرة الناشئة فى داخل الامبراطورية ، ولكنه عاد مرة أخرى الى الحرب الجدية فى السنين الأربعة الأخيرة من خلافته » . وكذلك نرى ايفيميوس Euphemius قائد اسطول صقلية يتصل بالمسلمين بعد أن أعلن تمرده على الدولة البيزنطية التى أخذت تضطهده

---

(٢١) فازيلييف : العرب والروم ترجمة دكتور شعيرة ص ١٧٠٦ هامش ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧٣ .

(٢٢) Bury : Hist. of the Later Rom. Emp. Vol. II p. 322.

(٢٣) فازيلييف : العرب والروم - ترجمة دكتور شعيرة ص ٢٠٠ : ٢٠٢ ، قدامه : نبذ من كتاب الخراج ملحق بالمسالك والممالك لابن خرداذبة ص ٢٥٤

فاستغاث بافريقية وكانت تحت حكم الاغالبة وقد اغتنم فرصة ثورة توماس ونصر المسلمين فى كريت (٢٤) ٠

وقد لا تمس الفتن الداخلية اقليم الثغور مباشرة ، وقد لا تتدخل الدولة المعادية لتأييد الجانب الثائر عند خصومها ، ومع هذا كله يستفيد اى الفريقين بطريق غير مباشر حين يرى الآخر مشغولا بنفسه موجها السلاح ضد أهله ، فالانتقاضات التى شهدها المسلمون فى أواخر حكم عثمان وفى أثناء حكم على بن أبى طالب قد أثرت على موقفهم تجاه البيزنطيين واضطرت معاوية أن يصالح العدو الخارجى ليدعم سلطانه فى الجبهة الداخلية ٠ واندلعت الفتن أيضا أثناء حكم عبد الملك بن مروان أولا ، وأثناء حكم المروانيين المتأخرين ثانيا، وبعد مضى العصر الزاهر من حكم العباسيين اخيرا فكان لهذه الفتن أثرها على الصراع الاسلامى البيزنطى ، وكان البيزنطيون تارة ينتهزون فرصة انشغال عدوهم للعبث بحدوده ، وتارة أخرى يؤثرون العافية ويقنعون بأن كفاهم الله شر القتال « روى المدائنى : لما اشتغل عبد الملك بمحاربة مصعب بن الزبير اجتمع وجوه الروم الى ملكهم فقالوا : قد أمكنتك الفرصة عن العرب بتشاغل بعضهم ببعض ، فالرأى أن تغزوهم فى بلادهم ٠ فنهاهم عن ذلك وخطا رايهم ، ودعا بكلبين فأرش بينهما فاقتتلا قتالا شديدا ، ثم دعا بثعلب فخلاه بينهما فلما رأى الكلبان الثعلب تركا ماكانا فيه فاقبلا على الثعلب حتى قتلاه ٠ فقال لهم ملك الروم هذا مثلنا ومثلهم ـ فعرفوا صدقه وحسن رأيه ورجعوا عن رأيهم(٢٥) » ٠

---

(٢٤) فازيلييف : العرب والروم ترجمة الدكتور شعيره ص ٢٨ ، ص ٦٩ : ٧١ ٠

(٢٥) ابن قتيبه : عيون الاخبار م ١ ص ١١٦ ٠

أولا : الحملات المبكرة بعد فتح الشام
(عصر الخلفاء الراشدين)

الحملات البرية :

تعددت روايات المؤرخين عن أول حملة اسلامية اجتازت الدرب : درب بغراس (مضيق بيلان على ارتفاع ٨٠٠ مترا فوق سطح البحر بين جانبين ارتفاعهما ١٨٠٠ مترا) يربط بين السهل في الشرق والساحل في الغرب ، والى جانبه هناك درب الحدث أو السلامة • وبعض الروايات تبين أن **الحملات الاسلامية الاولى اتجهت الى ارتياد منطقة الثغور الشامية بينما البعض الآخر يتجه بالحملات الى منطقة الثغور الجزرية وبعض الروايات تشير الى ان اول مدربة اخترقت درب بغراس بينما تشير أخرى الى اختراق درب الحدث** • فقد ذكر الطبرى ان خالد ابن الوليد وعياض بن غنم **ادربا مما يلي الشام** ، وادرب عمر بن مالك وعبد الله بن المعتم مما **يلي الجزيرة** «ولم يكونوا ادربوا قبله ـ ثم رجعوا» وهي أول مدربة كانت في الاسلام سنة ١٦ هـ ، (٦٣٨م) • وروى في سنة ٢٠ هـ (٦٤١ م) الروم أبو بحرية الكندى عبد الله بن قيس ، وهو أول من دخلها فيما قيل ، وقيل أول من دخلها ميسرة بن مسروق العبسى ، فسلم وغنم ، وقد اجتازت هذه الحملة درب الحدث • ونقل البلاذرى اختلاف الأقوام في أشخاص الذين قطعوا الدرب لأول مرة ـ وهو درب بغراس ـ فقيل ميسرة بن مسروق العبسى حيث أوقع بجمع للروم ومعه مستعرية من غسان وتنوخ

واياي يريدون اللحاق بهرقل ، ولحق به مالك الاشتر النخعي مددا من قبل أبي عبيدة وهو بانطاكية ، وقيل أول من قطع الدرب عمير بن سعد الانصاري حين توجه لمحاولة ارجاع جبلة بن الايهم الذي كان قد دخل بلاد الروم في ثلاثين ألفا اذ وجهه عمر لهذا الغرض سنة ٢١ هـ في جيش عظيم الى بلاد الروم « وولاه الصائفة ـ وهي أول صائفة كانت ، وأمره أن يتلطف لجبلة بن الايهم ويستعطفه بالقرابة بينهما ويدعوه الى الرجوع الى بلاد الاسلام على أن يؤدى ما كان بذل من الصدقة ويقيم على دينه . فسار عمير حتى دخل بلاد الروم وعرض على جبلة ما أمره عمر بعرضه عليه ، فأبى الا المقام في بلاد الروم ، وانتهى عمير الى موضع يعرف بالحمار ـ وهو واد ، فأوقع بأهله واخربه ـ فقيل : أخرب من جوف حمـــار » . وقيل ان أبا عبيدة نفسه غزا الصائفة فمر بالمصيصة وطرسوس «وقد جلا اهلها واهل الحصون التي تليها » فأدرب فبلغ زندة ، وقيل انما وجه ميسرة بن مسروق فبلغ زندة . وقد استهدفت الحملات الاولى تامين سلامة المسلمين واقصاء خطوط عدوهم وايجاد طائفة من المدن او السكان من اهل العهد المحالفين ـ خاصة في ارمينية ، ثم محاولة حل مسالة اللاجئين الى ديار العدو من اهل البلاد المفتوحة . وقد كانت هذه هي مهمة الثغور الاساسية ، الا انه في بعض الاحيان كان الامر يصل الى قيام معارك حقيقية ، ولكن الهدف من ذلك بقي كما هو : ابعاد العدو عن قواعده وعدم اتاحة فرصة له للهجوم(٢٦) .

ويعطينا الكتاب المنسوب للواقدى تفصيلا لطليعة الحملات الاسلامية وراء الدروب ، فيروى أن أبا عبيدة قال بعد ان دانت له الشام : معاشر المسلمين ، هذا الشام قد ملكتموه وملككم الله اياه وأخرج عدوكم منه بالذل والهوان وأورثكم أرضهم وديارهم فما تشيرون به علي ؟ أندخل في هـــذه الدروب وراء أعدائنا ؟ فلم يجبه أحد . فأعاد الكلام فكان أول من تكلم ميسرة بن مسروق العبسي فقدم نفسه للقتال وأشار خالد بأن تبعث الجيوش في كل درب من هذه الدروب فعقد لميسرة وانتخب له من القبائل ٣٠٠٠ فارس و ١٠٠٠ عبد من السودان وجعل من كل قبيلة نقيبا ، وطلب لهم من اهل حلب من المعاهدين من يكون دليلا ناصحا لهم ، فاختاروا لهم اربعة واعطاهم ابو عبيدة وأحسن اليهم وطرح عنهـــم الجزية . ودخلوا الدرب الأعظم من بلد قورس وقال الأدلاء للمسلمين: ان هذه الدروب ليست كمثل

(٢٦) الطبرى حـ ٤ ص ١٥٥ رواية سيف ، ٢٣١ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٤٣ ، ١٧١ ؛ Cheira : La Lutte entre Arabes et Byzantins, pp. 75:7.

البلاد التي فتحتموها • بل هي بلاد شديدة البرد ، كثيرة الشجر والمدر والحجر ، وفيها مضايق وشعاب وأودية وكهوف وعقبات • قال عطاء بن جعدة : وسرنا والدليل أمامنا حتى أتينا عقبة حنداس فقطعناها ، عبرنا نحو الساجور وأتينا قورس فنزلنا فيها وبتنا فلما أصبحنا ودخلنا الدروب وجدنا بها أرضا وعرة وأشجارا ومياها جارية ومضايق ليس للفرس فيها مجال ، فهالنا وحشة ذلك المكان اذ ليس للعرب فيه مجال ولا فسحة • فقلت في خاطرى : ان طالت علينا هذه الأردية خشيت على المسلمين أن يظفر بهم عدوهم ، والادلاء أمام المسلمين وقد تعلقوا في جبال شامخة صعبة الصعود • فلم يبق أحد الا وترجل عن فرسه ، ومشينا حتى تقطعت نعالنا وسال الدم من أرجلنا ، فلم نزل على ذلك ثلاثة أيام والأدلاء يقولون لنا : كونوا على يقظة ، فان أخذ عليكم المجال هلكتم • فلما كان اليوم الرابع خرجنا الى أرض واسعة ، وكان دخولنا الى بلاد الروم في أول الصيف ونحن مخففون من الثياب ، ولما دخلنا الى هذه الأرض وجدنا بردا كثيرا ونظرنا على الثلج وهو على الجبال عن يميننا وشمالنا • وقد أفاض الكتاب في السرد القصصي عارضا صورة تفصيلية لهذا اللقاء المبكر بين العرب والروم على أرض الروم ، وهو لا يغفل القتال العنيف الذى دار في وقعة أسماها (مرج القبائل) أو (الحطمة ـ لأجل حطم أغمدة السيوف اظهارا للاصرار على القتال) • وانتصر المسلمون نصرا ساحقا «ثم تحالف الروم على ألا ينهزموا أويقتلوا عن آخرهم ، فأمر بطريق الروم أن تضرم النيران على شواهق الجبال وان ينفذ النفير الى البلاد بأسرها فاتت اليه الروم من كل جانب • فلما كان الغد صلى ميسرة بالمسلمين صلاة الخوف ـ وهو أول من صلاها داخل الدروب ، وأول راية دخلت كانت رايته ـ وحث جنوده على الصبر والثبات• ثم أنفذ أحد الأدلاء ومعه آخر الى أبي عبيدة يعلمه أن نفير القوم قد لحق المسلمين من الجنود والقرى وسائر البلاد ونزلوا بازاء المسلمين » • فانتدب أبو عبيدة خالدا على رأس مدد من ٣٠٠٠ فارس أردفهم بالفين ، وقد انسحب الروم بعد مبارزات جرت مع جيش المسلمين ، ووصل خالد بالمدد وأراد أن يتبعهم ، فمنعه ميسرة وقال له : انها بلادهم ، وهى وعرة ، وان الصواب رجوعنا الى عسكر المسلمين فعادوا غانمين منصورين ، ولكن أسر عبد الله بن حذافة ، فكتب فيه عمر الى هرقل فاطلقه(٢٧) •• والقصة بهذا التفصيل الذى عمل فيه بيان الراوى تصور المتاعب التى كان على المسلمين أن يواجهوها في حملاتهم المتتابعة : الطبيعة التى لم يألفها العرب في

(٢٧) الواقدى : فتوح الشام حـ ٢ ص ٣٠ : ٨ •

موطنهم ، والتنظيم الدفاعي البيزنطي للبنود Thema الذى أنقذ البقية الباقية من الدولة البيزنطية من الهجوم العربي الاسلامي ٠

ونحن نرى في الفترة المبكرة التي تلت فتح الشام أسس الحملات المتتالية ضد الروم من **شواتي وصوائف** ، ففي زيارة عمر بن الخطاب للشام سنة ١٧ هـ ـ ٦٣٨ م « قسم عمر الأرزاق ، وسمى الشواتي والصوائف ، **وسد فروج الشام ومسالحها** واخذ يدور بها ، وسمى ذلك في كل كورة ٠٠ **وادرب** سنة ١٧ هـ خالد وعياض فسارا فاصابا أموالا عظيمة وكانا توجها من الجابية ٠ فرجع عمر الى المدينة وعلى حمص أبو عبيدة ، وخالد تحت يده الى قنسرين ٠٠٠ وعلى السواحل عبد الله بن قيس ، وعلى كل عمل عامل ـ فقامت مسالح الشام ومصر والعراق على ذلك الى اليوم لم تجز أمة على أخرى عملها بعد الا أن يقتحموا عليهم بعد كفر منهم فيقدموا مسالحهم بعد ذلك » (٢٨) ٠ وكتب عمر الى أبي عبيدة فمعاوية « ان رتب بأنطاكية جماعة من المسلمين أهل نيات وحسبة واجعلهم بها مرابطة ولا تحبس عنه العطاء» ، وكتب عثمان الى معاوية يأمره أن يلزمها قوما وأن يقطعهم قطائع ، واتخذ جسر منبج في خلافة عثمان للصوائف (ويقال بل كان له رسم قديم) ٠ وفتح حبيب بن مسلمة الفهرى ملطية ورتب فيها رابطة من المسلمين فلما قدمها معاوية وهو يريد دخول بلاد الروم شحنها بجماعة من أهل الشام والجزيرة وغيرهما « فكانت طريق الصوائف» ٠ **وقد تم في عهدعثمان عملان حربيان هامان : فتح أرمينية ، وتكوين الأسطول ، ونحن نستبين في هذه الاجراءات كلها اصرارا على متابعة الحملات ضد البيزنطيين منذ فتح الشام خاصة بعد توحيد امرة الشام والجزيرة في يد معاوية سنة ٢٥ هـ ـ ٦٤٦ م، مما أدى الى تنسيق العمليات الحربية في الجبهتين البريتين فضلا عن تنسيق أعمال الاسطول في الشام ومصر** ٠ ولم يكن غريبا بعد أن استبانت دلائل هذا الاصرار أن تتتابع حملات الثغور على الحدود البيزنطية مستهدفة تدمير قواعد العدو وازعاجه برا وبحرا ومحاولة التوغل في أرمينية بجانب القيام بأعمال الحراسة المعتادة ، كما لم يكن غريبا أن تتوالى الفتوح في بلاد **المغرب وجزر البحر المتوسط** ، ولم يكن هدف التنظيم الحربي في الثغور الاسلامية مقصورا على **حماية حدود دار الاسلام ضد اى تهديد وتدعيم هيبة المسلمين العسكرية ، بل كان من أهدافه أيضا تحقيق ما يمكن من المكاسب الجديدة (٢٩)** ٠

---

(٢٨) الطبرى حـ ٤ ص ٢٠٣ ، ٢٠٥ ،رواية سيف ٠

(٢٩) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٩٣ ؟

Cheira : La Lutte entre Arabes et Byz. pp. 69-70

ويقدم الطبرى وغيره من المؤرخين المسلمين تسجيلا لغزوات متتابعة منذ غزوة أبى بحرية الكندى عبد الله بن قيس أو ميسرة بن مسروق العبسى سنة ٢٠ هـ .

ففى سنة ٢١ هـ ـ ٦٤٢ م « كان بالشام غزوة الأمير معاوية ، وعمر بن سعد الانصارى على دمشق والبثنية وحوران وحمص وقنسرين والجزيرة ، ومعاوية على البلقاء والأردن وفلسطين والساحل وانطاكية ومعرة مصرين وقيلقية (٣٠) . ولعل هذه الحملة كانت لتأمين الحدود أكثر من أى شىء آخر ، وفى سنة ٢٢ هـ « غزا معاوية الصائفة ودخل بلاد الروم فى عشرة آلاف من المسلمين » (٣١) . وفى سنة ٢٥ هـ ـ ٦٤٦ م « كان فتح الحصون وأميرهم معاوية » ويعطى البلاذرى بعض التفصيل « لما غزا معاوية غزوة عمورية فى سنة ٢٥ هـ وجد الحصون فيما بى أنطاكية وطرسوس خالية فوقف عندها جماعة من أهل الشام والجزيرة وقنسرين حتى انصرف من غزاته ، ثم أغرى بعد ذلك بسنة أو سنتين يزيد الحر العبسى الصائفة وأمره ففعل مثل ذلك وكانت الولاة تفعله . وقال راوى هذا الخبر : ووجدت فى كتاب مغازى معاوية أنه غزا سنة ٣١ هـ من ناحية المصيصة فبلغ درولية فلما خرج جعل لا يمر بحصن فيما بينه وبين أنطاكية الا هدمه » . ويبدو **ان معاوية أراد أن يقرن حملته على شمشاط بحملته فى آسيا الصغرى سنة ٢٥ هـ بعد أن اجتمعت له امرة الشام والجزيرة ، كما أراد ان يغطى جملة قاليقلا بحملة درولية سنة ٣١ هـ** لتأخر وصول نجدة بيزنطية الى قاليقلا (٣٢) . وفى سنة ٢٦ هـ ، ٧٤٧ م.أرسل والى الشام يزيد بن الحر العبسى للغزو ، وفى العام التالى **حشد معاوية قواته فى اقليم قنسرين دون خروج للغزو ، ونلمح هنا بداية تنظيم قاعدة حربية هناك . كذلك الشىء جسر منبج** ، واطلق على هذه العمليات اسم غزوات.وقد وردت روايات عن غزو حبيب بن مسلمة سنة ٢٨ هـ ـ ٦٤٩ م « **سورية** من أرض الروم ، ولم ينكب » (٣٣) . ولا ندرى ما المقصود بسورية هذه التى سيرد ذكرها فى حملات تالية ، فالمسعودى يقول مثلا ان الروم تسمى « البلاد التى سكانها المسلمون فى هذا الوقت من الشام والعراق سوريا ، والفرس الى

---

(٣٠) الطبرى حـ ٤ ص ٢٥٠ رواية ابن اسحاق .

(٣١) الطبرى حـ ٤ ص ٢٥٩ رواية الواقدى ؟
Cheira : La Lutte entre Arabes et Byz. p. 76.

(٣٢) الطبرى حـ ٥ ص ٤٧ رواية الواقدى ، ابن الأثير حـ ٣ ص ٣٥ ـ ٦ ؟ البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧١ ـ ٢ ؟
Cheira : La Lutte entre Arabes et Byz. pp. 76 : 8

(٣٣) الطبرى حـ ٥ ص ٥٤ ؟ Cheira: La Lutte entre Arabes et Byz. p. 77.

هذا الوقت تقارب الروم في هـــذه التسمية ، فيسمون العراق والجزيرة والشام سورستان اضافة الى السريانيين الذين هم الكلدانيون ، ويسمون سريان ولغتهم ســــورية وتسميتهم العرب النبط » ويقــول ياقوت عن سورستان « واليها ينسب السريانيون وهم النبط ، وان لغتهم يقال لهــا السريانية ٠٠ وقال أبو الريحان : والسريانيون منسوبون الى سورستان ـ وهي أرض العراق وبلاد الشام» ، وينقل ياقوت قول هرقل حين انسحب من الشام « سلام عليك يا سورية ، سلام مودع » ، ويستدل بذلك على أن سورية هي بلاد الشام ، غير أنه يعود فيقول في موضع آخر « سورية : موضع بالشام بين خناصرة وسلمية » ٠ ويذكر الدكتور شعيرة أن قوات الجزيرة يحتمل أن تكون قد تحركت من سميساط الى ايسوريا Isaurie وربما كانت هذه الحملة قد أرسلت لاشغال الروم وتهيئة الفرصة لحملة قبرص التي ارسلت في الوقت نفسه ٠ وقد تكرر ذكر سورية في أحداث سنة ٨٩ هـ ، ٧٠٨ م وهي تعني قيليقية (كيليكيا) ، او قيليقية وكوماجين Commagene عند تيوفانيس ، أما فلهوزن فيحقق سورية على أنها ايسوريا ٠ ويحققها بروكس Brooks على هذا الوضع بالنسبة لأحداث الأعوام ٦٠ ، ٦١ ، ٨٨ ، ٩٠ هـ ، على أنه يجعلها بالنسبة لأحداث ســنة ٨٩ هـ في أعالي الفرات وقيليقية ٠ ويرى الدكتور شعيرة أن الخلاف ليس كبيرا ، فقيليقية وايسوريا جزءان من اقليم عسكري واحد كان في القرن العاشر الميلادي يكون بند سلوقية Seleucie ولــكن الطبــري يذكر أن سورية تشمل أقاليم فلسطين والأردن ودمشق وحمص وما وراء الدرب ، وهكذا تكون سورية ما يلي الابواب الكيليكية (٣٤) ٠ وفي سنة ٣٠ هـ ـ ٦٥١م غزا سفيان بن عوف الغامدي، فرحل من قبل مرعش ـ وكانت أكثر الثغور الجزرية تطرفا للغرب وأقربها للشام ، وقد رغب المسلمون في اعادة تحصين مرعش كقاعدة أمامية تشترك مع أنطاكية في عملياتها ٠ وقد ساح سفيان في بلاد الروم ، وهكذا بدأت الحملات المحلية تخلي مكانها لعمليات عسكرية واسعة النطاق (٣٥) ٠ بل لقد أتت في تلك الفترة المبكرة أخبار عن حملات اسلامية أوغلت في أرض الروم ، فقد روى أن معاوية قد غزا المضيق ـ الذي قيل أنه مضيق القسطنطينية سنة ٣٢ هـ ـ ٦٥٣ م ومعه زوجته ، وقد يكون هذا المشروع المبكر في غزو القسطنطينية هو الذي أثار انتباه الروم وأدى الى معركة الصواري فيما بعد ، كما قد تكون هذه الحملة

(٣٤) المسعودي : التنبيه والاشراف ص ١٥٠ ، ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ١٦٩ ، ١٧١ ؛ Cheira : La Lutte entre Arabes et Byz. pp. 77, 175 (note 3)

(٣٥) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٩٦ ؛ Cheira : La Lutte entre Arabes et Byz. p. 77.

تغطية اخرى للجهود الحربية المستمرة ضد قاليقلا ، ويذكر سيبيوس Sebeos هنا خلقدونية • ويحتمل الدكتور شعيرة أن يكون المضيق فى آسيا الصغرى وراء طرسوس اذ يقول ياقوت عن (الدرب) اذا أطلقت الكلمة « مابين طرسوس وبلاد الروم ، لأنه مضيق كالدرب» • وفى السنة التالية ٣٣ هـ ـ ٦٥٤ م غزا معاوية **حصن المرأة من أرض الروم من ناحية ملطية ، حماية للعمليات الحربية المتصلة فى قاليقلا** ، ومن أجل **حماية الحملة البحرية فى العام التالى وبسط نطاقها اتجه معاوية الى تسيير حملة الى قيسارية (قيصرية) حيث يمر طريق ارمينية الكبير** ، ويعتبر هذا المشروع ردا على هجوم الروم على أرمنية (٣٦) •

وفى أثناء تتابع هذه الحملات كان المسملون يواصلون القتال فى **جبهات بيزنطية اخرى** • ففى سنة ٢٤ هـ ـ ٦٤٤ م غزا الوليد بن عقبة **اذربيجان وارمينية** « لمنع أهلها ما كانوا صالحوا عليه أهل الاسلام أيام عمر » ، وقيل ان ذلك كان سنة ٢٦ هـ وكانت **الجبهة الاناضولية تعين على نجاح الجبهة الارمينية** اذ كانت تباشر عمليات حربية **للتغطية فى أراض** العدو وأعان على ذلك قيادة معاوية الموحدة • وقد **اضطلعت الثغورالجميلة بعبء الفتوح فى الجبهة الأرمينية ، فتتابعت الحملات منها الى شمشاط وكمخ وقاليقلا تستهدف فصل ارمينية الكبرى عن بند الارميناق** • وكان الأقدمون يجعلون جبها الجزيرة تمتد فى مقدمتها حتى غربى منحنى الفرات فى مواجهة آسيا الصغرى ، وهى تقابل أرمينية الثالثة التى كانت قاعدتها ملطية Melitene كما أسماها جستنيان سنة ٥٣٥ م ، وتجاور بند الأرمنياق (الذى أنشىء سنة ٦٢٦ م ـ ٥ ـ ٦ هـ) وقد كانت جزءا منه قبل أن يفتحها العرب ، وتفصل بينه وبين أرمينية الكبرى • وهكذا كانت جبهة الجزيرة حساسة ، وكان على المسلمين أن يدفعوا هذه الجبهة الى الأمام لتعزل أرمينية عن الارض البيزنطية • فلما استخلف عثمان وجمع لمعاوية الشام والجزيرة وثغورها أمره أن يغزو **شمشاط** ـ وهى أرمينية الرابعة « فوجه اليها حبيب بن مسلمة الفهرى وصفوان بن معطل السلمى ففتحاها بعد أيام من نزولهما عليها على مثل صلح الرها ، وأقام صفوان بها وبها توفى فى آخر خلافة معاوية ـ ويقال بل غزاها معاوية بنفسه وهذان معه فولاها صفوان» • وهذه المدينة **تقع على الفرات الأعلى ومواصلاتها سهلة مع الشرق فى ارمينية ومع الجنوب ومع جبهة الجزيرة** ، ومن هنا كان موقعها ممتازا كقاعدة بالنسبة

---

(٣٦) الطبرى حـ ٥ ص ٧٧ رواية أبى معشر والواقدى ؟ ابن الأثير حـ ٣ ص ٥٤ ياقوت : معجم البلدان حـ ٤ ص ٤٩ ؟

Cheira : La Lutte entre Arabes et Byz. pp. 78-9.

لأرمينية • وغزا حبيب بن مسلمة حصن **كمخ** بعد فتح شمشاط وغزاه صفوان دون جدوى حتى فتح فيما بعد سنة ٥٩ هـ ـ ٦٦٩ م • ويظهر أن هذه الجبهة الأرمينية هي التي جاشت فيها الروم سنة ٢٤ هـ فاستمد من بالشام من جيوش المسلمين المدد ، وان كان أبو مخنف لا يحدد أن ذلك كان بأرمينية خلافا للواقدي « فخرج ثمانية آلاف رجل من أهل الكوفة فمضوا حتى دخلوا مع أهل الشام الى **أرض الروم** وعلى جند أهل الشام حبيب بن مسلمة بن خالد الفهري ، وعلى جند أهل الكوفة سلمان بن ربيعة الباهلي فشنوا الغارات على أرض الروم فأصاب الناس ما شاءوا من سبي وملأوا أيديهم من المغنم وافتتحوا بها حصونا كثيرة » • ويذكر البلاذري أن هذا الهجوم البيزنطي كان **تاليا لهجوم اسلامي على قاليقلا** Theodisopolis **سنة** ٣١ هـ ـ ٦٥٢ م ، وكان طريقها في الشمال يحمي النفوذ البيزنطي في أرمينية كما كانت فيها حامية بيزنطية منذ أيام جستنيان • « قالوا : ولما استخلف عثمان بن عفان كتب الى معاوية وهو عامله على الشام والجزيرة وثغورها يأمره أن يوجه حبيب بن مسلمة الفهري الى أرمينية ، وكان حبيب ذا أثر جميل في فتوح الشام وغزو الروم ـ قد علم منه ذلك عمر ثم عثمان رضي الله عنهما ثم من بعده • ويقال : بل كتب الى حبيب يأمره بغزو ارمينية ـ وذلك أثبت • فنهض اليها في ستة آلاف ، ويقال في ثمانية آلاف من أهل الشام والجزيرة ، فأتى قاليقلا فأناخ عليها ، وخرج اليها أهلها فقاتلهم ، ثم ألجأهم الى المدينة ، فطلبوا الأمان على الجلاء والجزية ـ فجلا كثير منهم فلحقوا ببلاد الروم ، وأقام حبيب بها فيمن معه أشهرا ، ثم بلغه أن بطريق أرمنياقس قد جمع للمسلمين جمعا عظيما ، وانضمت اليه أمداد من أهل اللآن وأفخاذ وسمندر من الخزر ، فكتب الى عثمان يسأله المدد ، فكتب الى معاوية يسأله أن يشخص اليه من أهل الشام والجزيرة قوما ممن يرغب في الجهاد والغنيمة ، فبعث اليه معاوية الفي رجل أسكنهم قاليقلا وأقطعهم بها القطائع وجعلهم مرابطة بها • ولما ورد على عثمان كتاب حبيب كتب الى سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ـ وهو عامله على الكوفة ـ يأمره بامداده بجيش عليه سلمان بن ربيعة الباهلي وهو سلمان الخيل وكان خيرا فاضلا غزاء • فسار سلمان الخيل اليه في ستة آلاف رجل من أهل الكوفة ، وقد أقبلت الروم ومن معها فنزلوا على الفرات ، وقد أبطأ على حبيب المدد ، فبيتهم المسلمون فاجتاحوهم وقتلوا عظيمهم • وقالت أم عبد الله بنت يزيد الكلبية امرأة حبيب ليلتئذ له : أين موعدك ؟ قال : سرادق الطاغية أو الجنة ، فلما انتهى الى السرادق وجدها عنده ، قالوا : ثم ان سلمان ورد وقد فرغ المسلمون من عدوهم فطلب أهل الكوفة اليهم أن يشركوهم في الغنيمة بأردة لأهل الشام ، وكتب الى سلمان يأمره بغزو

ازان » • وقد أورد البلاذرى الرواية الاخرى التى تقول بأن سليمان بن ربيعة توجه الى أرمينية فسبى وغنم وانصرف الى الوليد بن عقبة وهو بحديثه الموصل سنة ٢٥ هـ حيث أتاه كتاب عثمان بأخبار معاوية اياه أن الروم اجبلوا على المسلمين دون تحديد للجبهة الارمينية بالذات ، وعلق البلاذرى على هذه الرواية بقوله « والخبر الأول أثبت ، حدثنى به عدة من مشايخ أهل قاليقلا » • وكانت نتيجة هذا الجهاد الاسلامى فى ارمينية بجانب ما جرته سياسة التعصب المذهبى التى سارت عليها بيزنطة مع أهل أرمينية أن عقد القائدالأرمنى تيودر Theodore Rechtouni مع معاوية سنة ٣٢ هـ ـ ٦٥٣ م صلحا تعاقب على الدخول فيه أمراء الاقليم ، وان كان الأرمن قد دابوا على التأرجح بين المسلمين والروم • وقد أغار الروم فى العام التالى سنة ٣٤ هـ ـ ٦٥٤ م وحاولوا استثارة أرمينية على العرب ولكنهم عادوا ادراجهم قبل حلول الشتاء • وقبل ذلك بقليل قاد والى الشام حملة ضد حصن المرأة البيزنطى قرب ملطية وذلك لتأمين الحدود الاسلامية ولتحويل ملطية الى قاعدة هامة ، وقد القى على قوات الثغور الجزرية عبء حماية الحدود الأرمينية ، وتتابعت الحملات الاسلامية تجوس خلال أرمينية ، **وغدت هناك حاميات عسكرية اسلامية فى شمشاط وملطية وقاليقلا وسميساط ، واستقر حد منيع بين بيزنطة وأرمينية ، ولكن الكتاب الأقدمين استمروا على استعمال تسمية الثغور الجزرية بالنسبة لكل المنطقة ،** ولم يشأ معاوية أن يخلق جبهتين ، ولذلك نظم فى الشمال قاعدة متوسطة فى ملطية بين الجبهتين القديمة والجديدة (٣٧) •

كذلك حاول البيزنطيون استرداد مصر، اذ نقضت الاسكندريةعهدها سنة ٢٥ هـ ـ ٦٤٥ م ، « وكان سبب ذلك أن الروم عظم عليهم فتح المسلمين الاسكندرية وظنوا أنهم لا يمكنهم المقام ببلادهم بعد خروج الاسكندرية من ملكهم ، فكاتبوا من كان فيها من الروم ودعوهم الى نقض الصلح فأجابوهم الى ذلك » فسار اليهم من القسطنطينية جيش كثيروعليه منويل فأرسوا بها واتفق معهم من بها من الروم ••• فلما بلغ الخبر الى عمرو بن العاص سار اليهم وسار الروم اليه فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم الروم وتبعهم المسلمون الى أن أدخلوهم الاسكندرية وقتلوا منهم فى البلد مقتلة عظيمة منهم منويل •• فلما ظفر بهم لمسلمون جاء أهل القرى الذين خالفوهم فقالوا لعمرو : ان الروم أخذوا دروابنا وأموالنا ولم

---

(٣٧) الطبرى حـ ٥ ص ٤٥ : ٤٧ روايتا ابى مخنف والواقدى ؟ البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٩٢ ، ٢٠٥ ـ ٢٠٦ ؟ ابن الأثير حـ ٣ ص ٣٤ ـ ٥ ؟
Cheira : La Lutte entre Arabes et Byz. pp. 70:5.

فخالف نحن عليكم وكنا على الطاعة • فرد عليهم ماعرفوا من أموالهم وهدم سور الاسكندرية » • وجاءت حملة منويل فى عهد قنسطانز الثانى (٦٤١: ٦٦٨ م) محاولة من الدولة البيزنطية لمواجهة العرب فى البحر المتوسط الشرقى ، **وقد كانت هذه الحملة مصاحبة للحملات التى شغلت جيوش المسلمين بالشام على الحدود البيزنطية فى الجبهة الأرمينية غالبا (٣٨) •**
وفى سنة ٢٥ هـ اتبع المسلمون فتح مصر بالاتجاه لفتح بلاد المغرب مورد الغلال والأخشاب البيزنطية اذ « سير عمرو بن العاص عبد الله بن سعد ابن أبى سرح الى أطراف افريقية غازيا بأمر عثمان ، وكان عمرو بن العاص قد بعث بعثا قبل ذلك الى المغرب فأصابوا غنائم (٣٩) » • وهكذا حمل المسلمون راية الجهاد ضد البيزنطيين فى كل مكان •

الحملات البحرية :

كانت سياسة المسلمين فى البحر دفاعية فى أول الأمر ، حسبها أن تواجه خطر حملات الأسطول البيزنطى على الثغور البحرية الاسلامية التى لم تخضع للمسلمين الا بعد مقاومة عنيفة • ففى أواخر سنة ١٦ هـ «وضع عمر مسالح مصر على السواحل كلها ، وكان داعية ذلك أن هرقل أغرى مصر والشام فى البحر ونهد لأهل حمص بنفسه (٤٠) » « وكان المسلمون كلما فتحوا مدينة ظاهرة أو عند ساحل رتبوا فيها قدر من يحتاج اليها من المسلمين ، فان حدث فى شىء منها حدث من قبل العدو سربوا اليها الأمداد ـ فلما استخلف عثمان كتب الى معاوية يأمره بتحصين السواحل وشحنها واقطاع من ينزله اياها القطائع ففعل ••• ثم ان معاوية لم يزل بعثمان حتى أذن له بالغزو بحرا وأمره أن يعد فى السواحل اذا غزا أو أغزى جيوشا سوى من فيها من الرتب ، وأن يقطع الرتب أرضين ويعطيهم ما جلا عنه أهله من المنازل ، ويبنى المساجد ويكبر ما كان ابتنى منهـا قبل خلافته ••• ثم ان الناس بعد انتقلوا الى السواحل من كل ناحية » وقد أتاح تكوين الاسطول الاسلامى فرصـا ناجحة لحماية السواحل الاسلامية فضلا عن الهجوم المظفر على أعدائهم • ونحن لا نجد ما بين عامى ٢٥ ، ٣٥هـ

---

(٣٨) الطبرى حـ ٥ ص ٤٧ رواية الواقدى ، ابن الأثير حـ ٣ ص ٣٢ ؟
Bury : Hist. of the Later Rom. Emp. Vol. II. p. 288.
دكتور العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ص ٥١ ـ ٢
(٣٩) الطبرى حـ ٥ ص ٤٧ رواية الواقدى ٤٨ : ٥١ رواية سيف والواقدى ؟ ابن الأثير حـ ٣ ص ٣٦ : ٨ •
(٤٠) الطبرى حـ ٤ ص ٢٣٠ ـ ١ رواية سيف •

غارة بيزنطية على السواحل الاسلامية ، بل بدأ المسلمون يشنون الحملات البحرية بدورهم (٤١) ٠

وكانت باكورة الحملات البحرية الاسلامية هى غزو قبرص ما بين سنة ٢٧ و ٢٩ على اختلاف الروايات ، سنة ٦٤٧ ، سنة ٦٤٩ م ويختار لها الدكتور شعيرة ربيع أو صيف سنة ٢٨ هـ « فالح معاوية على عمر فى غزو البحر وقرب الروم من حمص ٠٠ وأول من غزا فى البحر معاوية زمان عثمان ، وقد كان استأذن عمر فيه فلم يأذن ، فلما ولى عثمان لم يزل به حتى عزم على ذلك ، واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الحارثى حليف بنى فزارة فغزا خمسين غزاة من بين شاتية وصائفة فى البحر ولم ينكب »(٤٢) ٠ وهو نشاط ضخم لدولة ناشئة فى الميدان البحرى ، تعاونت عليه قواعد المسلمين البحرية التى استهلت جهودهم بتحصينها، ثم ما اتجهوا اليه بعد ذلك من تكوين أسطول اسلامى استفادوا فيه من خبرة أهل الشام ومصر وكانوا عونهم على تشييده وتسييره والقتال فيه ٠ وغدت قبرص مركزا للحملات البحرية الاسلامية ، ومن ذلك ما ورد من أنه قد غزا قبرص « أهل مصر وعليهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، حتى لقوا معاوية فكان على الناس » ٠ وقد صولح أهل قبرص على أن يؤدوا جزية للمسلمين علاوة على جزيتهم للروم « واشترط عليهم المسلمون ألا يقاتلوا عنهم من أرادهم من ورائهم ، وأن يؤذنوا المسلمين بسير عدوهم من الروم ٠ فكان المسلمون اذا ركبوا البحر لم يعرضوا لهم ولم ينصرهم أهل قبرص ولم ينصروا عليهم » ٠ وهذه شروط متواضعة تظهر أن المسلمين لم يفكروا فى احتلال قبرص واتخاذها قاعدة عسكرية فى غزواتهم الاولى ولكن الدواعى الحربية دفعتهم الى تغيير خطتهم سنة ٣٣ هـ ـ ٦٥٣ ـ ٤م ، فقد أعان أهل قبرص الروم « على الغزاة فى البحر بمراكب أعطوهم اياها ، فغزاهم معاوية سنة ٣٣ هـ فى خمسمائة مركب ففتح قبرص عنوة فقتل وسبى ثم أقرهم على صلحهم ، وبعث اليهم باثنى عشر ألفا كلهم أهل ديوان ، فبنوا بها المساجد ٠ ونقل اليها جماعة من بعلبك وبنى بها مدينة ٠٠ وبعض الرواة يزعم أن غزوة معاوية الثانية قبرص فى سنة ٣٥هـ » (٤٣) وتتابعت

---

(٤١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٣٤ ـ ٥ ؟

Cheira : La Lutte entre Arabes et Byz. pp. 90-1 99.

(٤٢) الطبرى حـ ٥ رواية سيف والواقدى ص ٥١ ـ٣ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٥٩ : ١٦١ ٠

(٤٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٦٠ ؟

Cheira : La Lutte entre Arabes et Byz. pp. 99:101.

الغارات على جزر البحر المتوسط ، فبدأ المسلمون بمهاجمة الجزر القريبة من أراضيهم ثم اتبعوا ذلك بمحاولة السيطرة على غيرها من الجـزر التى تتحكم فى أكبر عدد من المضايق البحرية لسد الطريق فى وجه الأساطيل البيزنطية • وبدأ المسلمون بجزيرة أرواد قرب ساحل الشام بين مدينتى جبلة وطرابلس • وقد هاجمت الحملة الأولى العائدة من قبرص سنة ٢٨هـ أرواد ، ونزل المسلمون بالجزيرة ولكن أهلها اعتصموا بقلعتهـا ، فلم تفتح الا فى العام التالى سنة ٢٩ هـ سنة ٦٥٠ م فى نفس الوقت الذى فتحت فيه جزيرة Cos وروى البلاذرى عن الواقدى ان جنادة بن ابى امية فتح ارواد سنة ٥٤ هـ واسكنها معاوية المسلمين . وقد كانت الحملات تتوالى على هذه الجزائر بالطبع ولم يتسن للمسلمين اخضاعها فى حملة واحدة او عام واحد • وهوجمت رودس سنة ٣٣ هـ سـنة ٦٥٤ م وموقعها هام لقربها من آسيا الصغرى والحدود الاسـلامية البيزنطية فى أطراف الشـام ، وقد أصاب المسلمون فيها غنائم كثيرة وتمثالا كبيرا ، وكان ابو الأعور هو قائد الحملات المظفرة الى قبرص ورودس . وقد روى البـلاذرى عن الواقدى أن جنادة بن ابى أمية فتح رودس ٥٤ هـ مما رجع معه الدكتور شعيرة انها هى أرود الواردة فى روايات أخرى . وهوجمت كريت فى نفس الوقت تقريبا وقد عرف العرب اهمية هذه الجزر لسلامة مواقعهم على ارض القارة ونفوذهم على القسم الشرقى .

وكان صقلية تقسم البحر المتوسط قسمين رئيسيين ، وقد فكر العرب فى مهاجمتهـا بعد فتحهم المغرب اذ كانت تأتى منهـا الهجمات والنجدات البيزنطية . ويذهب امـارى Amari ومعـه فازيلييف الى أن المسلمين شرعوا فى مهاجمة صـقلية بعد ٥ سنوات من حملتهم الأولى على افريقية • ويرى الدكتور شعيرة أن اتجاه المسلمين الى فتح صقلية بعد فتح المغرب يبدو منطقيا ، أما التاريخ فهو محل مناقشـة كما يذهب كايتانى ، وتتأرجح التواريخ التى تقدمها الحوليات فهى سنة ٣٣ هـ فى رواية الواقدى والنويرى فى (نهاية الأرب) وصاحب المؤنس ، أما صاحب (البيان المغرب) فيعطى ٣ تواريخ ، ويمكن الخلوص من رواياته الى تحديد سنة ٤٩ هـ ، سنة ٦٦٩ م حين كان معاوية خليفـة وتؤيد ذلك رواية البلاذرى • وقد ذهب أمارى وفازيلييف الى القول بتكرار ذكر الحملة مرة سنة ٣٣ هـ ومرة سنة ٤٩ هـ ، ولا يرى الدكتور شـعيرة ذلك ويرجح حدوث فتح صقلية سنة ٤٩ هـ • وكان على بيزنطة ازاء هذه الهجمات أن

تبادر بالرد عليها حماية لمصالحها الاقتصادية والسياسية وهيبتها وسلامتها ، فكانت واقعة الصواري (٤٤) .

حدثت **موقعة الصواري** سنة ٣٤ هـ ـ ٦٥٥ م أوفونيكس Phoenix « فخرج أهل الشام عليهم معاوية ، وعلى أهل البحر عبد الله بن سعد ، وخرج عامئذ قسطنطين بن هرقل لما أصاب المسلمون منهم بأفريقية فخرجوا في جمع لم يجتمع للروم مثله قط منذ كان الاسلام فخرجوا في خمسمائة مركب فالتقوا هم وعبد الله بن سعد ، فأمن بعضهم بعضا حتى قرنوا بين سفن المسلمين وأهل الشرك بين صواريها » . ومن هنا سميت غزوة ذات الصواري ودارت بين جزيرة رودس ـ لا أرواد على ما يرجح الدكتور شعيرة ـ وبين ساحل ليكيا عند شواطئ فونيكس Phoenix .

وينقل الطبري عن شاهد عيان للمعركة قال : « كنت معهم ـ فالتقينا في البحر فنظرنا الى مراكب مارأينا مثلها قط وكانت الريح علينا فأرسينا ساعة وارسوا قريبا منا . وسكنت الريح عنا فقلنا : الأمن بيننا وبينكم ، قالوا : ذلك لكم منا ولنا منكم . ثم قلنا : ان أحببتم فالساحل حتى يموت الأعجل منا ومنكم وان شئتم فالبحر ، قال : فنخروا نخرة واحدة وقالوا : الماء . فدنونا منهم فربطنا السفن بعضها الى بعض حتى كنا يضرب بعضنا بعضا على سفننا وسفنهم ، فقاتلنا أشد القتال ، ووثبت الرجال على الرجال ـ يضطربون بالسيوف على السفن ويتواجأون بالخناجر حتى رجعت الدماء الى الساحل تضربها الأمواج وطرحت الأمواج جثث الرجال ركاما ... ثم ان الله نصر المؤمنين منهم مقتلة عظيمة ، لم ينج من الروم الا الشريد » وهكذا قتل معظم رجال الأسطول البيزنطي عددهم ٢٠٫٠٠٠ وخرج قسطنطين من المعركة جريحا . وقد سرت رهبة المسلمين في نفوس جميع السكان كما يقول ميشيل السوري ، أما **تيوفانس فيقارن هذه المعركة البحرية بمعركة اليرموك البرية** . وقد أكد هذا الانتصار قوة العرب البحرية، ولكن الفتنة التي اندلعت ضد عثمان عوقت افادتهم من ذلك(٤٥) . ويقول الأستاذ الدكتور حتي أن هذه المعركة « أثبتت أنها يرموك أخرى ، اذ حطمت القوى البيزنطية تحطيما تاما ... ولكن العرب لم يستفيدوا من ذلك الانتصار ، فلم يواصلوا هجومهم الى القسطنطينية ، ولعل السبب الذي منعهم هو مقتل عثمان الذي حدث حوالي ذلك الوقت وغير

(٤٤) Cheira : La Lutte entre Arabes et Byz. pp. 83, (n. 2), 101 دكتور الأمويون والبيزنطيون ص ٨٦ : ٩٢ ، البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٤٤

(٤٥) الطبري حـ ٥ ص ٦٩ ـ ٧ رواية الواقدي ، ابن الأثير حـ ٣ ص ٤٨ ؟
Cheira : La Lutte entre Arabes et Byz. pp. 102-3.

ذلك من الاضطرابات الداخلية التى لازمته » • ويرى الدكتور العدوى أن هذه الواقعة البحرية « تعتبر من المعارك الحاسمة القلائل التى غيرت مجرى تاريخ البحر المتوسط وتقف على قدم المساواة مع واقعة اكتيوم ٣١ ق‌م وأبى قير البحرية سنة ١٧٩٨ م ••• وأولى نتائجها الهامة تخلى الامبراطور قنسطانز ومن جاء بعده من الأباطرة عن فكرة طرد المسلمين من البلاد التى استولوا عليها فى شرقى البحر المتوسط والاكتفاء بتأمين الأراضى البيزنطية فى الجبهة الجنوبية من آسيا الصغرى لدرء ما يقوم به المسلمون من نشاط حربى جديد • وقد أفاد هـذا التغيير فى السياسة البيزنطية الدولة الاسلامية فى وقت دخلت فيه فى دور من القلق والنزاع بسبب مقتل عثمان ، ومن الحرب الأهلية بين على ومعاوية (٤٦) » •

وقد رأى قنسطانز ان يستفيد من فترة الهدوء التى سادت العلاقات الحربية مع المسلمين ، ففكر فى أن ينقل مقر حكمه من القسطنطينية الى صقلية ليربط الدولة البيزنطية بما بقى لها فى شمال افريقية ، لكنه اغتيل فى سيراكوز سنة ٦٦٨ م (٤٧) • وابن الأثير يعقب على أخبار غزوة الصوارى سنة ٣١ هـ بخبر مقتل قسطنطين « فانه سار فى مركبه الى صقلية ، فسأله أهلها عن حاله فأخبرهم ، فقالوا : أهلكت النصرانية وأفنيت رجالها ، لو أتانا العرب لم يكن عندنا ما يمنعهم • ثم أدخلوه الحمام وقتلوه وتركوا من كان معه فى المركب وأذنوا لهم فى المسير الى القسطنطينية » • أما الطبرى فيسوق ذلك فى أخبار سنة ٣٥ هـ « حين سار قسطنطين بن هرقل فى ألف مركب يريد أرض المسلمين ، فسلط الله عليهم قاصفا من الريح فغرقهم ونجا قسطنطين بن هرقل فأتى صقلية فصنعوا له حماما فدخله فقتلوه فيه وقالوا : قتلت رجالنا » • وينقل عنه ابن الأثير هذا الخبر أيضا ثم يقول : « هكذا قال أبو جعفر ، وهذا قسطنطين هو الذى هزمه المسلمون فى غزوة الصوارى سنة ٣١ هـ وقتله أهل صقلية فى الحمام • وان كانوا قد اختلفوا فى السنة التى كانت الواقعة فيها • فلولا قوله (ان المراكب غرقت) لكانت هذه الحادثة هى تلك ، فانها فى قول بعضهم كانت سنة ٣٥ هـ (٤٨) » •

---

(٤٦) حتى تاريخ العرب ترجمة نافع جـ ٤ ص ٢٠٤ ـ ٥ ، ٢٥٠ ـ ١ ، دكتور العدوى : الأمويون والبيزنطيون ص ٩٤ ـ ٩ •

(٤٧) دكتور العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ص ٥٥ ومراجعه هنا فازيلييف
Vasiliev : Hist. de l'Emp. Byz. Vol. I. p 238.
Bury : Hist. of the Later Rom. Emp. Vol. II pp. 297-8, 302

(٤٨) الطبرى جـ ٥ ص ١٦١ رواية الواقدى ، ابن الاثير جـ ٣ ص ٤٩ ، ٨٤ •

تخللت ثنايا غزوة الصواري أخبار تحمل نذر الثورة على عثمان ، « وأقام عبد الله بذات الصواري أياما بعد هزيمة القوم ثم أقبل راجعا ، وجعل محمد بن أبي حذيفة يقول للرجل : أما والله لقد تركنا خلفنا الجهاد حقا ، فيقول الرجل : وأي جهاد ؟ فيقول : عثمان فعل كذا وكذا ٠٠ حتى أفسد الناس فقدموا بلدهم وقد أفسدهم ، وأظهروا من القول ما لم يكونوا ينطقون به (٤٩) » ٠

وهكذا شرعت دوامة الفتن تلف الدولة الاسلامية ، فلا تغدو قادرة على الإفادة من مركزها البحري بعد انتصارها في موقعة الصواري ، ولا تغدو قادرة على مواصلة اتجاهها المبكر الى الهجوم على القسطنطينية برا وبحرا ، بعد أن عزز هذا الاتجاه انتصارها على الأسطول البيزنطي ٠

وقد اتخذت الشام في عهد عثمان منفى للثائرين والمتمردين لاستقرار الأمر فيها على يد معاوية ، فقد كتب سعيد بن العاص والى الكوفة الى عثمان يقول : « ان رهطا من أهل الكوفة ـ سماهم له عشرة ـ يؤلبون ويجتمعون على عيبك وعيبي والطعن في ديننا ، وقد خشيت أن ثبت أمرهم أن يكثروا ٠ فكتب عثمان الى سعيد : أن سيرهم الى معاوية ـ ومعاوية يومئذ على الشام ٠ فسيرهم ـ وهم تسعة نفر ـ الى معاوية ، فيهم مالك الأشتر وثابت بن قيس بن منقع وكميل بن زياد النخعي وصعصعة بن صوحان » ٠ فلما شكى منهم معاوية ردوا الى الكوفة ، فضج منهم واليها **فاعيدوا الى الشام حيث ألزموا الساحل والدروب** « فكتب عثمان الى سعيد أن سيرهم الى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ـ وكان أميرا على حمص فأنزلهم عبد الرحمن بن خالد الساحل وأجرى عليهم رزقا ٠٠٠ وكتب عثمان الى سعيد : أن سيرهم الى الشام وألزمهم الدروب » ٠ وقيل ان القوم خرجوا من دمشق فاختاروا الشخوص الى الجزيرة ـ وطالما وجد فيها الثوار والمتمردون فرصتهم فقالوا « لا ترجعوا الى الكوفة فانهم يشمتون بكم وميلوا بنا الى الجزيرة ، ودعوا العراق والشام ٠ فأووا الى الجزيرة ، وسمع بهم عبد الرحمن بن خالد وكان معاوية قد ولاه حمص ، وولى عامل

(٤٩) الطبري : جـ ١ ص ٧٠ ـ ١ رواية الواقدي ، ابن الاثير جـ ٣ ص ٤٨ ـ ٩ ٠

الجزيرة حران والرقة ، فدعا بهم وعنفهم وسامهم الشدة فضرعوا له وتابعوه (٥٠) » ·

وقد كان الاتجاه الى اشغال الساخطين في الحروب والمغازى حلا يعرض على بساط البحث عند الخليفة ومستشاريه واجراء يلجأ اليه لعلاج الفتنة ، فحين تكاتب المنحرفون على عثمان للاجتماع لمناظرته فيما أخذوا عليه سنة ٣٤ هـ ـ ٦٥٥ م « أرسل عثمان الى معاوية والى عبد الله بن سعد والى سعيد بن العاص والى عمرو بن العاص والى عبد الله بن عامر ، فجمعهم ليشاورهم في أمره وما طلب اليه وما بلغه عنهم ··· فقال عبدالله بن عامر: رأيي لك يا أمير المؤمنين أن **تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك ، وأن تجمرهم في المغازي حتى يذلوا لك** فلا يكون همة أحدهم الا نفسه وما هو فيه من دبرة دابته وقمل فروه ··· فرد عثمان عماله على أعمالهم ، وأمرهم بالتضييق على من قبلهم ، وأمرهم بتجمير الناس في البعوث (٥١) » ·

ولم يغن هذا العلاج شيئا ، فقد استشرت الفتنة حتى عطلت الثغور واوقفت الجهاد ، وكانت الشام أكثر الأمصار استقرارا « فتنقل عبد الله ابن سبأ ـ وهو ممن ألبوا على عثمان ـ في بلدان المسلمين يحاول ضلالهم، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام ، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام » (٥٢) ·

وكانت نهاية هذه الفتنة الكبرى مقتل عثمان بن عفان ، **وبويع على ابن ابي طالب** سنة ٣٥ هـ ـ ٦٥٦ م فتميز موقف الشام المستقرة على شتى الأمصار المضطربة حتى رجحت كفتها في ميزان القوى المتصارعة واستطاعت أن تنقل الخلافة اليها · وعبثا حاول علي أن يقتحم أبواب الشام على معاوية فقال لابن عباس : « سر الى الشام فقد وليتكها · فقال ابن عباس : ما هذا برأى معاوية رجل من بني أمية وهو ابن عم عثمان وعامله على الشام ، ولست آمن أن يضرب عنقي لعثمان ، او أدنى ما هو صانع أن يحبسني فيتحكم على · فقال له على : ولم ؟ قال : لقرابة ما بيني وبينك ، وان كل ما حمل عليك حمل على ، ولكن اكتب الى معاوية فمنه وعده · فأبى على ··· ولما دخلت سنة ٣٦ هـ فرق على عماله على الأمصار ، فبعث سهل بن حنيف على الشام ، فخرج حتى اذا كان بتبوك لقيته خيل فقالوا : من أنت ؟ قال :

---

(٥٠) الطبرى جـ ٥ ص ٨٥ : ٩٠ روايتا سيف ومحمد بن عمر ، ابن الاثير جـ ٣ ص ٥٧ : ٦٠ ·

(٥١) الطبرى جـ ٥ ص ٩٢ : ٥ روايتا سيف وجعفر بن عبد الله المحمدى ، ابن الاثير جـ ٣ ص ٦١ ـ ٢

(٥٢) الطبرى جـ ٥ ص ٩٨ رواية سيف ، ابن الاثير جـ ٣ ص ٦٤ ·

أمير ، قالوا : على أى شيء ؟ قال : على الشام ، قالوا : ان كان عثمان بعثك فحى أهلا بك وان كان بعثك غيره فارجع ، قال : أو ما سمعتم بالذى كان ؟ قالوا : بلى • فرجع الى علي (٥٣) » •

وأراد معاوية ـ وهو والى الشام ـ أن يعزز جانبه بمصر ، فاقبل يعالج أمرها تارة بالقوة وأخرى باللين حتى دانت لسلطانه وولى عليها عمرو بن العاص •

وهكذا أصبح معاوية مسيطرا على الشام والجزيرة ـ وقد جمعا له منذ أيام عثمان ـ ثم مصر ، وبلغ سلطانه البحر المتوسط ، وصار يتاخم الروم فى آسيا الصغرى من جهة وفى افريقية من جهة أخرى •

وقد كان التقاء على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان **فى صفين من أرض الجزيرة** ، وبذلك أتيح لتلك المنطقة القريبة من الثغور والعواصم أن تشهد تلك الموقعة التاريخية « فلما انتهى على الى الرقة قال لأهلها : اجسروا لى جسرا حتى أعبر من هذا المكان الى الشام ، فأبوا ـ وقد كانوا ضموا اليهم السفن ، فنهض من عندهم ليعبر من جسر منبج وخلف عليهم الأشتر » ، فهددهم الأشتر فنصبوا الجسر (٥٤) • وقد بدت العصبيات القبلية فى تلك الموقعة « وخرج معاوية الى على فى أهل الشام ، فأخذ على يقول : من هذه القبيلة ومن هذه القبيلة ، فنسبت له قبائل أهل الشام ، حتى اذا عرفهم ورأى مراكزهم قال للأزد : اكفونى الأزد ، وقال لخثعم : اكفونى خثعم ، وأمر كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيها اختها من اهل الشام ـ الا أن تكون قبيلة ليس منها بالشام أحد فيصرفها الى قبيلة أخرى تكون بالشام ليس منهم بالعراق واحد ـ مثل بجيلة لم يكن منهم بالشام الا عدد قليل فصيرهم الى لخم (٥٥) » • وقد انتهت هذه المعركة برفع أهل الشام المصاحف على الرماح ، قائلين : ان على المسلمين أن يحموا ثغورهم ويواجهوا عدوهم بدلا من أن يقتل بعضهم بعضا « فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا : هذا كتاب الله بيننا وبينكم ، من لثغور أهل الشام بعد أهل الشام، ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق» (٥٦) • وقد كان اجتماع المحكمين بين الفريقين بأذرح وهى مكان وسط بين أهل الشام والعراق • وحين انصرف على من صفين ولى الأشتر على الجزيرة فكتب اليه وهو يومئذ

---

(٥٣) الطبرى جـ ٥ ص ١٦٠ ـ ١ روايتا الواقدى وسيف ، ابن الاثير جـ ٣ ص ٨٣ ـ ٤ •
(٥٤) الطبرى جـ ٥ ص ٢٣٧ رواية أبى مخنف ، ابن الاثير جـ ٣ ص ١٢٠ •
(٥٥) الطبرى جـ ٦ ص ٨ ، ابن الاثير جـ ٣ ص ١٢٧ •
(٥٦) الطبرى جـ ٦ ص ٢٦ رواية أبى مخنف ، ابن الاثير جـ ٣ ص ١٣٦

بنصيبين : « ... فانك ممن استظهرته على اقامة الدين وأقمع به نخوة الأثيم وأشد به الثغر المخوف (٥٧) » . ولا عجب أن تكون الجزيرة ثغرا مخوفا بالنسبة لعلي ، فهي التي تقاعس أهلها عن نصب جسر له ليعبر الى الشام ، ولقد كانت الجزيرة مضمومة الى معاوية منذ أيام عثمان ، وهي قريبة من الشام .

جاءت نهاية موقعة صفين على هذا الوجه نذير سوء بالنسبة لعلي بن أبي طالب ، فاضطربت عليه كثير من النواحي والأطراف « وبعد أن كانت العصبية القبلية في عهد عثمان بين قريش والقبائل الأخرى أصبحت هذه العصبية في خلافة علي بين فرعي قريش الكبيرين بني هاشم وبني أمية .. وكان جيش علي يشمل عدة عناصر مختلفة من سكان العراق الذين نزحوا الى البصرة والكوفة بعد الفتح : ولكن **كان اهم عناصر جيش علي هم بنو ربيعة** مما جعل مضر والأزد يشعرون بالغيرة ولذا ظلوا على ولائهم لعثمان.. لقد نقمت ربيعة على مضر والأزد يشعرون لها في الفتح ثم استئثارها دونها بالسلطان . فانضمت الى علي ليكون لها حظ من السلطان ولتعين عليا على اليمنية التي اعتز بها معاوية ـ **فقد كان مع معاوية قضاعة وكلب واليمنيتان فضلا عن تغلب** وبعض بطون قريش . وأما **مضر** فقد وقفت أكثر قبائلها العراقية موقف من يود أن يترك الزمن ليحل هذا الاشكال . وهكذا اعتز كل من فرعي بني عبد مناف بواحد من الفريقين المتعاديين منذ الجاهلية ، فاعتز علي بربيعة ومعاوية باليمن ولكن كان في جيش علي عنصر واحد من عناصر مضر وهم بنو تميم ، وبعض العناصر اليمنية وخاصة أشرافهم مثل الأشتر والأشعث . وكانت واقعة صفين صورة حقيقية للعصبية القبلية حين وقفت كل قبيلة من قبائل العراق في مواجهة مثيلتها من قبائل الشام (٥٨) » .

وفشل التحكيم في ايجاد حل للنزاع كما فشلت محاولات الصلح بين الفريقين ، « وفي سنة ٤٠ هـ جرت بين علي وبين معاوية المهادنة بعد مكاتبات جرت بينهما على وضع الحرب بينهما ويكون لعلي العراق ولمعاوية الشام فلا يدخل أحدهما على صاحبه بجيش ولا غارة ولا غزو ... وتراضيا على ذلك فأقام معاوية بالشام بجنوده يجبيها وما حولها وعلي بالعراق يجبيها ويقسمها بين جنوده (٥٩) » . وفي تلك الأثناء **اكتفى معاوية بأن فرق**

---

(٥٧) الطبري جـ ٦ ص ٥٤ أبي مخنف ، ابن الاثير جـ ٣ ص ١٥٢

(٥٨) دكتور الخربوطلي : تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي ص ٢٤٦ : ٨

(٥٩) الطبري جـ ٦ ص ٨١ رواية زياد بن عبد الله عن أبي إسحق ، ابن الاثير جـ ٣ ص ١٦٧ .

جيوشه على الأطراف التي في طاعة علي بن أبي طالب سنة ٣٩ هـ « فوجه النعمان بن بشير في ألفي رجل الى **عين التمر** وبها مالك بن كعب مسلحة لعلي ٠٠٠ ووجه سفيان بن عوف في ستة آلاف ، وامره ان يأتي **هيت** فيقطعها وأن يغير عليها ثم يمضي حتي يأتي الأنبار والمدائن فيوقع بأهلها٠٠ ووجه عبد الله بن مسعدة الفزارى في ألف وسبعمائة الى تيماء على أن يأتى مكة والمدينة والحجاز ٠٠٠ ووجه الضحاك بن قيس ومعه ثلاثة آلاف وأمره أن يمر بأسفل واقصة حتى انتهى الى القطقطانة ٠٠ وسار معاوية بنفسه الى دجلة حتى شارفها ثم نكص راجعا » ٠ وكان سبب نجاح سفيان بن عوف في مهمته في هيت والانبار تفرق مسلحة علي « وكان عليهم كميل بن زياد فبلغه أن قوما بقرقيسياء يريدون الغارة على هيت ، فسار اليهم بغير أمر علي فأتى أصحاب سفيان وكميل غائب عنها فاغضب ذلك عليا (٦٠) »٠ وقد سير معاوية عبد الرحمن بن قباث بن أشيم الى بلاد **الجزيرة** وفيها شبيب بن عامر « فكتب الى كميل بن زياد وهو بهيت ، فسار نجدة له فأدركوا عبد الرحمن ومعه معن يزيد السلمي ، فقاتلهما كميل وهزمهما وكتب الى علي بالفتح فرضي عنه ٠ **واقبل شبيب بن عامر من نصيبين فرأى كميلا قد أوقع بالقوم فهناه بالظفر ، واتبع الشاميين فلم يلحقهم فعبر الفرات وبث خيله فاغارت على أهل الشام حتى بلغ بعلبك** ، فوجه معاوية اليه حبيب بن مسلمة فلم يدركه ، ورجع شبيب فأغار على نواح بالرقة ٠٠ ووجه الحرث بن نمر التنوخي الى الجزيرة ليأتيه بمن كان في طاعة علي فأخذ من أهل دارا سبعة نفر من أهل **تغلب** ، وكان جماعة من بني تغلب فارقوا عليا الى معاوية فسألوه في اطلاق أصحابهم فلم يفعل فاعتزلوه أيضا ٠٠ فأراد علي أن يوجه اليهم جيشا ــ حين قتلوا أحد رجاله ــ فكلمته ربيعة وقالوا هم معتزلون لعدوك (٦١) » ٠ وهكذا صار معاوية هو المهاجم ورجحت كفته بعد مقتل علي بن أبي طالب وقد أخذ الطريق الحربي المعتاد وعبر أرض الجزيرة الى العراق ونزل بعسكره في مسكن على حدود الدجلة من الموصل ، ولكنه انتظر هناك حينا بعد وفاة علي ٠ ومالبث الحسن أن صالح معاوية وتنازل عن الخلافة بعد نصف عام (٦٢) ٠

وقد شغلت هذه الأحداث الكبرى معاوية عن متابعة الحملات ضد الروم والقيام بمحاولة جديدة لاستئناف الجهود لفتح القسطنطينية ٠ويروى

---

(٦٠) الطبرى جـ ٦ رواية علي بن محمد وعبدالله بن احمد المروزى ومحمد بن عمر ص ٧٧ الى ٩ ، ابن الأثير جـ ٣ ص ١٦٢ ــ ٣

(٦١) ابن الاثير جـ ٣ ص ١٦٤ ــ ٥ ٠

(٦٢) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ــ ترجمة دكتور ابي ريدة ص ٩٩ ٠

انه أتى معاوية فى ليلة أن قيصر قصد له فى الناس • وأن ناتل بن قيس الجذامى غلب فلسطين وان المصريين الذين كان سجنهم هربوا ، وأن على ابن أبى طالب قصد له فى الناس • فجاءه عمرو بن العاص فقال له : رميت بالقسى الأربع ! قال عمرو : اما هؤلاء الذين خرجوا من سجنك فهم فى سجن الله وهم قوم شراة لارحلة بهم فأجعل لمن اتاك برجل منهم او برأسه ديته فانك ستؤتى بهم ، وانظر قيصر فوادعه واعطه مالا وحللا من حلل مصر فانه سيرضى عنك بذاك ، وانظر ناتل بن قيس فلعمرى ما أغضبه الدين ولا أراد الا ما أصاب فاكتب اليه وهب له ذلك وهنئه اياه فان كانت لك قدرة عليه وان لم تكن فلا تاس عليه واجعل حدك وحد يدك لهذا الذى عنده دم ابن‌عمك » (٦٣) وهناك رواية قريبة تروى عن عبدالملك ابن مروان أيضا ، وهو الذى كانت فتنة ناتل بن قيس فى أيامه •

وقد روى أن معاوية لما بلغه عزم صاحب الروم على غزو الشام كتب اليه يهدده « تالله لئن تممت على مابلغنى من عزمك لأصالحن صاحبى ، ولأكونن مقدمته اليك ولأجعلن القسطنطينية البحراء حمامة سوداء ولانتزعنك من الملك (٦٤) » •

ويروى أن الروم كانوا قد شرعوا فى طلب الصلح مع العرب بعد موقعة الصوارى ، ولكن تغير الموقف بعد الفتنة زمن عثمان وعلى ، فقد **طلب معاوية الصلح** هذه المرة سنة ٣٦ هـ سنة ٦٥٧ م على رواية البلاذرى فهو يقول عن عبد الملك « واقتدى فى صلحه بمعاوية حين شغل بحرب أهل العراق ، فانه صالحهم على أن يؤدى اليهم مالا وارتهن منهم رهناء ببعلبك » • وهو يقول فى موضع آخر « أن الروم صالحت معاوية على أن يؤدى اليهم مالا وارتهن معاوية منهم رهناء فوضعهم ببعلبك ، ثم ان الروم غدرت فلم يستحل معاوية والمسلمون قتل من فى أيديهم من رهنهم وخلوا سبيلهم ، وقالوا : وفاء بغدر خير من غدر بغدر» والتزم معاوية بدفع ألف دينار وعبد وحصان كل يوم أو أسبوع • ونحن لا تعرف نصوص الوثائق السياسية لهذا الاتفاق ،ويعطى تيوفانيس تاريخا له ٣٨ هـ ـ ٣٩ هـ • وقد **عادت ارمينية وقبرص الى النفوذ البيزنطى** ،

---

(٦٣) الطبرى جـ ٦ ص ١٨٦ رواية عبدالله بن أحمد المروزى

(٦٤) دكتور الحيدر أبادى : مجموعة الوثائق السياسية ص ٣٩٥ •

وكان المقابل الذى قدمه قنسانز الثانى أن يترك المسلمين وشأنهم ، ولم يشأ هذا ان يستغل الأزمات الداخلية بين المسلمين أكثر من ذلك ، مكتفيا بما وصل اليه بدلا من مغامرات طامعة تستثير عدوا أثبت حيوية عسكرية فائقة • وهكذا ثبت أن بيزنطة قد انصرفت عن استعادة الأقاليم التى فقدتها • ويعتبر هذا الاتفاق سابقة هامة من الوجهة القانونية ، وهو لم يعقد مع الدولة الاسلامية ذاتها ولكن مع الفريق الموالى لعثمان منها والذى صار يتزعمه معاوية (٦٥) •

---

(٦٥) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٦٦ ، ١٦٧

Cheira : La Lutte entre Arabes et Byz. pp. 104, 106

فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ترجمة دكتور أبى ريدة ص ٩٥ •

ثانيا : عصر الدولة الاموية

حصاران على القسطنطينة :

معاوية بن ابى سفيان

٤١ : ٦٠ هـ ، ٦٦١ : ٦٨٠ م

واصل معاوية بن أبى سفيان طوال مدة حكمه محاربة الروم فى البر والبحر ، ولا يمكن الفصل تماما بين عهد معاوية كوال للشام وعهد معاوية كخليفة فى سياسته ازاء الحدود الاسلامية البيزنطية، فقد بقى أساس هذه السياسة واحدا : من تشييد خط منيع للحدود يستطيع أن يضمن الاستقرار بالنسبة لأراضى الحدود وبالنسبة لاقاليم الاطراف الخاضعة للنفوذ الاسلامى ، وانما تختلف السياسة فى عهد خلافة معاوية فى شيء من تكتيك الدفاع ورسم الاتجاهات • **فقد ارتكز الدفاع فى مواجهة آسيا الصغرى على جبهة واحدة بدلا من جبهتين ، وقد حدث توسع فى الحدود المصرية ونجاح فى الجبهة الأرمنية ، وانما يتميز عهد حكم معاوية تماما حين نتبين اتساعا فى نطاق حملات الحدود** من ناحية قوتها ومن ناحية توغلها بصورة لم نشهد لها مثلا من قبل ، ففى الفترة السابقة كانت هناك توغلات محدودة فى البحر والبر تتقدم حملات الهجوم أو تحمى بعض العمليات المحلية ، بينما نجد هذه المرة اندفاعا حتى العاصمة وهجوما فى شتى نواحى آسيا الصغرى ، بل ان حملات الحدود صارت أكثر أهمية • وكان الجيل الذى اضطلع بهذه الأعمال غير جيل الفاتحين الأولين ، فالجيل الجديد هم (**نابتة الفتح**) الذين نشأوا على حب الجهاد والفروسية وسمعوا أحاديث المغامرات من آبائهم واخوانهم • وهكذا كانت تلك الفترة حافلة بالمجد والفخار • ونحن لانسمع فى العهد السفيانى عن جبهة الجزيرة الا قليلا مثل حملة صفوان بن المعطل السلمى على قلعة كمخ على الحدود الأرمينية وان كانت هذه الحملات

ذات طابع محلى ،وانما كانت مهمة الحدود فى منطقة الجزيرة خلال هذه الفترة هى اقامة حاجز بين بيزنطة وأرمينية ، فهى تتولى حراسة أرمينية عن قرب وتضمن انتقال جيش محلى مستعد للعمل ، وكانت هذه الجبهة لا تعمل الا مع الجبهة الشامية وتستخدم الجبهتان قاعدة للحملات المعتادة ضد آسيا الصغرى • وهكذا كانت مهمة جبهة الجزيرة دفاعية فى حين كانت مهمة الجبهة الشامية هجومية • وتتضح أسس هذه الخطة الجديدة فى الاتجاه الى شغل بند الأرمنياق البيزنطى بهجمات وعزل ميدان القتال فى آسيا الصغرى عن الحدود الأرمينية ؛ اذ عن طريق البند الأرمنى كان يمكن للعدو ان يهاجم مجنبة الجيش الاسلامى ، وقد انتقل الصراع على ارمينية من حدودها الى قلب آسيا الصغرى .وهكذا أمضت أرمينية عشرين عاما تتمتع بحسن حظها كما يقول لوران Laurent وعاشت حياتها القومية تحت سماحة الحكم العربى ، وظل الأمير الأرمنى على القسم العربى المسمى جريجوار ممكونيان Gregoire Mamikonian رهينة فى دمشق من سنة ٦٥٥ م الى سنة ٦٦١ م ، وعن طريق معرفته للعرب استطاع أن يحقق الخير لبلاده ويقود أرمينية نحو سياسة عربية خالصة مستقرة • وقد جاءت هذه السياسة الحربية الجديدة للمسلمين وليدة خبرات معاوية الذى كان قد قاد من قبل حملات فى آسيا الصغرى لتجريد أرمينية من طريقها الى آسيا الصغرى • وأدى نجاح هذه الخطة القديمة الى التفكير فى الاستغناء عن الاحتفاظ بجبهة مستقلة فى الجزيرة • واستفاد المسلمون كذلك من التجربة البيزنطية فى استرضاء الزعماء الاقطاعيين الغيورين على استقلالهم بتركهم يتمتعون بنفوذهم • وهكذا أتاح هدوء الاقليم زمن معاوية فرصة لتوثيق عرى التعاون والتآلف بين الأرمن والعرب • وصار هدف الحملات الاسلامية فى تلك الفترة اشغال البيزنطيين فى عقر دارهم بتوغل أكثر عمقا وحيوية ، بدلا من التخريبات المتوالية ،.ولم يتجه التفكير الى اقامة جبهة من القلاع تقفل الطريق فى وجه العدو لتضمن سلامة ديار المسلمين ، بل فضل المسلمون دفاعا متحركا عن طريق الحملات الفصلية من صوائف وشواتى التى كانت تخرج من قواعد محصنة • وقد انتظمت الحملات الاسلامية على الحدود البيزنطية منتظمة من سنة ٤١ هـ الى سنة ٦٠ هـ (٦٦١ : ٦٨٠ م) حتى كانت اراضى العدو لا تخلو من هذه الحملات • وبعد صائفتى سنة ٤١ ، ٤٢هـ وجدت حملات استغرقت الصيف والشتاء ، وظل ذلك ٤ سنوات سنة ٤٣ : ٤٧ هـ ولكن (التجمير) فى البعوث لم يكن يلق ترحيبا ، وهكذا نجد حملتين للصيف والشتاء ، واستمر ذلك حتى سنة ٥٤ هـ سنة

٦٧٤ م باستثناء حصار القسطنطينية سنة ٤٩ ـ ٥٠ هـ (٦٦٩ ـ ٦٧٠ م) • وفى خلال السنوات الخمسة التالية ٥٥ : ٥٩ هـ (٦٧٥ :م) لا يذكر المؤرخون سوى الشواتي ، ويبدو أنه كانت تحدث أحيانا معاودة للخطة الأولى ، وفى السنة الأخيرة عقدت هدنة مع بيزنطة بسبب المشكلات الداخلية ، فأثر هذا على نظام الحملات الدورية (٦٦) •

لقد طرق معاوية ابواب عاصمة أعدائه ذاتها مرتين ، اما مهمة توطيد سلطانه فى العراق بعد اخضاعه فقد تركها لولاته على الكوفة والبصرة • وهكذا نجد بنى أمية على كثرة مشاغلهم وتوالى ثورات العرب عليهم ملتفتين الى البحر المتوسط وشئونه ، وقد قامت حملاتهم الكبرى على القسطنطينية فى فترات كانت الثورات عليهم فيها على أشدها فى العراق والجزيرة العربية ، وفى نفس هذه الظروف أيضا أرسلوا الحملات التي فتحت المغرب والأندلس وما وراء ذلك • « ولو قوم غيرهم لرصدوا هذه القوات كلها على تثبيت أمرهم فى تلك البلاد المشرقية التى جاءهم منها البلاء فيما بعد • وكانت خطتهم فيما يتصل بالجزيرة العربية والعراق أن يعهدوا فى أمرهما الى رجال أشداء يحكمونها بالعسف والقهر •• ان بنى أمية اذ نقلوا مركز الدولة الاسلامية من الحجاز الى الشام لم يقتصر الأمر على تغيير موضع المركز بل **تغيير الاتجاه كله للدولة الاسلامية عامة فتحولت من دولة قارية الى دولة بحرية ذات طابع متوسطى** » (٦٧) •

حصار القسطنطينية الأول ٤٨ : ٥٠ هـ (٦٦٨ : ٦٧٠ م) :

ماكاد يستقر الأمر لمعاوية حتى أخذ يستأنف جهاده القديم ضد الروم ، فقد أوغل فى بلاد الروم من قبل وهو وال على الشام قبل أن يكون خليفة ، وشرع قبل خلافته بعشر سنوات تقريبا فى محاولة لفتح القسطنطينية ـ كما قد يؤخذ من بعض الروايات ـ مما قد يكون سببا فى اصطدامه مع الأسطول البيزنطى عند فونيكس فى واقعة ذات الصوارى •

وقد كانت الطلائع المبكرة لحصار القسطنطينية الجديد فى عهد معاوية الخليفة **حملات من الشواتي والصوائف** ، حتى قيل ان بسر بن أرطاه « غزا الروم وشتى بأرضهم سنة ٤٣ هـ (سنة ٦٦٣ م) صيفا وشتاء حتى بلغ القسطنطينية فيما زعم الواقدى وأنكر ذلك قوم

(٦٦) Cheira : La Lutte entre Arabes et Byz. pp. 107: 112.

(٦٧) دكتور مؤنس : المسلمون فى البحر المتوسط ـ المجلة التاريخية المصرية م ٤ ع ١ مايو سنة ١٩٥١ •

من أهل الأخبار » ، وجاء مشتى عبد الرحمن بن خالد ابن الوليد بأرض الروم سنوات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ هـ (٦٦٤ : ٦ م) .

وقد أمضت هذه الحملة الطويلة شستاءها الأول فى كلوديوبوليس Claudiopolis لا فى اقلونيـة أو كلونيـة او كوغونيـة كمـا يروى ابن واضح ، لأن هذا الموضع أبعد عن منطقة العمليات الحربية ، اذ انتقلت الحملة بعد ذلك الى اقليم انقرة Ancyra . ودارت المعركة الأولى عند بحيرة سكدارين Skodarine ـ وكانت تسمى قديما Skleros وعند البيزنطيين Pousgousa, Poungousa Pasgousa , وقد أسميت فيما بعد بج ـ شهر او كيرولو Beg-Schehir, Kerolu وكان فى البحيرة جزر لجأ اليها سكان الاقليم فرارا من جيش المسلمين ، لكن عبدالرحمن صنع مراكب للوصول الى الجزر ، واختفى بعض الأهالى وقطعوا حبال المراكب العربية فابتعدت فى الماء ، فصار العرب محصورين بين الماء والوحل ، فتجمـع الأهلون وهاجموا العرب بالسيوف والحجارة والسهام . ويذكر أن العرب لم يعودوا لمهاجمة هذه البحيرة حتى نهاية القرن السابع الميلادى . وقد تسلم عبد الرحمن بن خالد جزية عمورية وخلف هناك حامية ثم اتجـه الى قلعة سلوس Sillos وهى تشيلى ـ حصار ، فحاصرها وقد خدعه رجل من أهل الاقليم أغراه بصنع منجنيق ضخم لذلك القلعة ، ولم يكن هذا المنجنيق على ضخامته فى طاقته أن يلقى سوى حجارة صغيرة ، وسرعان ماقلبته قطعة ضخمة من الحجر قذفته بها القلعة المحاصرة . وفشل الحصار لكن عبد الرحمن واصل مسيره فاسـتولى على قلعـة بسينوس Pissinus (وهى Justinianopolis Patia ارسورى او سـبرى حصار) فى شمالى عمورية قرب روافد المجرى الأعلى لنهر سـنجاريوس . ثم استولى على مدينة خيوس Chios، وأخيرا اخـذ برجلم Pergame وسميرنا Smyrne (ازمير) على الشواطىء الغربية لآسيا الصـغرى . وهنا توقف عبد الرحمن وعاد أدراجه بعد ذلك الى حمص . وقيل كانت لمالك بن عبد الله مشتى الشاتية الأخيرة فى هذه الحملة الطويلة وغنم غنائم كثيرة . ويقول البلاذرى فى شأن غزوة مالك « قالوا : وكان مالك بن عبـد اللـه الخثمى الذى يقـال لـه مالك الصوائف ـ وهو من أهل فلسطين ـ غزا بلاد الروم سنة ٤٦ وغنم غنائم كثيرة ثم قفل ، فلما كان من درب الحدث على خمسة عشر ميـلا بموضع يدعى (الرهوة) أقام فيها ثلاثا فباع الغنائم وقسم سهام الغنيمة ـ فسـميت تلك الرهـوة **رهوة مالك** » ، وقيل بل كان مالك بن هبيرة السـكونى . واسـتمرت هـذه الحملات فى سـنة ٤٧ هـ ٦٦٧ م صيفا

وشتاه) وفيها كان مشتى مالك بن هبيرة ، وسنة ٤٨ هـ التي كان فيها مشتى ابى عبد الرحمن القينى بانطاكية السوداء من بلاد الروم فى ايسوريا Isaurie • ويذكر أيضا خبر هذه الشاتية مع سالفتها سنة ٤٧ هـ ، ولو صح ذلك لكان شيئا يحدث لأول مرة أن توجه شاتيتان فى نفس العام لاقليم واحد من أراضى العدو • وفى سنة ٤٨ هـ كانت صائفة عبد الله بن قيس الفزارى • وكانت هناك **حملات بحرية** بجانب الحملات البرية ، فغزا بسر بن أبى ارطاه البحر سنة ٤٤ هـ ، وغزا مالك بن هبيرة السكونى البحر كما غزا عقبة بن عامر الهجنى بأهل مصر البحر وبأهل المدينة وعلى أهل المدينة المنذر بن الزبير وعلى جميعهم خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد سنة ٤٨ هـ(٦٨) •

وفى سنة ٤٩ هـ ـ ٦٦٨ م كان مشتى مالك بن هبيرة السكونى بارض الروم ، وارسلت **حملة استطلاعية تمهيدية** لاختبار خط الدفاع البيزنطي الامامي « فشتي بجربة ، وفتحت على يديه وأصاب منها سبيا كثيرا » ، ويبدو أن جزبة هى خرشنة وأنه حدث خطأ في النسخ كما يرجح الدكتور شعيرة • كما كانت صائفة عبد الله بن كرز البجلى ، وغزا يزيد بن شجرة الرهاوى فى البحر بأهل الشام وغزا عقبة بن نافع البحر بأهل مصر فشتى بهم • وقد استطاع فضالة أن يكتسح المعاقل البيزنطية فى طريقه الى خلقدونية • واغتنم المسلمون فرصة اضطراب شئون الروم الداخلية على أثر مقتل الامبراطور قنسطانز الثانى سنة ٤٨ هـ (٦٦٨م) اذ تطلع الى العرش الطامعون وتمردت فئات من الجند ، وثار سابور Saborius احد حكام المناطق المجاورة لأرمينية (بند الأرمنياق) وراسل معاوية للتعاون معه ، وكان فضالة قد وصل Hexapolis فى طريقه الى أدريانوبوليس ، Adrianopolis • ولكن الثورة قد أخمدت قبل أن يصل المسلمون الى ملطية ومات سابور فاتجه فضالة الى أن يشتو فى خرشنة Kharsianon فى بند الأرمنياق • ويشير المكان الى أن الجيش قد اختار أن يعسكر فى غربى البند لعزل العاصمة ولترك فرصة أمام السكان للمضى فى تمردهم • وقد نجحت الحملة واسرت كثيرين وتوقف فضالة فى الشتاء لتنظيم قوات انتظارا للمدد ، وبعث ابن الامبراطور المقتول مندوبا للصلح ، وتذكر شاتية لمالك بن هبيرة السكونى سنة ٤٨ ــ ٩ هـ عند كايتانى • ثم ما لبث معاوية أن صمم على

---

(٦٨) الطبرى جـ ٦ ص ١٠٣ ، ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ابن الاثير جـ ٣ ص ١٨٣ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ، اليعقوبى جـ ٢ ص ٢١٣ ــ ١٤ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٩٩ ــ ٢٠٠ ، Cheira: La Lutte entre Arabes et Byz. pp. 114:7.

مهاجمة العاصمة ، وسار يزيد بن معاوية على رأس مدد الى **القسطنطينية** سنة ٤٩ هـ ـ ٦٦٩م او سنة ٥٠ هـ ـ ٦٧٠م ومعه ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو أيوب الانصارى ومن هذا الجيش الرئيسى كان هناك فريق من الفرسان المختارين على راسه سفيان بن عوف ، ويذكر هنا أن يزيد كان قد تثاقل عن المسير فى أول الأمر ولما سمع بما أصاب جيش المسلمين فى غزواتهم من جوع ومرض انشأ يقول :

أهون على بما لاقت جموعهم	يوم الطوانة من حمى ومن موم
اذا اتكأت على الانماط مرتفقا	بدير مروان عندى أم كلثوم

وأم كلثوم امرأته فبلغ معاوية شعره فأقسم عليه ليحلقن بالمسلمين فى أرض الروم ، فذهب الى جيش المسلمين الذى رابط شتاء فى خلقدونية وقد استولى المسلمون على عمورية فى فريجيا وتركوا فيها حامية من ٥٠٠٠ رجل • ويشار أيضا الى صائفة لعبد الله بن قرظ الباهلى لعلها اضطلعت بحراسة الحدود • وقد استمر حصار القسطنطينية من ربيع سنة ٦٦٩ م الى صيف العام نفسه • **ولم ترد اشارة الى اشتراك الأسطول الاسلامى فى عمليات الحصار** ، وربما اجتاز المسلمون المضايق عن طريق القوارب والمراكب وفى خلال الحصار كان يقع القتال فى بعض الأيام كما تذكر بعض الروايات ، بينما يذكر البعض الآخر أن سفيان هاجم ميناء الذهب مع ٣٠٠٠ رجل ، وتذكر روايات أخرى أن السكان تحصنوا خلف الأسوار القوية للعاصمة ، بينما أغار المسلمون على تراقية Thrace وقد ولى بيزنطة الامبراطور قسطنطين الرابع (٦٦٨ : ٦٨٥ م) ، وحاول المحاصرون اختراق الحصار منتهزين فرصة انشغال جيش المسلمين بغاراته فى تراقية ، ولكن المسلمين تظاهروا بالانسحاب ثم انقضوا على المهاجمين وأعملوا فيهم القتل والأسر حتى لاذوا بأسوار مدينتهم وقبعوا داخلها مرة أخرى ، وأثار ذلك حنق الامبراطور ، وتدل هذه الحادثة على اضطراب أمور الدفاع البيزنطى • على أن الحصار لم ينجح ، وبقيت العاصمة منيعة ثابتة • وكان حظ المسلمين من الغزو تهديدهم للمدينة وتغنيهم بمفاخرهم فى تلك الحملة ، وقد دأبوا على الأمل فى فتح القسطنطينية. وتذكر القصص أن يزيد أبدى من الشجاعة والقوة على أسوار القسطنطينية ما أكسبه لقب (فتى العرب) ، وكانت صيحات التهليل تسمع على التعاقب من خيمتين منفصلتين عندما كان العرب أو البيزنطيون فى المعركة وكانت فى احدى الخيمتين ابنة ملك الروم وفى الأخرى ابنة جبلة بن الأيهم وهى التى كانت تهلل لانتصارات العرب وطمع يزيد فى سبيها • ثم رجع يزيد وجيشه الى الشام ، وقد توفى أبو أيوب الأنصارى عند

القسطنطينية فدفن بالقرب من سورها ، فأهلها يستسقون به وكان قد شهد بدرا واحدا والمشاهد كلها مع الرسول وشهد صفين مع على » ۰ وقد شاعت رواية تقول ان نورا كشف عن موضع قبره أثناء حصار الأتراك للقسطنطينية سنة ١٤٥٣ م ، وقد أقيم عليه مسجد ۰

وتعددت بعد هذه الحملة الشواتي والصوائف سنويا حتى نهاية حكم معاوية ، ويجوز أن يكون حصار القسطنطينية قد استغرق أكثر من صائفة بسبب الاختلاف فى سنة استشهاد أبى أيوب الأنصارى مابين سنتى ٤٨، ٥٢ هـ ۰ ولم تذكر أخبار الانسحاب بالتفصيل ، وقد أشير الى أن الحامية العربية فى عمورية قد هاجمها أندرياس Andreas فى الشتاء هجوما ساحقا ، وباستثناء ذلك عادت القوات العربية من حصارها للقسطنطينية دون خسائر كبيرة ۰ وفى العام نفسه ٤٩ هـ ، ٦٦٩ م **هاجم الأسطول البيزنطى ساحل الشام ردا على الحصار الاسلامى للقسطنطينية ، وقد يكون لهذا الهجوم حقق بعض النجاح اذ حاول الخليفة علاج الأمر باقامة دور الصناعة بالشام** فروى البلاذرى « قالوا : لما كانت سنة ٤٩ ، خرجت الروم الى السواحل ، وكانت الصناعة بمصر فقط فأمر معاوية بن أبى سفيان بجمع الصناع والنجار فجمعهم ورتبهم فى السواحل ، وكانت الصناعة فى الأردن بعكا » ۰ وفى نفس العام قام اسطول الشام بحملة بحرية لشل الأسطول البيزنطى أثناء اختراق القوات الاسلامية للمضايق فى طريقها الى القسطنطينية ۰ ولكن السفن العربية لم تقابل الاسطول البيزنطى الذى هاجم سواحل الشام ، وشتت فى قبرص ۰ وفى سنة ٥٣ هـ ، ٦٧٣ م هاجم الاسطول البيزنطى المدينة المصرية الساحلية **البرلس** وقد قتل واليها فى المعركة ۰

على أن ثمة مصادر مسيحية تصف حملة بحرية اسلامية على القسطنطينية بشىء من الاسهاب دون أن تحدد تاريخها ، فكانت تضم ٣٠٠ مركب ثقيلة عليها أسلحة الحصار من المنجنيقات وتحمل الواحدة ألف رجل ، ٥٠٠ مركب خفيفة تحمل الواحدة مائة ۰ وقد أخضع الأسطول فى طريقه سكان السواحل ، ووصل القسطنطينية واستمر محاصرا لها سبع سنوات ، ومن هنا **يرجح أن يكون حديث هذه المصادر عن الحصار الثانى للقسطنطينية** ۰ ولم يدخر البيزنطيون وسعا فى تقوية وسائل الدفاع عن القسطنطينية والطرق المؤدية اليها ، وكان ركن الشاطىء الأوربى المواجه لآسيا الصغرى الذى تقع عليه القسطنطينية ينتظم بندا قائما بذاته وان كان يعتمد فى الدفاع على بنود آسيا الصغرى ، وقد نظم البيزنطيون

موارده الغذائية وكانت تأتيه من اليونان وجزر بحر ايجة وسهول القمح على شواطىء البحر الأسود الشمالية (٦٩) ٠

وقد ظهرت في الحملات الاسلامية المتتابعة ضد الروم بعد ذلك أسماء القادة الأمويين : بسر بن أبي أرطاه وسفيان بن عوف وفضالة بن عبيد الأنصاري وعبد الرحمن ابن أم الحكم ، وقد تتابعت غزواتهم سنة ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ هـ ٠ وتجرى هذه الحملات على النسق المألوف ، صوائف وشواتي ، ولكنها تشن غارات أضعف من قبل ٠ وتقتصر الروايات على ايراد أسماء القواد ، ويبدو أن حملة سنة ٥١ هـ ، ٦٧١ م أحرزت بعض النجاح وأكثرت من القتلى والاسرى ، وقد قتل سفيان في حملة ٥٢ هـ ، ٦٧١ م ، ولانعرف أين قتل هذا القائد وقد حل محله عبد الله بن مسعدة ٠ وفي عامي ٥٣ ، ٥٤ هـ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ م لا تحوى الحوليات سوى أسماء القادة ٠ **وبجانب الحملات البرية كانت هناك حملات بحرية سنوية منتظمة** اذ اتجه العرب الى استعادة ما فقدوه أثناء الفتنة فقد غزا فضالة بن عبيد الأنصاري البحر سنة ٥٠ هـ (٧٠) ٠ وفتح جنادة بن أمية الأزدي رودس، واسترجع المسلمون قبرص ، وبدأ ذلك سنة ٤٢ هـ ، ثم أرسلت حملة سنة ٤٤ هـ ، ٦٦٤ م في نفس الوقت الذي سارت فيه حملة عبد الرحمن بن خالد الى آسيا الصغرى وقد أقام معاوية في الجزيرة « اثنى عشر الفا كلهم أهل ديوان ، ونقل اليها جماعة من بعلبك ، وبنى بها مدينة » ٠ وكان للأسطول المصري جولة بحرية سنة ٤٦ هـ ، ٦٦٦ م ، في احدى الجهات ، كما كانت له حملة سنة ٥١ هـ ، ٦٧١ م لا نعرف عنها شيئا ٠ بينما نجد أسطول الشام سنة ٥٠ هـ ، ٦٧٠ م يستتو في صقلية التي هاجمها أسطول مصر في العام السابق ثم يسير في حملة بقيادة فضالة سنة ٥٤ هـ ـ ٦٧٣ م وقد اشتد النشاط البحري الاسلامي منذ مهاجمة رودس سنة ٤٧ هـ ـ ٦٦٧ م حتى سقطت بعد ٧ سنوات سنة ٥٤ هـ ـ ٦٧٤ م

---

(٦٩) ابن الاثير جـ ٣ ص ١٩٧ ، المسعودي مروج الذهب جـ ٢ ص ٦٧ ، اليعقوبي جـ ٢ ص ٢٠٣ ـ ٤ ، ٢١٤ ، حتى : تاريخ العرب ـ ترجمة نافع ـ جـ١ ص ٢٥١ ـ ٢ ، Hist. of Syria. pp. 443—4. الترجمة العربية جـ١ ـ ترجمة د. اليازجي ص٦٤ ـ ٧ دكتور ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية جـ ٢ ص ٤٢ : ٦ ، د. رستم : الروم جـ ١ ص ٢٦٠ ـ ١ ، دكتور العدوي : الامويون والبيزنطيون ص ١٥٤ : ٨ ، ١٦٤
Cheira : La Lutte entre Arabes et Byz. pp. 119:122, Brockelmann : Hist. of Isl. Peop. p. 74.

انظر ايضا بحث شنيدر : قبور الصحابة في القسطنطينية ، مترجم في كتاب للدكتور صلاح المنجد : المنتقى من آثار المستشرقين ٠

(٧٠) الطبري جـ ٦ ص ١٣١ ، ١٤١ ، ١٦١ ، ابن الأثير جـ ٣ ص ١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢١٠ ـ ٢١١
Cheira : La Lutte entre Arabes et Byz. pp. 123, 135.

ونزلها المسلمون « فكانوا على حذر من الروم وكانوا اشد شيء عليهم فيعترضونهم في البحر فيقطعون سفنهم ، وكان معاوية يدر لهم الارزاق والعطاء وكان العدو قد خافهم » ٠ وهكذا صارت رودس قاعدة هامة للمسلمين مثل قبرص وسيصير لها دورها الكبير واسطولها الدائم واثرها على بحرية العدو ٠ وقد بدا أن المسلمين اخذوا يخوضون البحر دون وجل ، ويرضون طموحهم الى الفتح ٠ وتحت قيادة عبدالرحمن بن خالد تنشط الأسطولان الشامي والمصرى وعلى كل قائده الخاص (مالك بن هبيرة السكوني وعقبة بن عامر الجهني على التوالى) ٠ وقد قيل ان غزو رودس كان سنة ٦٠ هـ ، وربما تعددت الحملات عليها ٠ وفتح جنادة أيضا جزيرتين أخريين سنة ٥٤ هـ ـ ٦٧٤ م احداهما **أرواد** قرب القسطنطينية التى أقام فيها حامية « وأقام المسلمون بها دهرا فيما يقال سبع سنين ٠٠ وجاء نعى معاوية وكتاب يزيد بالقفل ، فلم تعمر بعد ذلك ، وخربت وأمن الروم » ، والأخرى **اقريطش** التى غزيت بعد فتح ارواد ٠ ولا يعرف المقصود بالضبط بجزيرة أرواد الآن فلعلها احدى جزر الخليج (مرمرة) مثل مصطكى ، وقد تكون تسمية أخرى لرودس كما يرى الدكتور شعيرة بسبب أن غزوها وغزو رودس كان على يد جنادة فى نفس العام فضلا عن أن حكم المسلمين فى كليهما استغرق نفس المدة ـ ٧ سنوات منذ فتحها ٠ وقد تكون هى Cyzicus التى ذكرها تيوفانيس وكان العرب يشنون غاراتهم منها على القسطنطينية ٠ كذلك غزيت **صقلية** أيام معاوية « وكان أول من غزاها ، ولم تزل تغزى بعد ذلك » ـ على حد تعبير البلاذرى ، حتى تم فتحها أيام الأغالبة ٠ وقد شن الأسطول الاسلامى المصرى من ٢٠٠ سفينة بقيادة معاوية بن حديج غارة على صقلية لعلها فى سنة ٤٩ هـ ـ ٦٦٩ م ، واستفادت هذه الغارة من الظروف القائمة فى الجزيرة منذ مصرع قنسطانز الثانى على أرضها سنة ٤٨ هـ ـ ٦٦٨ م ، اذ أقامت ثورة هناك ميزيزيوس Mizizios على العرش ، وسار قسطنطين الرابع الذى خلف أباه الى صقلية واستدعى قواته فى المغرب ٠ وقد ساعد الحصار البحرى الاسلامى للقسطنطينية على توطيد سيادة العرب على البحر ٠ والى هذه الفترة يرجع نمو التنظيم البحرى فقد انشئت دور الصناعة بالشام ، وظهر الأسطول الاسلامى بافريقية الى الوجود (٧١) ٠

---

(٧١) الطبرى حـ ٦ ص ١٦١ ، ابن الأثير حـ ٣ ص ٢١١ ، البلاذرى : فتوح البلدان ١٦٠ ، ص ٢٤٤ ، دكتور ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية حـ ٢ ص ٤٦
Cheira : La Lutte entre Arabes et Byz. pp. 128, 132:6,
Brockelmann : Hist. of Isl. Peop. pp. 74-5.

وفي أرمينية عمل حبيب بن مسلمة والى الجزيرة بعد نهاية الفتنة الداخلية سنة ٤١ هـ ـ ٦٦١ م على عقد اتفاق محلى مع القائد البيزنطى (قائد الارمينياق كما يحتمل) لاطالة أمد الاتفاق المعقود بين المسلمين والروم من قبل سنة ٣٧ هـ • وفي سنة ٤٢ هـ (صيف عام ٦٦٢ م) استؤنف القتال فسارت حملة بقيادة بسربن أرطاة فواجهت قوات الروم يعينها اللان عند قاليقلا فانتصر المسلمون وقتل بعض البطارقة • وكان المقصود من هذه الحملة منع عودة الروم الى أرمينية بعد أن استعادها العرب سنة ٦٦٦١ م • وتقترن هذه الحملة بعودة جرجوار ممكونيان Gregoire Mamikonian سنة ٦٦٢ م من دمشق حيث كان يقيم هناك رهينة منذ سنة ٦٦٥ م وتنصيبه حاكما على أرمينيـة من قبـل العرب ، وقد مكن استقرار الأمر فى أرمينية المسلمين من توجيه اهتمامهم الى حملات آسـيا الصغرى • وقد نشطت عمليات الحـدود سنة ٤٨ هـ ـ ٦٦٨ م اذ ثار سابور Saborius قائد بند الأرمنياق فأرسل الى معاوية (سرجيوس) يطلب معونته ، وأرسل الامبراطور بدوره سفيرا من قبله يدعى اندرياس وربما كان ذلك سبب ازدواج حملتى الشتاء سنة ٤٧ هـ ـ ٦٦٧ م • ومن أجل ذلك أيضا رأينا حملة بقيادة عبدالله بن قيس الفزارى تقيم الصيف كله فى ملطية من ناحية ، ورأينا جيشا بقيادة فضالة الفقيه الشامى يتجه لنجدة الثائرين وللتعاون معهم فلما وصل هكسـابوليس Hexapolis من ملطية علم بوفاة سابور المفاجئـة • وكان هناك جيش بيزنطى فى الطريق الى بند الأرمنياق ، يقصد أدريانوبوليس Adrianopolis حيث قيادة الثورة ، وقد سهل عليه اخمادها بعد وفاة قائدها • ولم يتقـدم جيش فضالة ، لكن اشترك فى حصار القسطنطينية ، وقد استغل معاوية متاعب الروم لارسال حملته الى آسيا الصغرى ، وتوجيه الضرب للعاصمة البيزنطية (٧٢) •

هذا وقد كانت الحملات الأموية فى افريقية موفقة ، **ولم يكن هناك نظام للثغور كما فى الشام والجـزيرة ، وانما كانت ترسـل الحمـلات من الفسطاط ثم تعود** بعد انتهائها ورابط عقبة بن نافع فى نواحى برقة فى الشمال وزويلة فى الجنوب لغزو البربر وتحويلهم للاسلام • وقد سعى معاوية الى انشاء قاعدة للعسكر فى افريقية ، وربما دفعه الى ذلك خوفه من محاولة بيزنطة استعادة نفوذها فى افريقية ، « فاختط عقبة بن نافع **قيروانها** وقطعها للناس مساكن ودورا وبنى مسجدها » • وبذلك اصبح

(٧٢) Cheira : La Lutte entre Arabes et Byz. pp. 113-4, 117:9

للعرب معسكر متقدم في افريقية يقف قلعة حصينة أمام قبائل البربر الجريئة المتعددة في جبال أوراس ، ويؤدى تلقائيا الى انحسار النفوذ البيزنطي ، وما لبث أن قام أسطول اسلامى جديد ينشط في تلك المنطقة البحرية الهامة (٧٣) ٠

الحصار الثاني للقسطنطينية ٥٤ : ٦٠ هـ ـ ٦٧٤ : ٦٨٠ م :

يعرف الغزو الثانى للقسطنطينية **بحرب السنوات السبع** التى دارت رحاها بين المسلمين والبيزنطيين أمام القسطنطينية ٠ **وكانت البنود البحرية البيزنطية لا تزال في دور التكوين عاجزة عن الصمود أمام سفن المسلمين الفتية ٠**

وقد رسى العرب سنة ٥٤ هـ ـ سنة ٦٧٣ م على ساحل ليكيا ، فاعترضهم ثلاثة من قواد الروم بقواتهم فقتلوا الآلاف وضطروا الباقين الى الانسحاب الى البحر ، حيث تابعت الأسطول الاسلامى سفينة بيزنطية أحرقته ، ولكن قاعدته واصلت الحصار وهى التى تطلق عليها الروايات العربية اسم جزيرة ارواد وتجعلها قريبة من القسطنطينية قاعدة لعملياتهم الحربية ولعلها جزيرة كيزيكوس أو رودس ٠ وظلت الأساطيل الاسلامية تنقل الجنود من هذه الجزيرة الى البر لمحاصرة أسوار القسطنطينية في حين كان الأسطول يكمل حلقة الحصار بأن تقف سفنه بين رأس Hebdomon التى تبعد سبعة أميال عن أسوار المدينة ، وبين راس Kiklobios قرب باب الذهب ٠ وشتا المسلمون في الأراضي البيزنطية سنة ٥٦ ، ٥٧ هـ ٦٧٦ م ٠ وكانوا يقضون الشتاء في كيزيكوس أو هبدمون وكان الحصار البرى والبحرىللقسطنطينية يستمر شهور الربيع والصيف تحدث خلالها مناوشات بين أساطيل المسلمين والبيزنطيين ، بينما تتراشق القوات البرية بالقذائف والسهام ٠ **على أن الدكتور شعيرة يرى أن الحصار الثاني للقسطنطينية كان بحريا** ، وأن تشتيت الأساطيل الاسلامية المختلفة يثبت أن العرب لم يقصدوا الى حصار بيزنطة حصارا مزدوجا من البر والبحر فىنفس الوقت٠ وتقول المراجع البيزنطية ان هذا الحصار كان حول العاصمة البيزنطية ذاتها بينما يروى المؤرخون العرب أخبار حصار يشمل المنطقة البحرية من رودس الى القسطنطينية ، فهو نوع من اغلاق تلك المنطقة blocus ٠ وتتكامل الروايتان ، اذ أن العرب كانوا يقتنصون السفن

---

(٧٣) الطبرى حـ ٦ ص ١٣٤ ، ابن الأثير حـ ٣ ص ٢٠٠،
Cheira : La Lutte entre Arabes et Byz. p. 130:2
دكتور ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية حـ ٢ ص ٥٧ : ٩ ٠

البيزنطية فى عرض البحر ويدمرونها ، ومثل هذه العمليات المختلفة كانت تهديدا خطيرا احس الروم بوطاته ، كما ان هجمات المسلمين اتجهت الى سواحل آسيا الصغرى والى الجزر • وقد كانت رودس مركزا هاما لعمليات الحصار ، وهاجم المسلمون كريت بنجاح سنة ٥٩ هـ ـ ٦٧٩ م وربما امضوا هناك فصل الشتاء •

وقد صمدت القسطنطينية للحصار ، سيما وان قسطنطين الرابع كان قد ملأ خزائنها بالمؤن والعتاد وأصلح أسوارها قبل هجوم المسلمين بزمن يسير •

وكانت السفن تعود بالجند الاسلامى الى جزيرة أرواد لقضاء فصل الشتاء ، وفى مطلع الربيع تكر لحصار المدينة الذى يستمر طوال الصيف • ويظهر من ثنايا الحوليات البيزنطية ومن المراجع الأوربية التى اعتمدت عليها أن أهم عامل أنقذ القسطنطينية من الحصار العربى هو (النار الاغريقية) ، التى كان قد توصل اليها سورى نازح الى القسطنطينية يدعى Callinicus وكانت السفن البيزنطية تقذف هذه النار فلا يطفئها الماء بل تزداد اشتعالا • غير أن مراجعة أخبار الحصار الاسلامى تكشف عن أن العامل الأول فى صمود القسطنطينية انما يرجع الى موقعها الجغرافى وطبيعة التيارات المائية التى تحيط بجهاتها الساحلية •

وتروى المراجع الاسلامية أسماء القواد المسلمين فحسب فى الحملات البرية المتتابعة ما بين سنة ٥٤ ، ٦٠ هـ ، ٦٧٤ : ٦٨٠ م ومنهم محمد بن مالك ومعن بن يزيد السلمى وسفيان بن عوف الأزدى وجنادة بن أبى أمية ومالك بن عبد الله الخثعمى وعبد الله بن قيس الفزارى وغيرهم ، ولا نجد سوى أخبار الشواتى ، ولايمكن القول بضعف النشاط صيفا وربما يكون قد حل محل النظام الذى كان سائدا فى السنوات الأولى نظام تواصل فيه الصائفة مهمتها شتاء باطالة مدة الخدمة ، وقد تكون اقامة حملة واحدة مدة طويلة دليلا على مدى الأمن الذى كانت تحسه هذه الحملات فى أرض العدو وبسبب الحصار البحرى للقسطنطينية • ومنذ سنة ٥٥ حتى ٥٩ هـ (٦٧٥:٩ م) سارت الحملات الصائفة الشد expeditions estivo-hivernales آسيا الصغرى • وفى سنة ٥٩ هـ (٦٧٩ م) ارسلت حملة الى **كمخ** التى توالت عليها الحملات من قبل ، وكانت القلعة الشرقية للأرمنياق ، وقد أدى الاستيلاء عليها الى امتداد الحدود وتأمين مدخل ارمينية من أرضروم ، وقد كان ذلك بجهود عمير بن الحباب السلمى الذى اعتلى الأسوار وتابعه المسلمون فأخذوا المدينة على غرة • وفى سنة ٦٠ هـ ـ ٦٨٠ م قاد مالك الصوائف حملة الى **ايسوريا** Isaurie واستمرت الحملة على ما يبدو

طوال الشتاء ، ويضيف لامانس صائفة فى الأناضول Anatolie بقيادة يزيد بن معاوية . ويرى الدكتور شعيرة أن هـــذه الحملات لم تخل من تنظيم ، فان نجاحها سنة ٥١ هـ ـ ٦٧١ م والاستيلاء على كمخ ووقائع حملة ايسوريا من شواهد ذلك . على أن الاندفاع العربى فى آسيا الصغرى فى خلال هذه السنوات العشرة لم يكن من القوة مثلمـا كان فى السنوات العشرة السابقة ، ويبدو أن أية حملة لم تتوغل كثيرا فى اتجاه العاصمة التى ضرب الأسطول الاسلامى عليها الحصار سبع سنوات ، وهكذا لم يتجه العرب الى الاستيلاء على عاصمة العدو بجد وعزم .

وكانت هناك **حملات بحرية** تظاهر الحصار البرى للقسطنطينية ، مثل حملة أرواد وحملة رودس بقيادة جنادة (ولعلهما حملة واحدة كانت ضـد رودس كما أسلفنا) . وقد كان لأسطول الشام نشاط فى هذه العمليات البحرية بجانب الأسطول الدائم لرودس بعد فتحها ، وقد شتا الأسطول الاسلامى سنة ٥٦ ـ ٧ هـ (٧٧٦ ـ ٧ م) ، ٥٨ ـ ٩ هـ (٦٧٨ ـ ٩ م) فى قبرص أو رودس ، وان لم يوفق فى كل عملياته وقد غزا يزيد بن شجرة الرهاوى فى البحر سنة ٥٦ هـ ولقى مصرعه مع عدد من رفاقه فى حملتـه سنة ٥٨ هـ ـ ٦٧٨ م مما يشير الى هزيمة للمسلمين . وليست هنا اشارة الى مشاركة الأسطول المصرى . وقد تحـرك الأسـطول البيزنطى فصـد الاسطول الاسلامى فى محاولته الرسو على شواطىء ليكيا .

وقد استعان الروم على المسلمين **بالجراجمة** ، فيقـول تيوفانيس : « خرج المردة من لبنان فضبطوا كل ما كان من الجبل الأسود (المعروف اليوم بالجبل الأقرع فوق السويدية) الى المدينة المقدسـة أورشليم ، واستحوذوا على قمم لبنـان وانضـم اليهم كثيرون من العبيـد والأسرى والوطنيين حتى أصبح عددهم فى مدة وجيزة ألوف كثيرة . وسمع معاوية واصحاب مشورته بذلك فخشـوا جدا من عاقبتـه وأرسلوا **وفدا الى قسطنطين الملك يطلبون الصلح ويعدون بوفاء جزية لكل سنة** فتقبل الملك وفدهم بالاعزاز والتكريم ، وأرسـل معهم الى سوريا البطريق يوحنا المسمى بتسيكود ـ وكان من رجال الندوة فى حكومته ومتصفا بالخبرة والحكمة ويحسن التعاطى والمداولة مع العرب ليتفـق معهم على شروط الصلح . ولما بلغ سوريا قابله معاوية بالترحاب وعقد ديوان مشورته ، وبعد المداولة بشروط الصلح قر رأيهم على كتابة عهدته موثقة باليمين : على أن يدفع العرب كل سنة للرومانيين ثلاثة آلاف ذهب وثمانية آلاف أسير وخمسين جوادا من الخيل الجيـاد . وأبرم الصلح بين الرومانيين والعـرب على هذه الشروط الى ثلاثين سـنة ، ودونت العهـدة ووقع على

نسختين منها لكل فريق نسخة • وعاد ذاك الرجل الشهير البطريق يوحنا المتواتر ذكره الى الملك بهدايا نفيسة جدا » • وقد حمل الأسطول البيزنطى سنة ٥٧ هـ ـ ٦٧٦ م (المردة) ـ وهم الجراجمة ـ وانزلوهم على سواحل الشام فى صور وصيدا ليشغلوا المسلمين عن أية معارك فى الخارج محتمين بسلسلة جبال لبنان • وقد نجحت التجربة ، ولكن نتائجها لم تكن خطيرة عاجلة بالنسبة للعرب •

وانتهى حصار القسطنطينية الى أن انسحب الأسطول العربى من مياه البوسفور وبحر ايجة ، وتم هذا الانسحاب عند اخلاء جزيرة رودس ـ وفقا لرواية المؤرخين العرب وقبل هذا الوقت فى رواية المؤرخين البيزنطيين الذين يقولون أن الأسطول الاسلامى قاسى هزيمة بحرية خلال انسحابه وذلك بالقرب من Sylleum على ساحل بامفيليا • **ونظرا لعقد صلح بين المسلمين والروم مال فى أواخر أيام معاوية سنة ٦٠ هـ ـ ٦٨٠ م ، فان فلهوزن وديل يستنتجان أن ذلك كان بسبب الهزيمة البحرية عند القسطنطينية** وفقا لما يرويه تيوفانس ، فضلا عن هجمات (المردة) بمساعدة الروم• **أما لامانس فيرى أن سبب طلب الصلح هو الشعور بعدم جدوى مثل هذه الحملات المضطربة** والمشروعات التى لا تستند الى خطة فى الحرب أو قصد للفتح الثابت المستقر • على أنه وان كان من المعقول أن يحدث الشعور بالفوز أثره فى نفوس البيزنطيين ، الا أن **الدافع الاكبر للصلح انما كان يرجع الى الظروف الداخلية للدولة الاسلامية الناجمة عن العهد ليزيد** • وقد خرج صلح العرب مع الروم الى حيز التنفيذ فى عهد يزيد فاستفاد منه ليتجه بكل طاقته لعلاج المشكلات الداخلية •

ويمثل الصراع الكبير بين المسلمين والبيزنطيين عند القسطنطينية ذروة النشاط العربى ، فقد حاصر المسلمون القسطنطينية مثل هذا الحصار أو بدرجة أكبر أو أصغر ، لكنهم لم يتجهوا الى فتح حاسم اذ كانوا يعرفون استحالته ، واكتفوا برؤية بيزنطة الشامخة تنزل من عليائها ولكن المدينة تلقت أشد الضربات دون أن تحنى رأسها بل كانت تقوم بردها• ولم يتراجع أحد الخصمين وقد ملأت المسلمين دائما روح الجهاد وحفظت عليهم الحركة الدائمة واقدام الفروسية . **وقد شملت جهود معاوية واليا وخليفة البحر المتوسط من صقلية الى آسيا الصغرى** ، ويقول ميشيل السورى أن هيبة معاوية سادت فى كل مكان • وفى تلك الفترة من التاريخ لم يعد المسلمون يتطلعون الى مزيد من الفتوحات لأقطار مثل الشام أو مصر أو فارس ، أما هذه الأقطار التى سبق فتحها فقد اعتبرت أجزاء من صلب الدولة وأعضاء فى جسمها • وحول تلك الدولة المترامية الأطراف وجدت

أقاليم مدت الدولة اليها نفوذها ، وقد جمع بينها الزهو بالانتماء الى هذه الدولة الظافرة المجيدة مع الحفاظ على الطابع القومى الخاص • وتتابعت الصوائف عاما بعد آخر طالما كانت حالة الدولة الاسـلامية فى الداخل مستقرة تسمح بذلك (٧٤) •

وبنجاح قسـطنطين الرابع Pogonarus **(٦٦٨ ـ ٦٨٥ م) فى صد العرب عن القسطنطينية وفى عقد اتفاقية السلم لصالح البيزنطـيين حمى الامبراطور البيزنطى أوربا الغربية كلها لا القسـطنطينية فحسب** من الخطر الاسلامي ، وقد أدى نجاحه في هذه المهمة التاريخية التى تمتعه بنفوذ كبير فىالغرب • ويذكر أحد كتاب الحوليات أن نبأ انتصار قسطنطين حينما وصل الى خان الآفار وغيره من الملوك الغربيين أرسـلوا السفراء بالهدايا الى الامبراطور وطلبوا عقد صلات السلم والصداقة • غـير أن هناك من **القبائل البربرية** على الحدود الشمالية للدولة البيزنطية مناقتنص فرصة انشغال قسطنطـين الرابع فى الدفاع عن عاصـمته وانقض على الولايات الأوربية التى كانت الجيوش البيزنطية قد انسحبت منها لمقاومة العرب ، وأتى **السلاف** من الداخل وحاصروا سالونيكا مدة سنتين ولم تنج من هجماتهم الا عندما نفض قسطنطين يده من حرب معاوية • ولكن عدوا آخر قام بهجوم أشد خطرا فى الجزء الشرقى من شبه جزيرة البلقان ـ وهم **البلغار** الذين أتوا الى الدانوب وأخضعوا السلاف واستقروا بين الدانوب ومنطقة البلقان الشرقية فى الجهة التى ما زالت تحمل اسمهم حتى الآن ، وأقاموا من القبائل السلافونية المشتتة دولة قوية واحدة قدر لها أن تكون جارا متعبا للامبراطورية البيزنطية طويلا • وتعتبر سنة ٦٧٩ م السـنة الأولى من حكم أول ملوك بلغاريا ، وكان قسطنطين الرابع متعبا جدا من جراء حربه الطويلة مع معاوية فلم يبذل محاولة جـدية لرد البلغار الى ما وراء الدانوب ، وانقضت السنوات الأخيرة من حـكمه فى سـلام (٧٥)•

(٤٧) الطبرى حـ ٦ ص ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ، ابن الأثير حـ٣ ص٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، حـ٤ ص٢ ، اليعقوبى حـ٢ ص ٢١٤، البلاذرى: فتوح البلدان ص١٦٥ ـ ٦ ، حتى : تاريخ العرب • ترجمة نافع حـ١ ص ٢٥٢ ـ ٣ Hist. of Syria. pp. 444-5 والترجمة العربية حـ ٢ ترجمة د• اليازجى ص٤٧:٩ د• رستم • الروم حـ ١ ص ٢٦٢ ـ ٣ ، أومان : الامبراطورية البيزنطية ، ترجمةدكتور بدر ص ١٣٤ ، دكتور العدوى : الامويون والبيزنطيون ص ١٦٤ : ٨ ، الدبس : تاريخ سوريا م ٥ ص ١٠٥ ـ ٦ •

Cheira : La Lutte entre Arabes et Byz. pp. 123:5, 136, 137:9, 144, 45:7 Brockelmann : Hist. of Isl. Peoples p. 74, Gaudefroy-Demombynes, Platonov : Le Monde Musulm. et Byz. pp. 164-5, 463-4.

(٧٥) Vasiliev : L'Emp. Byz. Vol. I. pp. 234-5,
اومان : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية • ترجمة دكتور بدر ص ١٣٤ ـ ٥

عصبيات وفتن :

يزيد بن معاوية (الأول) ٦٠ : ٦٤ هـ ـ ٦٨٠ : ٦٨٣ م
معاوية بن يزيد (الثاني) ٦٤ هـ ـ ٦٨٣ م
مروان بن الحكم ٦٤ : ٦٥ هـ ـ ٦٨٣ : ٦٨٥ م
عبد الملك بن مروان ٦٥ : ٨٦ هـ ـ ٦٨٥ : ٧٠٥ م

توفي معاوية سنة ٦٠ تاركا الدولة الاسـلامية تجتاز مرحلة من الاضطراب الداخلي والنزاع على الخلافة بين أبنائه وكبار رجالات الدولة الاسلامية اذ ذاك حتى أيام عبد الملك بن مروان فأتيح للدولة البيزنطية أن تنعم بثمار نجاحها في الدفاع عن القسطنطينية • وكان عرش **يزيد** فوق فوهة بركان ، فلا عجب أن ركز اهتمـامه كله على توطيد الكيان الداخلي والافادة من آثار الصلح الذى كان قد عقده أبوه مع البيزنطيين والانصراف تماما عما يستثير المناوشات معهم ، ومن هنا **رأيناه في قبرص يرسل باقفال البعوث التي كان معاوية قد أرسلها هناك ، كما أمر بهدم المدينة • وقد اتبع السياسة نفسها في رودس** التي كان قد نزلها المسلمون وزرعوا واتخذوا بها أموالا ومواشي فاذا أمسوا أدخلوها الحصن « وكانوا أشد شيء على الروم فيعترضونهم في البحر فيقطعون سفنهم ، وكان معاوية يد لهم الأرزاق والعطاء ـ وكان العدو قد خافهم • فلمـا مات معاوية أقفلهم يزيد بن معـاوية » • وقد تكون رودس هي جزيرة أرواد التي أقام المسلمون بها نحو سبع سنين « وجاء نعي معاوية وكتاب يزيد بالقفل ، فقفلنا فلم تعمر بعد ذلك وخربت وأمن الروم (٧٦) » • فلا عجب اذن أن يقول فلهوزن عن يزيد الذى ظهر اسمه في حصـار القسطنطينية في خلافة أبيه ، انه لم يستطع أن يواصل جهاده حين ولى الخلافة اذا استهلكت طاقته الاحداث الداخلية « فوضع حدا للحرب التي استمرت مع الروم سنين كثيرة » • ولم يعد الأسطول البيزنطي في البحر المتوسط يواجه منافسا ، وبذلك لم يكن هناك محل لأى صراع (٧٧) • وحين كانت الدولة الأموية مشغولة بقتال الحسين ابن علي ، عرض الحسين أن يدعه جيش الأمويين ليلحق بالثغور ، ولكن عبيد الله بن زياد رفض هـذا العرض اذ كان الأمويين يتجهـون لاخمـاد الفتن الداخلية بكل قواهم (٧٨) •

(٧٦) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٦٠ ، الطبرى : حـ ٦ ص ١٦١ ، ١٦٤ رواية محمد بن عمر ، ابن الأثير حـ ٣ ص ٢١١ ـ ١٢
Cheira : La Lutte entres Arabes et Byz. p. 136.

(٧٧) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ـ ترجمة د• أبي ريدة ص ١٦٥ ،
Cheira : La Lutte entre Arabes et Byz. p. 149.

(٧٨) الطبرى حـ ٦ ص ٢٢٠ رواية زكريا بن يحيى الضرير عن أحمد بن جناب المصيصى

تمرد القيسية فى شمالى الشام والجزيرة :

وفى حياة معاوية الثانى بدأت فيما يظهر الاضطرابات فى الشام ، وقد جاءت هذه الاضطرابات **من جانب قبائل قيس الذين كانوا يسكنون بوجه خاص فى شمالى الشام وفى الجزيرة على جانبى نهر الفرات وفى قنسرين وقرقيسياء وحران** ، فيقال ان قبائل قيس كانت هى وحدها دون جميع أهل الشام هى التى امتنعت عن مبايعة معاوية وكانوا حانقين على ما كان لكلب من شأن بسبب يزيد وابنه معاوية لأن أم كل منهما كانت كلبية • ولعل النزاع بين اليمانية والقيسية يرجع الى عصبية جاهلية ، فقد كانت خزاعة اليمانية تسكن مكة قبل قريش وكانت الأوس والخزرج اليمانيتان تسكنان يثرب أيام النبى وربما كانت اليمانية تملك الجزيرة العربية كلها فى وقت من الأوقات حتى ان عرب الحجاز كانوا لهم رعية • ومن هذا الرأى دوزى Dozy وعلى العكس يرى المستشرق جولدتسيهر Goldzeiher أن العداوة بين القيسية واليمانية كانت أحدث ولم تظهر الا بظهور الاسلام ، اذ بدأت بشكل خطير فى حروب الردة والفتوح التى كانت عداء بين عرب الحجاز وقبائل يمانية • لذلك يرى فلهورن Wellhauzen أن العداوة بين كلب وقيس لم تكن موجودة قبل فتح الشام على يد المسلمين ولا قبل هجرة قبائل قيس الى الشام وان وجد تمايز فى النسب القديم بين قضاعة وقيس • وقد اشتدت الخصومة بينهم أول الأمر لأن قضاعة كانت متوطنة فى الشام من قبل بينما كانت قيس حديثة عهد بالهجرة ، وزادت حدة الخصومة حين اقتربت قبائل كلب من البيت الحاكم بعد مصاهرتها لمعاوية ، فامتلأت نفوس قيس بالحسد وانضموا الى ابن الزبير حين ارتفع شأنه بعد وفاة يزيد على حين حافظت كلب على ولائها للأمويين « وهكذا امتزج الخصام القبلى بالسياسة العليا وكانت مجموعات القبائل المرتبطة برابطة النسب هى بالاجمال الأحزاب السياسية التى كانت فى أصلها مستقلة عن القبائل ، أما فى العراق فقد كان عدد من القبائل العربية الشمالية قد أقاموا فى ديار بكر على طول نهر دجلة وفى ديار مضر على نهر الفرات وكانت قيس تحتل المكانة الأولى بين مضر ، بينما كان النفوذ لليمانية الكلبية فى الشام • كذلك كان عرب خراسان وشمال شرقى فارس من عرب الشمال وخاصة قبيلة [illegible] التى تقابل قيسا فى منطقة الفرات ، وكان الحزب اليمنى فى خراسان يسمون [illegible] • وكانت كلب تصاهر معاوية ، ومن قبله كانت تصاهر عثمان ، وقد أوصى معاوية يزيد بهم فكان يعتمد عليهم فى جيشه • **وأدى التعصب الأموى لليمن على حساب قيس ان تضعضع نفوذ القيسية مع انهم اصحاب**

الفتوح وهم الذين كانوا يحاربون في الثغور ضد البيزنطيين واشتهروا بسد الثغور مما جعلهم يبغضون بني أمية • غير أن معاوية كان حسن السياسة فاستطاع أن يمنع احتكاك اليمانية والقيسية وحارب بكليهما أهل العراق ، وفي عهد يزيد لم تعلن القيسية عصيانها كذلك وكان عامل دمشق الضحاك بن قيس الفهري وهو قيسي ، ولكن سنحت الفرصة أمام القيسية لتعلن غضبها بعد موت يزيد فمالت مع ابن الزبير • وكان لحسان ابن مالك بن بحدل الكلبي خال يزيد مركز قوى فى الدولة اذ كان العماد الأكبر لمعاوية الثانى كما كان أخو **سعيد بن مالك بن بحدل الكلبي أميرا على قنسرين** ، فرأت قيس أن اسناد الامارة عليهم وفى مدينتهم الى رجل من كلب لا يمكن أن يطاق فبدأوا بأن وثبوا عليه وأخرجوه من قنسرين ، وقد فعلوا ذلك تحت امرأة زفر بن الحارث الكلابى ـ وكان من قبل فى صفوف ابن الزبير يحارب يزيد وتبعته قيس بعد أن بويع لابن الزبير • **وهكذا كانت حمص وقنسرين المتاخمتان لاقليم الثغور والعواصم في أيدى الثوار على بنى أمية ، وكانت الجزيرة من أرض العراق أيضا معرضة لثورات القيسية الذين يسكنونها ويشايعون أعداء الأمويين** •

وانتشر الاضطراب في سائر أرجاء الشام حتىاضطر حسان بن مالك ابن بحدل أمير فلسطين الى الخروج الى الأردن ليكون أقرب الى دمشق ، أما الضحاك بن قيس فقد تأرجح موقفه واضطر أخيرا أن ينضم نهائيا الى جانب ابن الزبير • وفى المحرم من سنة ٦٥هـ ـ يوليو ٦٨٤م خرج مروان ابن الحكم ومعه قبائل اليمانية من كلب وغسان والسكاسك والسكون ونزلوا **مرج راهط** ـ وهو سهل شرقى دمشق فخرج اليهم الضحاك من دمشق فى جمع كبير من القيسية ومعه رؤساء الأجناد فى الشام ونزلوا بازائهم • فانتهزت اليمانية فرصة خروجهم واستولت على دمشق « وخرج الناس منهزمين من المرج الى أجنادهم وقتل النعمان بن بشير وهرب زفر ابن الحارث فلحق بقرقيسيا ، وناتل بن قيس فلحق بابن الزبير وأطبق اهل الشام على مروان واستوثقوا له واستعمل عليهم عماله » • وانتهت موقعة مرج راهط بانتصار كلب على قيس ـ التى كانت أكثر من كلب ضعفين أو ثلاثة أضعاف « ولكن النزاع بينهما لم ينته بذلك لأن قيسا كان لابد أن تثأر لقتلاها الكثيرين ، وكان البغض يتجدد فى كل مناسبة ليجد ما يشفيه ، وكان يلهب نيران العداوة حتى بعد أن زالت الأسباب السياسية •• وكانت قيس هى الموتورة فكانت هى التى بدأت ، وانما كانت كلب تدافع عن نفسها • **وقد اشتركت فى هذا العداء من قبائل قيس : قبائل عامر وسليم وغنى وباهلة ـ وذلك بمقدار الجماعات التى**

نزلت من هذه القبائل في شمال الشام وجنوب أرض الجزيرة على ضفتي الفرات ، أما في جانب كلب فكانت في سائر قبائل قضاعة • ولكن لم يدخل في القتال بالفعل الا قبائل كلب ، والمصادر لمعرفة الأيام المتباعدة أحيانا والتي كان فيها ذلك القتال الطويل هي القصـائد الشعرية التي ترجع الى ذلك العصر والحكايات المرتبطة بها » •

وعلى مسرح أرض الجزيرة المتاخمة للثغور ـ دارت الأيام بين قيس وكلب • واستطاع أمير جند قنسرين زفر بن الحارث بعد هزيمة المرج أن يلوذ بالفراد ويتخذ قرقيسياء على الفرات في المنطقة المعروفة بديار مضر قاعدة لحرب كلب « وتحصن زفر وثابت اليـه قيس » ، فاجتمعت اليه سائر قيس من كل مكان وخاصة من منطقة الثغور الجزرية ـ التي كان معاوية أنزلها بعض بني تميم وأخـلاط قيس وأسد وغيرهم ، فكانت القيسية تهاجم كلب البوادي والحضر على السواء • فاتحدت كلب ضدهم واتخذت تدمر قرب حلب مكانا لتجمعهم ، وتتابعت وقائع قتال لا ينتهي تشعله الثارات العصبية • ثم اشتعلت الحرب بين قيس وتغلب وهي قبيلة يمانية تسكن الجزيرة في المنطقة المعروفة بديار ربيعة غربي دجلة ، وكان معظمهم من البدو وهم من القبائل الحربية التي لها قدم راسخ في القتال والغارات ، وقد كانوا هموا باللحاق بأرض الروم حين طلبت منهم الجزية اباء وأنفة فأعفاهم عمر بن الخطاب منها • ومن أيام العرب الشهيرة التي دارت في أرض الجزيرة **يوم بنات قين** ـ وهو ماء ـ اذ غزا زفر بن الحارث الكلابي تدمر وعليها عامر بن الأسود الكلبي ، وقد فازت في هذا اليوم قيس على اليمانية • وحين أغار عمير بن الحباب السلمي مع زفر على بني تغلب كان **يوم ماكسين من** قرى الخابور بينها وبين رأس العين يوم أو يومان جاء **يوم ماكسين** من قرى الخابور بينها وبين رأس العين يوم أو يومان ـ وعلى رأس قيس عمير بن الحباب وعلى رأس تغلب شعيث بن مليل وقد فازت في هذا اليوم قيس على تغلب ، واستنجدت تغلب ببني النمر بن قاسط فقال لهم شيخها : لو كنتم من بني تغلب حقا لدافعتم عن أنفسكم وحرمكم ، فقالوا له : انا حي فينـا ما قد علمت من النصرانية ونصر مضر ، وأي السلطانين غلب فهو مع قيس ، فأجابهم : اذهبوا فان أمدهم السلطان بفارس فلكم فارسان وان السلطان اليوم لفي شغل عنكم وعنهم • وفي **يوم الثرثار الأول** ـ النهر الذي ينزع من هرماس نصيبين شرقي سنجار ويفرغ في دجلة ـ قتلت تغلب مقتلة كبـيرة من قيس ، فتجمعت قيس واستمدت عمير الحباب ومعهم زفر بن الحارث والخليفة عبد الملك بن مروان مشغول عنهم ، فثاروا من بني تغلب وقتلوها قتلا عظيما **في يوم الثرثار**

الثاني وتتابعت انتصارات قيس على تغلب في **يوم الفدين** ـ موضع لتغلب على الخابور ، **ويوم السكر** أو سكر العباس وهي قرية لتغلب على الخابور ، **ويوم المعارك** وهو موضع بين الحضر والعقيق من أرض الموصل ، **ويوم البليخ** ـ وهو نهر بين الرقتين ، **ويوم الكحيل** ـ من أرض الموصل عبر دجلة الغربي ، **ويوم البشر أو الرحوب** ـ وهو جبل عبر الفرات الغربي . وانتصرت تغلب في **يوم الشرعبية** ـ ببلاد تغلب ، **ويوم الحشان** ـ وهو تل قريب من الشرعبية وقد قتل فيه عمير بن الحباب وبعثت بنو تغلب برأسه الى عبد الملك بن مروان . ويدعى الفريقان الانتصار في **يوم لبى** ـ وهو دير فوق تكريت من أرض الموصل ، **ويوم بلد** .

وقد عمل عبد الملك بن مروان على التخفيف من حدة العصبية بين اليمانية وقيس ، واذا كان قد حارب القيسية بكلب في أول خلافته ورمى قرقيسياء مركز تجمعهم بالمجانيق فانما اقتضت ذلك سلامة الدولة ومصالحها العليا نظرا لأن زفر بن الحارث زعيم القيسية قد أعلن العصيان على الخليفة سنين طويلة ومال الى جانب مصعب بن الزبير ، فلما **صالح عبد الملك زفر قربه هو وابناه وأصبحت القيسية قسما في جيشه** . وعندما فتك الجحاف بن حكيم السلمى بقوم الأخطل عند جبل البشر ـ وهو ماء ببني جشم بن بكر وخاف الجحاف عبد الملك فدخل بلاد الروم وأقام بطرابندة ، « استأمن عبد الملك فأمنه ، ثم قدم العراق وقصد الحجاج فأكرمه » . (٧٩)

ولعل مما يفسر ذلك الصراع الطويل بين القيسية (أو العدنانية أو المعدية أو النزارية) وهم عرب الشمال وبين اليمنية (أو القحطانية أو الكلبية أو الأزدية) وهم عرب الجنوب ماكان هناك من تباين في الخصائص بين الفريقين ، فعرب الشمال أكثر عددا وأغلبهم بدو ، في حين كان عرب الجنوب سكان سواحل وجبال في الأكثر وكانت بلادهم أكثر خصبا كما كانت مركزا تجاريا بين الهند وفارس وشرقي افريقية وبين آسيا وشمالي افريقية وأوربا . ومن هنا كان عرب الجنوب أرقى ثقافيا لاحتكاكهم بالثقافات الحبشية والفارسية والهندية ، فضلا عما استفادوه من هجراتهم

---

(٧٩) الطبرى حـ ٧ ص ٣٧ : ٤٣ رواية ابن مخنف ، ابن الأثير حـ ٤ ص ٦١ : ٥ ، فلهوزن تاريخ الدولة العربية ـ ترجمة دكتور ابو ريدة ص ١٦٧ : ١٧٨ ، ١٩٦ : ٢٠٢ دكتور ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ص ٩٢ : ١٠٨ حتى : تاريخ العرب ـ ترجمة نافع حـ ١ ص ٣٤٣ ـ ٤ ، دكتور طلس : تاريخ الأمة العربية ـ عصر الاتساق ص ١٠٥ : ٨

Brockelmann : Hist. of Isl. Peop. pp. 77-8.

فى المناطق المختلفة على أثر اضطراب أحوال اليمن وانهيار سد مأرب ٠ وقد أقام عرب الجنوب دولا متعددة ، وخضعت اليمن للأحباش تارة وللفرس اخرى ، كما خضع المناذرة لنفوذ الفرس والغساسنة لنفوذ الروم ، بينما كان عرب الشمال لا يؤسسون دولة جامعة قبل ظهور الاسلام ولا يألفون الخضوع لحكم أجنبى ٠ وهكذا يبدو « أن اختلاف البيئتين قد جعل النزاع بين عرب الشمال وعرب الجنوب منتظرا ، كما أن تعود عرب الجنوب الخضوع للحكم الأجنبى يفسر استعانة الأمويين بهم الى حد بعيد » ٠ (٨٠)

دور الجزيرة فى الفتن

الشيعة ٠٠ المختار ٠٠ ابن الزبير :

واجه عبد الملك بن مروان دولة تنفجر الثورات فى شتى أجزائها ، فالخلافات القبلية التى أثارتها مرج راهط تهيج ثائرة القيسية بين الحين والحين ، والشيعة يستثيرهم مقتل الحسين ، والخوارج على عهدهم من التمرد والانتقاض ، والشخصيات القوية الطموحة مثل المختار وعبد الله ابن الزبير تحاول أن تستفيد من سخط الساخطين وهياج الثائرين ٠

وكانت الجزيرة مسرحا لكثير من هذه الفتن ، دارت على أرضها كثير من الوقائع ٠ وانما أفاد عبد الملك فى مواجهة هذه الفتوق البالغة تفرق خصومه بعضهم عن بعض ٠ فالشيعة الذين تحركوا للكوفة واتعدوا للاجتماع بالنخيلة سنة ٦٥ هـ ٦٨٤ م للمطالبة بدم الحسين لم يكونوا على وفاق مع المختار « فعسكروا بالنخيلة ، بعد أن كان لهم مع المختار بن عبيد الثقفى خطب طويل بتثبيطه الناس عنهم »(**ودخل المختار الكوفة ، وقد اجتمعت رءوس الشيعة ووجوهها مع سليمان بن صرد** فليس يعدلون به ٠٠ مازال بالشيعة حتى انشعبت اليه طائفة تعظمه وتجيبه أمره ، وعظم الشيعة مع سليمان بن صرد فسليمان أثقل خلق الله على المختار ٠٠ وطائفة المختار أقل الطائفتين وهو لايريد أن يخرج حتى ينظر الى ما يصير اليه أمر سليمان بن صرد » ٠ (٨١) فلما هزم سليمان بن صرد وظهر المختار بحركته كان الشيعة العرب من الجيل القديم لا يثقون به حتى اعتزلوه جانبا ، فلم يكن أمامه الا المتعصبون والموالى « وكانت الشيعة تسب المختار وتعيبه » ٠ (٨٢) كذلك « فارق عبد الله بن الزبير الخوارج الذين قدموا عليه فقاتلوا معه حصين بن نمير السكونى ، فصاروا الى البصرة ثم

(٨٠) دكتور فروخ : العرب والاسلام فى الحوض الشرقى من البحر المتوسط ص ١٢٣ ـ ٤

(٨١) الطبرى جـ ٧ ص ٥٣ رواية ابى مخنف

(٨٢) فلهوزن : الخوارج والشيعة ـ ترجمة دكتور بدوى ص ٢٢٥ ، ابن الأثير جـ ٤ ص٧١

افترقت كلمتهم فصارت أحزابا » • (٨٣) كما اصطدم مصعب بن الزبير بالخوارج فى العراق وقاتل المختار والشيعة •

وكانت القيسية هي التي عاونت الشيعة حين خرجوا لأول مرة سنة ٦٥هـ « فانتهوا الى قرقيسياء من شاطىء الفرات وبها زفر بن الحارث الكلابى فأخرج اليهم الانزال وساروا من قرقيسياء ليسبقوا الى **عين الوردة**» وقد عرض زفر على سليمان أن يتعاونا فلما رفض نصحه بالتوجه الى عين الوردة : « فاجعلوا المدينة فى ظهوركم ويكون الرستاق والماء والمادة فى أيديكم » ، وهى من أرض الجزيرة • ووجه مروان عبيد الله ابن زياد الى الجزيرة لكى يعبر الى العراق التى كان قد مزقها النزاع ، ويروى ان مروان وعد عبيد الله أن تكون له البلاد التى يغلب عليها ، وبينما كان لا يزال عند جسر منبج على الفرات كانت مقتلة شيعة الكوفة بقيادة **سليمان بن صرد** عند عين وردة على يد الحصين بن نمير ، وكان مع سليمان رؤساء أربعة آخرون من فزارة والأزد وبكر وبجيلة • ثم اضطر عبد الله أن يشتغل عند ذلك **بقتال زفر بن الحارث ومن معه من قيس نحوا من سنة** ، وبعد ذلك تقدم سائرا فى طريق الجيوش المعتاد الى الموصل ليستخلص العراق من المتمردين على الدولة وذلك فى الوقت الذى كان فيه المختار الثقفى قد استولى على الكوفة ، وانحاز أمير الموصل من قبل المختار الى تكريت •

وفى سنة ٦٦هـ ـ ٦٨٥م استطاع **المختار بن أبى عبيد الثقفى** أن يطرد عامل ابن الزبير على الكوفة وينادى هو الآخر بالثأر للحسين، وهزم عبيد الله بن زياد الجيش الأول الذى وجهه اليه المختار بعد قتال عنيف فى أواخر سنة ٦٦ هـ • ولكن عبيد الله لم يلبث أن هزم أمام جيش ثان يقوده ابراهيم بن الاشتر فى موقعة **خازر** فى أوائل سنة ٦٧هـ • وقد استفاد المختار كثيرا بانضمام ابن الاشتر اليه ، وكانت الجزيرة مسرحا لهذه الموقعة الهامة التى قتل فيها القائد الأموى ، **وظاهرت القيسية جانب أعداء الدولة الأموية** • ويروى الطبرى عن أحد شهود هذه المعركة «مضينا مع ابراهيم بن الأشتر ونحن نريد عبيد الله بن زياد ومن معه من أهل الشام ، فخرجنا مسرعين لا ننثنى نريد أن نلقاه قبل أن يدخل أهل العراق • فسبقناه الى تخوم أهل العراق سبقا بعيدا وأوغلنا فى أرض الموصل ، فتعجلنا اليه وأسرعنا السير فلقيناه بخازر ـ الى جانب قرية يقال لها باربيثا بينها وبين مدينة الموصل خمسة فراسخ •» وأرسل

---

(٨٣) الطبرى جـ ٧ ص ٥٥ ، ابن الأثير جـ ٤ ص ٦٩ •

عمير بن حباب السلمي ـ القائد القيسي ـ الى ابن الأشتر : انى معك ..
وكانت قيس كلها بالجزيرة فهم أهل خلاف لمروان وآل مروان يومئذ كلب وصاحبهم ابن بحدل » « وكان عمير بن الحباب على ميمنة ابن زياد وفي نفسه من يوم مرج راهط ، فصاح يالثارات قريش يالمضر يالنزار » .
وقتل عبيد الله كما قتل الحصين بن نمير ، ورفعت قيس رأسها من جديد في قرقيسيا ، وخذل القيسية الذين كانوا في جيش الامويين قادتهم فانضموا الى جيش ابن الأشتر « وكان من حسن حظ عبد الملك بن مروان أن مصعب بن الزبير وكان أميرا لأخيه على العراق قد ضايقه الشيعة والخوارج في امارته نفسها ، فلم يكن يستطيع أن يفكر في الشروع في حرب خارج العراق » .

ومضى زمان قبل أن يستطيع عبد الملك اخضاع العراق التي كان يحكمها مصعب مستقلا بعض الاستقلال ، فشغلت عبد الملك مشكلات ناتل بن قيس الجذامي الذى هزمه في أجنادين ، فضلا عن **تحرك الروم وتاليبهم الجراجمة** . يروى المسعودى أن عبد الملك بن مروان سار في جيوش أهل الشام فنزل بطنان من أعمال قنسرين ينتظر ما يكون من ابن زياد فأتاه خبر مقتله وهزيمة جيشه ، كما أتاه نبأ هزيمة جيشه أمام ابن الزبير بالمدينة ، وخبر دخول ناتل بن قيس فلسطين من قبل ابن الزبير ، ومسير مصعب بن الزبير من المدينة الى الشام ، ثم جاءه مسير ملك الروم ونزوله المصيصة ، كما جاءه خبر دمشق وأن عبيدها وأوباشها ودعارها قد خرجوا على أهلها ونزلوا الجبل ، وأن خيل الاعراب أغارت على حمص وبعلبك والبقاع ، ثم ان عمر بن سعيد بن العاص خرج عليه اذ كان هو الموعود بالخلافة بعد مروان بن الحكم كما حدث قحط شديد بالشام « لم يقدروا من شدته على الغزو » « وغير ذلك مما نمى اليه من المفظعات المختلفة ، فلم ير عبد الملك في ليلة قبلها أشد ضحكا ولا أحسن وجها ولا أبسط لسانا ولا أثبت جنانا منه في تلك الليلة ـ تجلدا وسياسة للملوك . فترك اظهار الفشل **وبعث بأموال وهدايا الى ملك الروم فشغله وهادنه** ، وسار الى فلسطين وبها ناتل على جيش ابن الزبير فالتقوا بأجنادين فقتل ناتل وعامة أصحابه وانهزم الباقون . ونما خبر قتله وهزيمة الجيش الى مصعب وهو في الطريق فولى راجعا الى المدينة . ورجع عبد الملك الى دمشق فنزلها . وسار ابراهيم بن الاشتر فنزل نصيبين ثم لحق المختار بالكوفة » . وقد تكون هذه الوقائع في أوقات متتابعة لا في وقت واحد لكنها متقاربة الحدوث على أية حال .

وجاء الخلاص لعبد الملك بن مروان من المختار وابن الأشتر على يد

خصم آخر لعبد الملك هو مصعب بن الزبير والى البصرة من قبل اخيه وكانت جيوشه تحارب ضد الخوارج وقتذاك • ولكن حرضه أعداء المختار الهاربون من الكوفة على المختار فسير جيشا فهزم المختار فى وقعة **المذار** فى منتصف سنة ٦٧ هـ فهزم المختار فيها • ثم زحف المهلب من الأمنار الى الكوفة فهزم المختار وأصحابه أيضا فى حروراء ـ كل ذلك وابراهيم ابن الأشتر باق فى الموصل ، حتى كان مقتل المختار فى دار امارته فى رمضان سنة ٦٧ هـ ـ ابريل سنة ٦٨٧ م •

لقد ترك عبد الملك أهل العراق يقتتلون ويفنى بعضهم بعضا ، ويقول الرواة العرب والياس النصيبى : ان أول خروج عبد الملك لقتال **مصعب بن الزبير** كان فى صـــيف سنة ٦٨٩م • ٦٩ـ٧٠هـ ، **وقد أدار عملياته الحربية فى بطنان حبيب ، اما مصعب فكان معسكرا فى باجميرا عنـــد تكريت « وكل من المعسكرين كان ثغرا ونقطة حدود على الطريق الكبير بين الشـــام والعراق • اما أرض الجزيرة فكانت منطقة بين العدوين غير أنها كانت اقرب الى أن تكون فى يد مصعب** ، وذلك أن قبائل قيس على الفرات كانت أيضا الى جانب مصعب » • ودارت الحرب سجالا فى سنوات متتابعة ، وقد حرص مصعب على الافادة من جهود ابن الاشتر بعد مقتل المختار • وكذلك فعل مروان : الأول يعده « بالشام وأعنه الخيل وما غلب عليه من أهل المغرب ما دام لأهل الزبير سلطان » ، والثانى يعده بالعراق• وقرر ابن الأشتر موقفه « لو لم أكن أصبت عبيد الله بن زياد ولا رؤساء أهل الشام تبعت عبد الملك ، مع انى لا أحب أن أختار على أهل مصرى مصرا ولا على عشيرتى عشيرة • فكتب الى مصعب وأقبل اليه بالطاعة • فلما بلغ مصعبا اقباله بعث المهلب الى عمله وهى السنة التى نزل المهلب على العراق (٦٧ هـ) • اذ وجه المهلب بن أبى صفرة على الموصل والجزيرة وأذربيجان وأرمينية وأقام بالكوفة » •

وقد حاول عبـد الملك بن مروان أن يخفف عن ظهـره وطأة **هجمات القيسية** فى ميدان العمليات الحربية بالجزيرة وعول على أن ينهى حربهم ليتفرغ لمصعب بن الزبير ، فكان لا بد من**غزو قرقيسياء** لانهاء مقاومة زفر ابن الحارث ، **ثم رأس العين** حيث تحصن عمير بن الحباب ، كما كان لا بد من التغلب على **نصيبين حيث** كان يدافع عنها بقية أتباع المختار الثقفى ، وقد انجز الكثير فى صيف سنة ٦٩١ م ، ٧١ـ٢ هـ ، فاستسلم زفر بن الحارث بعـد حصار طويل والحق ابنه الهذيل بعبـد الملك فى حروبه • وجاء الصـــدام الحاسم آخر الأمر بين عبد الملك ومصعب بعد أن مضى من الصيف شطر كبير ، وكانت المعركة فى **دير الجاثليق** بين مســـكن ـ

حيث كان معسكر عبد الملك ومعسكر معاوية من قبل ـ وبين باجميرا ـ حيث كان معسكر مصعب • واستمات مصعب في القتال الى أن قتل سنة ٧٢هـ ـ ٦٩١م ، وعسكر عبد الملك بجيشه في النخيلة قرب الكوفة • ودعا أهل العراق الى بيعته فبايعوه ، وفرق أعمـــال العراق والمصريين والكوفة والبصرة على عمـــاله ، وخرج من الصراع وقد أكلت الثـورات المتعارضة بعضها فلم يحتج الأمويون الا لمواجهة القليل منها «فكفاه ابن زياد قائده ـ شر التوابين (الشيعة) ، وكفاه المهلب قائد بن الزبير أمر الخوارج، وكفاه مصعب خطر المختار ، وبقى مصعب وحده فواجهه عبد الملك» ويروى أن عبد الملك حين أتى برأس مصعب قال له أحد الحاضرين : انى رأيت بهذه القلعة رأس الحسين أمام عبيد الله بن زياد ، ورأس ابن زياد أمام المختار ، ورأس المختار أمام مصعب ، ورأس مصعب أمام أمير المؤمنين ـ فتشاءم عبد الملك وأمر بدك القلعة (٨٤) •

الخوارج :

اضطربت أمور العراق بعـــد وفاة يزيد بن معـــاوية فانضـم كثير من أهل البصرة الى الخوارج • وحين ولى المدينة مصعب بن الزبير أدرك أن المهلب ابن أبى صفرة هو القائد الجدير بقتالهم فاشخصه لحربهم، وولى ابراهيم بن الأشتر مكانه فى الموصل • **وعرفت عن المهلب شجاعته فى حرب الثغور** فقد كان أصيب فى عينه أيام معاوية كما كان ذا مكيدة فى الحرب • وبعد مقتل مصعب بن الزبير بايع المهلب ومن معه من جند البصرة عبد الملك بن مروان اذ كان أغلبهم يمنيا ، غير أن بشر بن مروان الذى ولاه أخوه على العراق سنة ٧٢هـ ـ ٦٩١م لم يطلق يد المهلب فى كفاح الخوارج • فلما توفى بعد عامين وولى الحجاج ، قام بتجنيد أهــل العراق « عن طريق عرفاء المصر وجرائد الديوان وأجبرهم على السير الى المهلب اذ **اعتبر حرب الخوارج كحرب الثغور والمغـــازى** » • وفى الوقت الذى لم يكن قد تم فيه التغلب على الخوارج الأزارقة فى المشرق ، قام خوارج

(٨٤) المسعودى : مروج الذهب حـ ٢ ص ١١٠ : ١٢٠ ، اليعقوبى حـ ٢ ص ١٥ ـ ١٦ ، الطبرى حـ ٧ ص ٤٧ وما بعدها رواية ابى مخنف غالبا ، ابن الأثير حـ ٤ ص ٦٧ ومابعدها ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ـ ترجمة دكتور أبى ريدة ص ١٨١ : ١٩٣ ، الخوارج والشيعة ترجمة دكتور بدوى ص ١٨٩ ومابعدها ، دكتور ماجد التاريخ السياسى للدولة العربية حـ ٢ ص ١١٢ : ١٢٨ ، دكتور الخربوطلى : تاريخ العراق فى ظل الحكم الأموى ص ١٢٧ : ١٥٧ ، سديو : تاريخ العرب العام ـ ترجمة زعيتر ص ١٦٩ ـ ١٧٠ ، Brockelmann : Hist. of Isl. Peop. pp. 78:80

آخرون في أول سنة ٧٦هـ في غرب العراق كان **أغلبهم ينتمي الى بني شيبان بن بكر ، وكانوا قد تركوا مواطنهم الاولى على الضفة اليمنى للفرات في بادية الكوفة والبصرة وهاجروا من زمن قصير الى شمالى أرض الجزيرة** ٠

وفي نواحي الموصل ظهر **صالح بن مسرح** من الخوارج الصفرية وهو ناسك كان يعيش في دارا بين نصيبين وماردين وكان تميميا ، بينما كان غالبية العرب الذين يسكنون هناك على جانبي الدجلة من بني ربيعة من بني شيبان بن بكر وقد ظل صالح يدعو ويجتذب الأنصار فترة طويلة ، وفي سنة ٧٦هـ خرج بدارا وأرض الموصل والجزيرة ومعه رجال من ربيعة « وبلغ مخرجهم محمد بن مروان وهو أمير الجزيرة فاستخف بأمرهم » ٠ وبعث اليهم حملة من الف قيسي ثم تابع ارسال الحملات اليهم ، « وبعد قتال عنيف خرج صالح وأصحابه فقطعوا أرض الجزيرة، ثم دخلوا أرض الموصل فساروا فيها حتى قطعوها ، ومضوا حتى قطعوا الدسكرة ، فلما بلغ ذلك الحجاج وجه اليهم جيشا بقيادة الحارث بن عميرة فالتقوا عند **المدبج** من أرض الموصل على تخوم بينها وبين أرض جوخى »٠ وانتهت المعركة فى غير صالح الخوارج ، وقتل صالح ٠

وبايع الخوارج **شبيب بن يزيد بن نعيم** ، وكان بفضل سرعة فرسانه كثير الظهور والاختفاء فهزم جيوشا كثيرة أرسلها الحجاج ، واختار لجولاته أرض جوخى على النهروان والجبال التى تقع الى شمالها ـ مسرح الخوارج الأولين ، ولبث فترة طويلة فى بلاد اذربيجان الجبلية تقاطر اليه فى اثنائها خلق كثير ٠ وقد تقدم فى النصف الثانى من سنة ٧٧ هـ نحو الجنوب يحاول هجوما حاسما على الكوفة وهزم جيوشها هزيمة شنعاء ، واضطر الحجاج الى الاستنجاد بالشام فاستطاع هؤلاء أن يطردوا شبيبا الى أرض جوخى ، وظل جيش الشام يطارده حتى غرق فى نهر دجيل فى الاهواز سنة ٧٧ هـ ـ ٦٩٧ م ٠ وبعد موت شبيب لم تعد جماعته ذات أهمية ، **ولكن حركات الخوارج ظلت قوية في نواحي الموصل بين بني شيبان وسائر آل بكر ، وتكاد جميع ثورات الخوارج فى العصر الأموى المتأخر أن تكون قد خرجت من الموصل ومن آل بكر ، وقد تحولت فى آخر أمرها الى ثورة شاملة لجماهير كبيرة ٠ (٨٥)**

(٨٥) الطبرى حـ ٧ ص ٢١٧ وما بعدها رواية ابى مخنف ، ابن الأثير حـ ٤ ص ١٦٣ وما بعدها ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ـ ترجمة دكتور ابى ريدة ص ٢٢١ ـ ٢، الخوارج والشيعة ـ ترجمة دكتور بدوى ص ١١٠ : ١٣٠ ، دكتور الخربوطلى : تاريخ العراق فى ظل الحكم الأموى ص ٢٠١ ـ ، دكتور ماجد التاريخ السياسى للدولة العربية حـ ٢ ص ١٥٢ ٠ Brockelmann : Hist. of Isl. Peop. p. 88.

خروج ابن الأشعث :

أوفد الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث من سلالة ملوك كندة وابوه والى الموصل لابن الزبير وكان من الثائرين على المختار - الى سجستان على رأس جيش تام الأهبة والعدة سمى (بجيش الطواويس) ، فقام هناك بحرب منظمة « وكان لا يفتح حصنا ولا يجاوز عمرانا الا خلف فيه قائدا معه حامية من المسلمين ، ونظم المراسلات بالبريد بين البلاد وجعل الأجناد على العقاب والشعاب ووضع المسالح لكل مكان مخوف . وبعد أن حاز أرضا عظيمة وامتلأت يداه بالغنائم حبس الناس عن الوغول فى البلاد حتى يتعود جنوده على طبيعة البلاد » . ولكن الحجاج - وهو قليل الصبر اتهمه بالضعف وايثار الموادعة ، فأدى هذا الى مخالفة ابن الأشعث ومن معه من جند العراق ، فوادع خصمة الزنبيل (رتبيل) فى سجستان وأقبل لحرب الحجاج بالعراق سنة ٨١ هـ - ٧٠٠ م ، ولم ينضم اليه المهلب فى خراسان . واستطاع ابن الأشعث أن يدخل الكوفة سنة ٨٢هـ - ٧٠١م، «**واجتمع أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الثغور والمسالح بدير الجماجم** ، والقراء من أهل المصرين ، فاجتمعوا جميعا على حرب الحجاج وجمعهم عليه بغضهم والكراهية له ، وهم اذ ذاك مائة الف مقاتل ممن يأخذ العطاء ومعهم مثلهم من مواليهم ، وجاءت الحجاج امداده من قبل عبد الملك .. **واراد ان يرتفع الى هيت وناحية الجزيرة فياتيه المدد من الشام من قريب ويقترب من رفاغة سعر الجزيرة** ، فلما مر بدير قرة قال : مابهذا المنزل بعد من أمير المؤمنين وان الفلاليج وعين التمر الى جنبنا » . **وكان على المدد الذى أرسله عبد الملك بن مروان اخاه محمد وابنه عبد الله ابن عبد الملك على رأس جيشين من أهل الشام ، وبذلك عري الحدود امام الروم فاغتنم هؤلاء الفرصة** . وقد عرض عبد الملك على أهل العراق « عزل الحجاج ، وأن تجرى عليهم أعطياتهم كما تجرى على أهل الشام ، وأن ينزل ابن الأشعث أى بلد من العراق شاء يكون عليه واليا مادام حيا وكان عبد الملك واليا وكان محمد بن مروان أمير العراق . والا فالحجاج أمير جماعة أهل الشام ومحمد وعبد الله فى طاعته ، فاغتاظ الحجاج وحذر الخليفة مغبة ذلك ،لكن عبد الملك أصر على عرضه،واراد ابن الأشعث قبوله فأصر أهل العراق على موقفهم وجددوا خلع عبدالملك. وقد دارت الدائرة على جيش ابن الأشعث الذى كان يحتل معسكرا حصينا عند دير الجماجم امام جنود الشام ، وتراجع الى البصرة،ثم

تحول **الى مسكن** على نهر الدجيل حيث انحاز اليه جنود كثيرون وفلول من كل ناحية ، ولكنه هزم أيضا وواصل تقهقره نحو الشرق حيث كان هلاكه سنة ٨٥ هـ ٠

ويرى فلهوزن ان حركة ابن الأشعث ليست حركة للموالى وحدهم، وليست مجرد استمرار لثورة المختار كما يرى فون كريمر : « فقد اشترك فيها بنوع خاص كثير من الناس من أهل البصرة ومن المقـاتلة القدماء والموالي والقراء ٠٠ ولم يكن الموالى أكثر من مؤيدين ولم تأت الثورة منهم بل من جانب جيش الطواويس الذى كان يؤلف جيش العراق والذى انضمت اليه سائر المسالح والثغور ٠ وقد اشترك فى ثورة ابن الأشعث أكابر العرب ... **فهى لم تكن صراعا بين الموالي والعرب بل كانت صراعا بين عرب العراق وعرب الشام** ، وكان على جند العـراق أن يقنعوا بأعطيات قليلة ويحتملوا فى الوقت نفسه مئونة أهل الشام ، وكانوا يوجهون فى حملات بعيدة ويرسلون الى المسـالح القاصية على حين كان يبقى جند الشام فى أهله » (٨٦) ٠

وقد أدت ثورة جيش العراق وقتاله لحكومة الشام الى اصطناع مزيد من التشدد فى حكم الشام للعراق ، وبنى الحجاج مدينة **واسط** سنة ٨٣هـ ،وجعلها حصنا فى منتصف الطريق بين الكوفة والمدائن والأهواز والبصرة ومقرا للحكم والجيش ، ويقال انه فعل ذلك توقيا لما يرتكبه جند الشام من مفاسد فى الكوفة والبصرة « ونادى مناديه لاينزلن أحد على أحد ، واخرجوا فعسكروا ، وبعث روادا له يرتادون له منزلا »٠ ويظهر أن الحجاج كان شديد الرغبة فى عزل جند الشام عن أهل العراق وجعلهم حول الحاكم الأموى ليكونوا أداة طيعة تحت يده ، وهكذا انتقل الحجاج « من وسط الجماعة الى مركز قيـادة حربى ، فابان بذلك عما يشعر به من أنه فى بلاد **معادية** وأقام حكمه على القوة فى صورتها الصريحة (٨٧) » ٠

---

(٨٦) الطبرى حـ ٨ ص ٧ وما بعدها ٠ رواية أبى مخنف ، ابن الأثير حـ ٤ ص ١٩١ وما بعدها ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ٠ ترجمة دكتور أبى ريدة ص ٢٢٣ : ٢٤١ ، دكتور الخربوطلى : تاريخ العراق فى ظل الحكم الأموى ص ١٧٤ : ٧ ٠
Brockelmann : Hist. of Isl. Peop. p. 88-9.

(٨٧) الطبرى حـ ٧ ص ٣٦ ـ ٧ ، ابن الأثير حـ ٤ ص ٢٠٤ ـ ٥ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ـ ترجمة دكتور ابى ريدة ص ٢٤١ ـ ٢ ٠
Brockelmann : Hist. of Isl. Peop. p. 89.

الجراجمة والروم :

أثرت هذه الفتن المتلاحقة على مركز المسلمين العسكرى فى ثغور الشام فقد هوجمت مرتين احداهما بطريق مباشر سنة ٦٤ ـ ٥ هـ سنة ٦٨٤م ، وأخرى بطريق (المردة أو الجراجمة) ، وفى كلا المرتين سعى المسلمون لتجديد الصلح مع الروم • وقد حدث الهجوم المباشر فى وقت هجوم الخزر وعودة الروم الى أرمينية • وسار الامبراطور البيزنطى الى المصيصة فى الوقت الذى طلب منه عبد الملك الصلح سنة ٦٥ هـ سنة ٦٨٥ م • ويروى البلاذرى أن الروم أخربت **عسقلان** وأجلت أهلها عنها فى أيام ابن الزبير ، كما شعثت **قيسارية** وهدمت مسجدها ، فرم عبد الملك هذين الثغرين وشحن قيسارية بالرجال . وكان معاوية يوجه فى كل عام الى **طرابلس** جماعة كثيفة من الجند يشحنها بهم يوليها عاملا فاذا انغلق البحر قفل وبقى العامل فى جمع يسير « فلم يزل الأمر فيها جاريا على ذلك حتى ولى عبد الملك ، فقدم فى أيامه بطريق من بطارقة الروم ومعه بشر منهم كثير ، فسأل أن يعطى الأمان على أن يقيم بها ويؤدى الخراج فأجيب الى مسألته . فلم يلبث الا سنتين أو أكثر منهما بأشهر ، حتى تحين قفول الجند عن المدينة ثم أغلق بابها وقتل عاملها ، وأسر من معه من الجند **وعدة من اليهود** » وقدر عليه المسلمون بعد ذلك فى البحر ، وقيل حاصروه فى البر وقد بنى عبد الملك حصن طرابلس وحصنه . كذلك تعرضت ملطية **ومرعش** لهجمات الروم المتلاحقة بعد موت يزيد بن معاوية حتى انتقل المسلمون عن الأخيرة • ولما كانت أيام ابن الزبير وموت مروان وطلب عبدالملك الخلافة واستعداده للشخوص الى العراق لمحاربة مصعب ابن الزبير (خرجت خيل الروم الى جبل اللكام وعليها قائد من قوادهم ثم سارت الى لبنان وقد ضمت اليها جماعة كثيرة من الجراجمة وأنباط وعبيد أباق من عبيد المسلمين » (٨٨) .

وقد بدأت مشكلة هؤلاء فى صيف سنة ٦٨٧ م ـ ٦٨ هـ • روى ابن عساكر أن طاغية الروم كاتب انباط جبل لبنان واللكام ، فخرج **الجراجمة** وعسكروا بالجبل وجاء بطريق رومى فى جماعة من الروم فى البحر فسار بهم حتى أرسى ، ثم خرج بمن معه حتى علا جبل لبنان « وبث قواده فى أعلى الجبل حتى بلغ انطاكية وغيرها من الجبل الأسود ، فأعظم ذلك

(٨٨) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٥٠ ، ١٣٣ ـ ٤ ، ١٩٦ ـ ٧ ، ١٦٦ ـ ٧ •

المسلمون بالساحل حتى لم يكن أحد يخرج فى ناحية الا بالسلاح ، فغلبت الجراجمة على الجبال كلها من لبنان وسنير وجبل الثلج وجبال الجولان». وتذكر الروايات العربية أن عبد الملك شتى فى قنسرين ولجأ الى استرضاء الجراجمة بالمال بأن يدفع لهم ألف دينار اسبوعيا ، ثم استعمل المكيدة واليه على طرابلس سحيم بن المهاجر حتى استطاع أن يدخل معسكر الروم متنكرا ويقتل البطريق وكثيرا من جنده ، وهرب الباقون فلحقوا بأرض الروم ، ورجع أنباط جبال لبنان الى قراهم . ويذكر ابن القلاعى « ان الموارنة كانوا يتولون الجبال والسواحل التى تجاورهم وبلادهم من حدود الشوف الى بلاد الدروب ـ وأميرهم يسكن قرية بسكنتا ، وقد نزل الى البقاع فى رجاله ونهبها وقتل كثيرين ولبث أياما فى قب الياس .. **ولم تزل الحروب منذ ذلك الحين سائر بن المسلمين والموارنة الى نحو ثلاثين سنة** ، ثم ابتنى الموارنة حصنا فوق نهر الكلب وجرت عنده موقعة هائلة ، وبسبب هذه الفتن لقب الجراجمة بالمردة(٨٩) .

ويذكر تيوفانيس أنه فى السنة الاولى لعبد الملك بن مروان قد حدثت مجاعة شديدة وطاعون فى الشام كما توالت غارات المردة فى جبال لبنان . وقد نقض الروم صلحهم مع المسلمين سنة ٦٥ هـ سنة ٦٨٥ م بهجومهم على ملطية ومرعش ، وثارت الفتن فى أرمينية ، وقد طلب عبد الملك الصلح للمرة الثانية سنة ٦٩ هـ سنة ٦٨٩ م . وكانت مدة الصلح الذى عقد أيام معاوية سنة ٦٠ هـ ٦٨٠ م ثلاثين عاما ، بينما كان صلح عبد عبد الملك الثانى سنة ٦٩هـ ٦٨٩ م لمدة عشر سنوات . ونص الصلح الاول على تقديم ٣٠٠٠ دينار ذهبى سنويا ، ٥٠ عبدا ، ٥٠ حصانا أصيلا، أما الصلحان اللذان عقدهما عبد الملك فينصان على تقديم ٣٦٥ر٠٠٠ دينار ذهبى ٣٦٥ عبدا، ٣٦٥ حصانا أصيلا ، ولم تحترم المدد المقررة فى تلك المعاهدات ، وقد جاء نقض المعاهدة الاولى من جانب الروم بعد ٥ سنوات ، وجاء نقض المعاهدة الثانية بعد ٣ سنوات ، وجاء نقض المعاهدة الثالثة بعد ٥ سنوات . ويذكر تيوفانيس فى أخبار جستنيان الثانى (٦٨٥ ـ ٦٩٥ م ، ٧٠٥ ـ ٧١١ م) أن عبد الملك أرسل اليه رسلا لابرام عهد الصلح . « فعقد الصلح على الشروط الآتية : وهى أن الملك يمنع غارات عسكر المردة من لبنان، وعبدالملك يدفع اليه فى كل يوم ألف دينار

---

(٨٩) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٦٧ ، كرد على : خطط الشام ص ١٤٩ : ١٥١ ، Cheira : La Lutte. pp. 151-2. الطبرى جـ ٧ ص ١٨١ ، ابن الأثير جـ٤ ص ١٢٨ .

وفرسا مملوكا، وأن الملكين يقتسمان بينهما خراج قبرص وأرمينية وايبريا قسمة عادلة سوية. وأرسل (بولس ماجستريانس) الى عبد الملك لابرام عهدة الصلح. وابرز الملك **أمرا بابعاد اثنيعشر ألفا من المردة عن** أوطانهم. وقد اضعفت بذلك قوة المملكة الرومانية لان جميع المدن المجاورة لبنان من المصيصة الى أرمينية الرابعة كانت ضعيفة وخالية من السكان بسبب غارات المردة الذين كبنهم الملك ، وقد توالت من ذلك اليوم المحن والمصائب فى المملكة الرومانية بسبب سطو العرب ... وقد مضى الملك ـ فى سنة تالية ـ الى أرمينية فقابل هناك عسكر المردة الذى كان قبلا فى لبنان **بمنزلة سور نحاسي لمملكته فدكه بيده** » . ويذكر أن جستنيان الثانى توصل الى اجلاء الجراجمة بالمكيدة. فروى السمعانى فى المكتبة الشرقية عن البطريرك الدويهى الاهدانى : أن الملك جهز جيشا وسيره الى سوريا واشاع أنه حامل على العرب ، فقابل الامير يوحنا قائد الجيش بالترحاب فاحتال عليه القائد حتى قتله « أما قائد جيش الملك فمن بعد هذه المقاتلة اخذ يخمد جذوة غيظ سكان لبنان ويجاملهم ويعتذر عن سوء صنيعه ، ويقول ان قسطنطينية محفوفة بمخاطر شديدة من جراء حملات العرب وفى أقصى الحاجة الى انجادهم ومعاونتهم وأنه يلزم تقديم المصلحة العامة على الخاصة ، وأكثر من الوعود ان الملك يجزل من المكافآت الملكية لمن يطيعه وينجده . وبعد العناء الشديد المديد حملهم على أن يقيموا سمعان **ابن أخت الامير يوحنا القتيل قائدا لهم » ، ومضى القائد البيزنطى بآلاف** الجراجمة الى أرمينية ثم تراقية ويعلق المطران الدبس على هذه الواقعة بقوله : « ويظهر من ذلك أن ملوك الروم كانوا يوسوسون للمردة ليخرجوهم من طاعة الدولة السائدة بهم حتى صار للمردة ضلع من هؤلاء الملوك ، ولولا ذلك لما صدقوا وعود قائدهم ولما اغضوا عن قتل أميرهم . ويتبين لى أنهم راعوا من جهة اسخاطهم لدولتهم بتعدياتهم ، ومن جهة أخرى أنهم اذا عصوا ملوك الروم لم يكن لهم طاقة على معاندة الدولتين معا . فآثروا مطاوعة القائد والمسير معه على بقائهم فى أوطانهم عرضة لتنكيل الدولتين بهم ، وكانوا يرجون أن يوستنيانس ينتفع بخدمتهم ويعيدهم الى وطنهم ، ولم يدروا باتفاق الدولتين على ابعادهم الا بعد حلول المصاب بهم ، ولا غرو أن عيالهم لحقت بهم ويظهر أن ذلك كان سنة ٦٨٥ أو سنة ٦٨٦ م ، وحينئذ أمر الموارنة عليهم ابرهيم ابن أخت بطريركهم القديس يوحنا مارون . » ويذكر قسطنطين السابع بورفيروجيتيتوس (٩١٣ ـ ٩٥٩ م) فى كتابه أن المردة نقلوا الى بامفيليا ومقام قائدهم فى مدينة اضاليا ، فان المؤلف حين عرض لعمل بامفيليا ذكر أن « فيه المردة الذين أجلوا من

لبنان يليهم قائد لهم ، وقد استمروا هناك من عهد يوستنيانس الى أيامنا » ومما قاله **أن الامبراطور البيزنطي كان ينصب للمردة واليا وقاضيا في اضاليا** • ويذكر السمعاني أن كتابا شهد مؤلفه فتح العثمانيين القسطنطينية « وذكر كبير المردة ، قال : انه كان يحمل عكازا من فضة مموها بالذهب » ، كما نقل السمعاني أن الرتبة السابعة عشر بعد الملك كانت لكبير المردة « وان الموارنة المجلوبين استمروا في بامفيلية ولهم ممثل في قسطنطينية الى أن أخذت الدولة العثمانية قسطنطينية سنة ١٤٥٣ م » • وأما تراقية التي أقاموا فيها « فالصحيح أنها قسم من كيليكيا وهي الآن ولاية ادنة ، وكيليكيا مقسومة الى قسمين : سهلية وجبلية ، فالسهلية قاعدتها ادنة وترسيس والجبلية من مدنها سلوقية كيليكيا ، وكان القدماء يسمونها تراكة أي الحجرية والان يعبرون عنهما بكيليكيا الاولى والثانية ، وبامفيلية متاخمة لتراكية غربا • وليست تراكية تراسة أي الروملي » (٩٠) •

ولئن كان عبد الملك بن مروان قد سار على سنة سلفه معاوية في مصالحة الجراجمة والروم ، الا أن الامور لم تستمر على هذا النحو فقد شرع عبد الملك **في اصلاح نظام العملة فجر هذا الى استئناف الحرب مع الروم** • وكانت العملة اليونانية والفارسية شائعة التداول قبل الاسلام، واكتفى الخلفاء الاوائل المسلمون بهذه العملية الاجنبية ولعلهم في بعض الحالات كانوا يسكون فوق نقوشها بعض آيات قرآنية • وكانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض مصر ، فاحدث عبد الملك بن مروان اجراء يقضي بأن يكتب في رءوس الطوامير عبارات من ذكر الله ،فكتب اليه ملك الروم: انكم احدثتم في قراطيسكم كتابا نكرهه ، فان تركتموه والا اتاكم في الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه • فكبر ذلك في صدر عبد الملك فشاور خالد بن يزيد بن معاوية فقال له : افرخ روعك يا أمير المؤمنين حرم دنانير فلا يتعامل بها واضرب للناس سككا ، ولا تعف هؤلاء الكفرة مما كرهوا في الطوامير • فقال عبد الملك : فرجتها عني فرج الله عنك • وقد سك عدد قليل من القطع المعدنية قبل أيام عبد الملك ولكن تلك

---

(٩٠) الدبس : تاريخ سوريا م ٥ ص ١٠٦ ومابعدها ، دكتور العدوى : الامويون والبيزنطيون ص ١٧٥ ـ ٦ ، حتى : تاريخ سوريا حـ ٢ ترجمة د• اليازجي ص٥٢ : ٤

المسكوكات لم تكن سوى تقليد للطرازين البيزنطي والفارسي وكان أول سك العملة العربية الخالصة سنة ٧٤ ـ هـ سنة ٦٩٢ ـ ٣ م (٩١) ٠

وكان هذا الحادث ـ فيما يروى تيوفانيس ـ شرارة لاشعال نار الحرب بين المسلمين والبيزنطيين ٠ وكان المسلمون قاد عادوا لاحتلال قبرص سنة ٧٣ هـ سنة ٦٩٣ م بعد اخلائها من قبل اثناء اضطراب امورهم الداخلية ٠ واتى اليها جيش بيزنطى سنة ٧٤ هـ سنة ٦٩٤ م استفاد من استياء السكان ، وقد لجأ المسلمون الى اجلاء بعض السكان لتوطيد مركز حكمهم سنة ٧٥ هـ سنة ٦٩٥ م وقد زادوا من الجزية المفروضة على الجزيرة ، وقد تدخل الامبراطور تيبريوس سنة ٧٧ هـ سنة ٦٩٦ م لاعادة هؤلاء المنفيين ويبدو أن النفوذ العربى ظل قائما فى الجزيرة ، فلا نجد اثارة لمسألتها حتى سنة ٩٤ هـ سنة ٧٧٣ م ٠

وكان جستنيان الثانى ـ الذي قبل نقل الجراجمة الى داخل الأراضى البيزانطية ـ قد اتجه الى محاولة استخدام العناصر **السلافية فى** الدفاع عن الدولة فجمع عددا كبيرا من السلاف وزعهم على اشد المناطق تعرضا لهجمات المسلمين فى آسيا الصغرى والتى كانت فى طريق زحفهم صوب القسطنطينية فكون منهم فرقة كبرى بلغت٣٠٫٠٠٠ جندى وجعل مقرها الرئيسى فى بند الابسيق (الاوبسيكيون) المطل على الدردنيل ٠ كما أراد جستنيان نقل عدد كبير من أهالى قبرص الى بند الابسيق أيضا ولكنهم غرقوا فى عاصفة ٠ واغتر جستنيان الثانى باستعداداته الحربية واتخذ من مسألة الدنانير تعلة لنقض الصلح ٠ وعبثا حاول عبد الملك ارجاعه عن عزمه « لانه أراد أن يأخذ جالية من قبرص لغير داع ، وأنف أن يأخذ من عبدالملك الدنانير التىسكها حديثا، ولاعتماده على عسكر اختاره من الصقالية ٠٠٠ فعلق العرب صحيفة المعاهدة علىعلمهم ووثبواعلى الجيش الرومانى»٠ وزحف المسلمون على كيليكيا بآسيا الصغرى ، واصطدموا عند مدينة سيواس Sebastopolis سنة ٧٣ هـ ـ سنة ٦٩٢ م القوات البيزنطية وما فيها من فرق سلافية من بند الابسيق ٠٠٠ لكن تخلت هذه القوات عن الامبراطور مما استثاره الى اجراء مذبحة فيمن بقى منهم بجيشه عند Laucata ، **فغدا السلاف مستعدين لخدمة المسلمين فى**

---

(٩١) الطبرى حـ ٧ ص ٢٤٢ ، ابن الاثير حـ ٤ ص ١٧٣ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٤٩ ، حتى : تاريخ العرب ـ ترجمة نافع ص ٢٧٠ ـ ١
Hist. of Syria. pp. 448-9.
الترجمة العربية حـ٢ ـ ترجمة د٠ اليازجى ص ٨٤ ٠
Brockelmann : Hist. of Isl. Peop. pp. 80, 82.

أى نضال حربى ينشب بينهم وبين البيزنطيين ، **وكانوا على علم بدروب آسيا الصغرى** • وقد اكتسح جنود الخليفة بعد ذلك كبادوكيا واستأنفوا جهاد الروم « بعد أن ركد هذا الجهاد خمسة عشر عاما » ، وكان قائدهم أخ للخليفة هو محمد بن مروان أمير الجزيرة وأرمينية وكانت له قيادة الجيش فى آسيا الصغرى وأرمينية • وقد استطاع القائد الاسلامى أن يستميل اليه الصقالبة « فانحاز ومعه عشرون ألفا الى العرب » فأسكنهم عبد الملك فى ثغور الشام وقبرص فنجحوا وأثروا ، فى حين غدا اخوانهم بآسيا الصغرى أداة تعين حملات المسلمين ضد الروم (٩٢) •

وقد اتخذ عبد الملك بن مروان اجراءات سريعة فى ترميم الثغور وتحصينها سواء منها الثغور البحرية مثل عسقلان وقيسارية وطرابلس ، أو الثغور البرية • وكان أول ما ابتنى **حصن المصيصة** على يد ابنه عبد الله سنة ٨٤ هـ فتم بناؤها وشحنها سنة ٨٥ هـ • وروى أنه فرض لقوم من أهل انطاكية وأنباطها وجعلوا مسالح **وأردفت بهم عساكر الصوائف ليؤذنوا الجراجمة عن أواخرها فسموا الرواديف** ، وكان الجراجمة اذ غزت الصوائف قطعوا على المتخلف واللاحق ومن قدروا عليه وأغاروا على قرى انطاكية • والى العهد الاموى يرجع مضمومة الى حمص ، ثم **افراد الجزيرة كجند** مستقل فى عهد عبد الملك بن مروان بعد أن كانت مضمومة الى قنسرين وذلك بناء على رأى محمد بن مروان أمير الجزيرة وأرمينية (٩٣) •

وقد عادت **حملات الشواتى والصوائف** السنوية من ثغور الشام متتابعة فقال الاخطل يمدح عبد الملك •

وفى كل عام منك للروم غزوة بعيدة آثار السنابك والسرب

وكان عبد الملك يرسل مع هذه الحملات ابناءه وأفراد اسرته وولى اخاه **محمد بن مروان** الجزيرة وأرمينية سنة ٧٣ هـ فغزا الصوائف بين عامى ٧٣ ، ٧٦ هـ على التوالى •

---

(٩٢) الطبرى حـ ٧ ص ٢٠٦ ، حـ ٨ ص ٥ رواية على بن محمد ، ٣٧ ، ابن الأثير حـ ٤ ص ٤٧ ، ١٨٩ ، ٢٠٦ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢١٢ ، ١٦١ ، دكتور ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية حـ ٢ ص ١٧٤ وما بعدها ، الدبس تاريخ سوريا م ٥ ص ١٠٧ وما بعدها ، دكتور العدوى : الأمويون والبيزنطيون ص ١٧٦ : ١٨٠ ، رستم : الروم حـ ١ ص ٢٦٦ ـ ٧ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية : ترجمة دكتور ابى ريدة ص ٢٠٩ ـ ١٠ • Cheira : La Lutte. pp. 96-7.

(٩٣) البلاذرى :فتوح البلدان ص ١٧٢ ، ١٦٨ ـ ٩ ، ١٣٨ ، ١٦١ •
Cheira : La Lutte entre Arabes et Byz. pp. 169-170.

وكانت أرمينية قد انتقضت على المسلمين أثناء انشغالهم بمشكلاتهم الداخلية • وقد راعت بيزنطة شروط الصلح مع المسلمين في عهد يزيد ، ولكنها آثرت للوصول الى استغلال الظروف **أن تستخدم الخزر ضد الارمن وتستفيد منهم • وقد آزرت بيزنطة الهجوم الخزرى الذى هدد الأطراف الاسـلامية ، لتتدخل في الشـام وارمينية** ، ولتحاول استثارة الاقليم الأخير دون التعرض لخسائر • وقد تعددت هجمات الخزر على المسلمين بين سنتى ٦٨٣ ، ٦٨٦ م ، وكانت بيزنطة تعرف جيداً القيمة السياسية للتحالف مع الأقوام القوقازية وبقيت أرمينية على ولائها للعرب لاخلاص جرجوار ممكونيان ، ولكن هذا الامير لقى حتفه فى دفع الخزر سنة ٦٨٥ م ، وعين العرب له خلفا حاول طرد الغزاة ، ولكن بيزنطة رفعت رأسها وتدخل جستنيان الثانى بطريقة مكشوفة ، فأعاد القائد البيزنطى ليونتوس فتح أرمينية والمناطق الجبلية المجاورة لها ، واضطلع جيش بيزنطى من ٣٠٫٠٠٠ جندى بحماية الاقليم منذ ذلك الوقت • وقد طلب عبد الملك تجديد الصلح سنة ٦٨٥ م ، ولم يتمكن المسلمون من العودة للاقليم حتى سنة ٦٩٣ م • **وكانت السياسة العربية في أرمينية دائمـا هى دخول الاقليم من احد جوانبه اثناء تحرك جيش عربى آخر على الحد الغربى المجاور للدولة البيزانطية • وبدأت** المعارك سنة ٧٣ هـ سنة ٦٩٣ م بقيادة محمد بن مروان الذى دخل أرمينية بمساعدة العناصر الموالية للعرب من اهلها ، وقد تسبب القائد الارمنى سنباط Sembat فى مقتل كثير من الروم أثناء انسحابهم ، وهكذا وفق محمد فى حملته « فقتل وسبى وغلب على البلاد » ، وقدم زعماء الارمن خضوعهم ، وبدأت منذ ذلك الوقت سلسلة من الحكام الخاضعين للعرب • وفى القسم العربى من الاقليم تمكن جيش عربى من ٤٠٠٠ رجل بقيادة عثمان بن الوليد بن عقبة من هزيمة جيش بيزنطى كبير عدته ٦٠ الفا فى معركة سبسطية اوسيواس، ويصف تيوفانيس الهزيمة بأنها منكرة • واستمر القتال حتى نهاية سنة ٧٤ هـ (٦٩٣ م) ، ولتدعيم نتائج المعارك وصل محمد بن مروان فى العام التالى الى اذروليه فى الارض التى تتقدم أرمينية •

وقد كان **دينار بن دينار مولى عبدالملك** يلى قنسرين وكورها،وهزم الروم سنة ٧٥ هـ ٦٩٤ م عند جسر يغرا على عشرة أيام من شمشاط ، وحين خرج الروم من قبل مرعش الى الاعماق فى نفس العام زحف دينار مع أبان بن الوليد بن عقبة فاقتتل المسلمون مع الروم قتالا شديدا بعمق مرعش • وفى سنة ٧٥ – ٧٦ هـ / ٦٩٥ م غزا يحيى بن الحكم عم الخليفة الصائفة أرمينية الرابعة البيزنطية فكانت معركة مرج الشحم بين ملطية

والمصيصة ولعلها بعبارة أدق قيصرية كبادوكيا ، وقد آثر بعض الصقالبة (السلاف) التحالف مع العرب ونقلوا الى انطاكية وقورس ٠

اما الوليد بن عبد الملك فقد غزا الصائفة سنة ٧٧ هـ (٦٩٦ م) من ناحية ملطية (أطمار) وهو اقليم المطامير من بند خرشنة Kharaianon في البند الارمني وظل على امارة الغزو حتى مات عبدالملك سنة ٨٦هـ ، وقد غزا في البحر حسان بن النعمان سنة ٧٧ هـ ٠

هذا وقد قام عبد الملك ابن مروان بزيادة الجزية على أهل قبرص ، ولعل ذلك كان منه اجراء تأديبيا ضد الجزيرة ، لتألب اهلها على المسلمين وتعاونهم مع الروم ٠

وتعد عملية قبرص الحربية تغطية وحماية لحملات أرمينية ٠ ومع ذلك بقي جزء من أرمينية خاضعا للروم طوال حكم عبد الملك وبخاصة ان العرب شغلوا بحرب الخوارج ، اذ احتل الخوارج الصفرية بقيادة شبيب دارا ونصيبين وسنجار وهزموا جيوش الدولة سنة ٧٦ ــ ٧ هـ (٦٩٥ ــ ٦ م) ، فلا نجد معركة جدية في صائفة سنة ٧٨ هـ (٦٩٧ م) التي كانت بقيادة يحيي بن الحكم ، وتوقفت العمليات الحربية في العام التالي بسبب المشكلات القائمة **واستطاعت بيزنطة أن تستفيد من الظروف وان تهاجم أرمينية وانطاكية** سنة ٧٩ هـ (٦٩٨ م) فقد أرسل تيبريوس الثالث جيشا الى أرمينية استولى على قاليقلا ، واصطدم بمقاومة سنباط أمير الاقليم الذى نصبه العرب ، ولكن هذا ما لبث أن تراجع فاهتزت ثقة الاقليم في كفاءة الحماية العربية ٠ وفي العام نفسه شن الروم هجوما بحريا على انطاكية واستطاعت المدينة المقاومة بتحصيناتها ورجالها ٠ وفي العام التالي سنة ٨٠ هـ (٦٩٩ م) لانجد في الجوليات العربية سوى حملة بقيادة الوليد لاتعرف وجهتها ٠ وفي سنة ٨١ هـ ــ ٧٠٠ م تضاءل النفوذ العربي في أرمينية ، وقتل سنباط الحامية العربية في نختشوان ، ومن هنا **جاء اتجاه العرب الى فتح قاليقلا** ، وان كانت الخلافة تعاني وقتئذ من فتنة بن الأشعث منذ صيف ٧٠٠ م ــ ٨١ هـ ٠

وقد قاد الحملة على قاليقلا عبد الملك سنة ٨١ هـ ، ونجحت في الاستيلاء على المدينة ، ولكن لم يكن هذا كافيا فقد اشتعلت ارمينية بالفتن واجتذى كثير من القادة الارمن حذو سنباط ٠ وفي العام الثاني سنة ٨٢ هـ ــ ٧٠١ م سار محمد بن مروان بقواته لاخضاع الاقليم ، لكنه ترك القيادة لاحد رجاله وهو أبو الشيخ ورحل الى العراق ، فتقدم الروم

نحو سميساط . وفى العام التالى سنة ٨٣ هـ ـ ٧٠٢ م استراحت الدولة من ضغط ازماتها الداخلية بعد واقعة دير الجماجم ، وغدا شغلها الشاغل هو المسألة الارمينية ، **فدخل محمد بن مروان أرمينية بينما عمل عبد الله فى الغرب ناحية طرندة** . على ثلاث مراحل من ملطية وكانت واغلة فى بلاد الروم ، وملطية يومئذ خراب « فكانت تأتيهم طالعة من جند الجزيرة فى الصيف ، فيقيمون بها الى أن ينزل الشتاء » ، وكان ذلك حلا مفيدا للمسألة الارمينية بتغطيتها بقواعد أمامية ثابتة ، وكان الروم قد أجلوا أهل ملطية أثناء فتنة ابن الزبير ، وهكذا اقترب مركز النشاط العربى من البند الارمنى . وفى سنة ٨٤ هـ (٧٠٣ م) غزا محمد بن مروان أرمينية ، وغطى ذلك غزو عبد الله الصائفة فدخل من درب انطاكية وبنى حصن المصيصة . « وكانت الطوالع تطلع عليها فى كل عام فتشتو بها ثم تنصرف وعدة من كان يطلع اليها الف وخمسمائة الى الالفين » . واستمر العمل فى العام التالى ، ثم استطاع المسلمون تدمير الحصون الاناضولية فى منطقة سيس سنة ٧٠٥ م التى وصلوها لاول مرة بعد الصعود فى النهر الذى تقع عليه المصيصة ، وقد هرع هرقل شقيق تيبريوس الثالث وهزم المسلمين بقيادة ابن جبير ولكنهم عاودوا هجومهم على هذا المكان فى السنوات التالية . وقد قام مسلمة بحملة موفقة فى الجبهة الجزرية ، وتوغل فى الاراضى البيزنطية ويروى انه استولى على قلعتين بيزنطيتين . وقد حاولت بيزنطة عرقلة استعداد العرب فى أرمينية سنة ٨٥ هـ ـ ٧٠٤ م متعاونة فى ذلك مع سنباط الذى قاد ثورة شاملة فى أرمينية سنة ٧٠١ ـ٢ م وتلقى امارة الاقليم من الروم ، واستفاد من موضع Thonkhark فى كلكيد Colchide على شواطىء البحر الاسود حيث يمكن وصول النجدات الضرورية فى الوقت المناسب . ولكن محمد بن مروان قهر سنباط بعد حملة طويلة فى أرمينية استغرقت طوال الصيف والشتاء التالى سنة ٧٠٤ـ٥ م ، ولم يجد سنباط مناصا من محاولة التفاهم مع العرب . وهكذا شغلت المسألة الارمينية العرب بالدرجة الاولى من سنة ٦٩٣ الى ٧٠٥ م ، وقد دخلت الجيوش البيزنطية الاقليم العربى من أرمينية ٣ مرات سنة ٦٩٨ ، ٧٠١م ، ٧٠٤م ـ وكانت المرتان الاخيرتان بمعاونة سنباط ، وزاد من حدة المسألة الارمينية انشغال الدولة الاسلامية بمشكلاتها الداخلية . (٩٤)

---

(٩٤) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧٢ ، ١٩٣ ـ ٤ ، ١٩٦ ـ ٧ ، الطبرى : حـ ٧ ص ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢٨٠ ، حـ ٨ ص ٣٧ ، ابن الأثير حـ ٤ ص ١٥٥ ، ١٧٤ ، ١٨٦ ، ٢٠٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب حـ ١ ص ٤٤ ـ ٥ ، اليعقوبى حـ ٣ ص ٢٦ـ٧ .
Cheira : La Lutte entre Arabes et Byz. pp. 149-150, 160:7, 169-170

أما فى افريقية ، فقد ساد الهدوء بعد صلح المسلمين والروم سنة ٦٠ هـ (٦٨٠ م) ولكن حدثت مناوشات بين العرب والبربر • ثم عقد صلح سنة ٦٥ هـ (٦٨٥م) ، لكن ما لبث زهير بن قيس البلوى ان اصطدم بالبربر أيضا سنة ٦٧ هـ (٦٨٧م) فى الوقت الذى كان فيه المسلمون يعانون من فتنة المردة فى الشام • **وقد آزر الروم الزعيم البربرى كسيلة ضد العرب** ، وكان اسطولهم يخرج من صقلية ليناوش العرب على الساحل الإفريقى حتى فقد العرب سيطرتهم على القيروان وقتل زهير • ولكن استطاع العرب أخيرا أن يتغلبوا على مقاومة كسيلة ، ثم قضى حسان ابن النعمان الغسانى على تمرد الكاهنة ، واستعاد المسلمون حصن قرطاجنة (٩٥) •

ولم يكن عبد الملك بن مروان هو الذى شقى وحده بالخلافات الداخلية ، فان معاصره البيزنطى جستنيان الثانى كان كأنما أصابه مس بهزيمته أمام العرب فأجرى مذبحة جنده الصقالبة (السلاف) فى ليوكاتا Leucata ـ كما سلف الذكر ، وشرع يقتل ضباطه ويحبسهم • وفى سنة ٦٩٥ م استطاع قائد جند هيلاس **ليونتيوس Leontius ان يقود** ثورة انتهت بالقبض على جستنيان ونفيه وتولية ليونتيوس (٦٩٥ : ٦٩٨م) • واعقبت ذلك فوضى عشرين سنة اذ أن الامبراطور الجديد لم يكن كفؤا ، فقد دعته الى الثورة مخاوفه من تنكيل جستنيان أكثر من طموحه الى العرش ، احتفظ بالعرش ثلاث سنوات بصعوبة فى وسط ثورات داخلية وهزائم خارجية فى الحد الاسيوى للامبراطورية وفى افريقية • وعندما سقطت قرطاجنة فى ايدى المسلمين دبر القادة المنسحبون فى طريقهم الى القسطنطينية مؤامرة لخلع ليويتيوس ، واشركوا معهم تيبيريوس ابسيماروس قائد الاسطول الامبراطورى فى بحر ايجة ، وكللت المؤامرة بالنجاح وكان عهد تيبريوس الثالث Tiberius III (٦٩٨ ، ٧٠٥ م) أكثر توفيقا فى مناطق الحدود البيزنطية الاسلامية • **ثم تمكن جستنيان الثانى** من الفرار من منفاه واللجوء الى خان قبيلة الخزر التتارية شرقى بحر أزوف ، ولما أحس بمؤامرة لتسليمه نجح فى الفرار واسترداد عرشه ، وهكذا بدأت الفترة الثانية من حكمه (٧٠٥ : ٧١١ م) • والمسعودى يقص أنباء هذه الفترة المضطربة من تاريخ عرش الروم فيقول « اسطنيانس المعروف بالاخرم : ملك تسع سنين فى أيام عبد الملك ثم خلع وخرم أنفه وقطع عرق تحت لسانه ليخرس ، فسلم من ذلك وحمل

(٩٥) دكتور ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية جـ ٢ ص ١٧٨ : ١٨٣ ،
Cheira : La Lutte entre Arabes et Byz. pp. 158-4

الى بعض الجزائر فهرب ولحق بملك الخزر مستنجدا به ، وتزوج هناك فلم ير عندهم ما يحب فصار الى طرفلا ملك برجان ... أولنطس وقيل لونطس : ملك ثلاث سنين في ايام عبد الملك ثم زهـــد في الملك واظهر العجز عنه ، فلحق بالدير فترهب ... ابسيمر المعروف بالطرسوسي : ملك سبع سنين فى أيام عبد الملك ، فسار اسطنيانس الاخرم ومعـه طرفلا ملك برجان منجدا له فى جيوش كثيفة ، فكانت مع أبسيمر حروب يطول شرحها ، فغلب اسطنيانس على الملك وخلع أبسيمر ـ وكان ذلك فى السنة الاولى من ملك الوليد بن عبد الملك واستوى الامر له ، وقد كان شرط لطرفلا ملك برجان اذا رجع الملك اليه أن يحمل اليه فى كل سنة خراجا وكان يفعل ذلك ، واشتد عسفه للروم ، وبسط يده فى القتل فيهم وأباد كثيرا من رؤسائهم وبطارقتهم فأجمعوا على قتله » . واستطاع **فيليبيـكوس** Philippicus (٧١١ : ٧١٣م) ان يستولى على القسطنطينية أثناء غياب جستنيان فانتهت اسرة هرقل . ولم يكن الامبراطور الجديد كفئا فخرج بنفس الطريق الذى أتى به ، وتولى سكرتيره ارتيميوس **انســتاسيوس** العرش Anastasius II (٧١٣ : ٧١٥ م) ولكن جنـود بند (الابسيق الاوبسيكيون Apsikion لم يرضـــوا عن مؤامرته توليته العرش فقضوا عليه ، واعطوا التاج **لثيود وسيوس ادراميتم** (٧١٥ : ٧١٧م) Theodosius *III* (٩٦) .

ويروى من حماقات جستنيان الثانى فى اواخر فترة حكمه الاولى أنه **فى ارسال حملة الى الشام لتأتى ببطريرك الموارنة** وأخرى الى روما لتأتى بالبابا امعانا فى تأييد مذهب المشيئة الواحدة (المونوثليت) الذى كان يعارضه الكاثوليك . ويذكر السمعانى أن الجيش البيزنطى بلغ سوريا فى أواخر الربيع فوثب على دير القديس مارون سنة ٦٩٤ م وكان الموارنة قد نقلوا البطريرك منه وتحول الجند من هناك الى قنسرين العواصـم «وضربوا هذين البلدين المهمين فى ذلك العمل ، وقرض أصحاب المشيئة الواحدة سكانهما عن آخرهم ، وتركوا كل ما فيهما غنيمة للجنـــود » . وعسكر الجيش البيزنطى بجوار طرابلس وجنوده يقتلون وينهبـــون وينشرون الفزع والهلع» فوردت حينئذ رسائل من قسطنطينية من لاون ـ الذى كان الامبراطور أراد ارساله فى تلك المهمة فاعتذر فكان نصيبـه السجن ـ الى البطريرك يوحنا والى سمعان أمير لبنان يبشرهما فيه بخلع يوستنيانس من الملك وترقيته هو الى منصته ويأمرهما بضرب الجيش

---

(٩٦) أومان : الامبراطورية البيزنطية ترجمة دكتور بدر ص ١٣٨ ـ ١٤٣ ، رستم : الروم جـ ١ ص ٢٧٠ ، ٣ ، المسعودى : التنبية والاشراف ص ١٤٠ .

الذى أرسل الى سوريا بمنزلة عدو للملك ... فاندفقوا من أعالى الجبال اندفاق الماء المنهمر ووثبوا على جيش يوستنيانس وثبة الأسود فأثخنوا فيهم » • ويبدو أن ذلك كان فى فترة انشغال عبد الملك بن مروان بالفتن الداخلية ، يؤرخ (كرد على) لتلك الواقعة بسنة ٧٥هـ (٦٩٥ م) • وتدل الحادثة على ضعف قبضة المسلمين على تلك المنطقة من الشام ، وارتباط تلك الطائفة من سكانها بالروم حتى نظر اليها جستنيان الثانى باعتبارها من رعاياه الذين تجرى عليهم احكامه (٩٧) •

لقد استفاد الروم من الاضطرابات الداخلية فى الدولة الاسلامية ، فحاولوا استثارة الخزر والبربر والمردة ومعاونتهم ضد العرب فى ارمينية وافريقيــة والشام ، فى الوقت الذى هاجموا فيه ثغور الدولة البـرية والبحرية •

وفى الوقت نفسه اغتنم البيزنطيون الفرصة فراحوا يرتبون أمور دفاعهم فى بندى الابسيق Opsikion **البرى وبند كيبرايوت البحرى ـ** لحماية ديارهم من هجمات العرب • وقد خرجوا من تلك الفتــرة أكثــر وأقوى جيشا ، دون أن تشتط بهم المطامع والمغامرات •

وبالنسبة لدولة الاسلام غدت الشام ومصر من صميم ديار الاسلام، والمركز الحقيقى لقوته • وفى خلال العامين الاخيرين من حكم عبـد الملك وضع الخليفة أسس **المسالة الارمينية** ، وشرع فى خطة للهجوم اضطلع بها ابناه وخليفتاه الوليد وسليمان ، ونهض بتنفيذها مسلمة بن عبد الملك الذى أثبت كفاءته العسكرية • وقد تابع قيادة الحملات ١٥ ســـنة على التوالى ـ لم يتخلف الا فيما ندر (٩٨) •

توطيد وامتداد : (الوليد بن عبد الملك ٨٦ : ٩٦هـ ـ ٧٠٥ : ٧١٥م)

ارتقى الوليد عرش الخلافة فبدأت فترة جديدة من الفتوحات الكبيرة ، اذ كان الوليد قد جنى ثمرات جهاد أبيه فى الداخل فسادت السـكينة وهدأت العراق تحت حكم الحجاج الذى تمسك به الوليد • **ولم يكن الوليد متحيزا الى قيس** اذ لم يكن بحاجة الى ذلك وكان كابيه يرى أن يستعلى بقدر الامكان فوق هذه العصبيات ، أما أن الحجاج ـ وهو قيسى كان من

---

(٩٧) الدبس : تاريخ سوريا م ٥ ص ١١٨ : ١٢١ ، كرد على : خطط الشام حـ ١ ص ١٥٢ ـ ٣ •

(٩٨) Cheira : La Lutte entre Arabes et Byz. pp. 157, 170-1.

رجالهما فقد كان ذلك بسبب شخصه لا قبيلته، وعلى هذا يعارض فلهوزن دوزى حين يقول : « ان حكومة الوليد كانت قد أبلغت قيسا ذروة قوتها ، فجاء سقوطها بعد موته على الفور وكان سقوطا مريعا » • ويرى فلهوزن ان بغض سليمان ابن عبد الملك الذى خلف الوليد للحجاج كان شخصيا أيضا « وقد عزل سليمان عمال الحجاج لأنهم كانوا صنع يده لا لأنهم كانوا قيسيي الهوى (٩٩) » •

وقد عمل الوليد على اقرار الأمور في الثغور • ففى سنة ٨٩ هـ ــ ٧٠٨ م « اجتمع **الجراجمة** الى مدينتهم وأتاهم قوم من الروم من قبل الاسكندرية وروسس Roussos ، فوجه اليهم الوليد مسلمة فأناخ عليهم في خلق فافتتحها ، على أن ينزلوا بحيث أحبوا من الشام ويجرى على كل امرىء منهم ثمانية دنانير وعلى عيالاتهم القوت من القمح والزيت ، وعلى ألا يكرهوا ولا أحد من أولادهم أو نسائهم على ترك النصرانية ، وعلى أن يلبسوا لباس المسلمين ولا يؤخذ منهم ولا من أولادهم أو نسائهم جزية ، وعلى أن يغزوا مع المسلمين فينفلوا أسلاب من يقتلونه مبارزة ، وعلى أن يؤخذ من تجارتهم وأموال موسريهم ما يؤخذ من أموال المسلمين • فأخرب مدينتهم ، وأنزلهم فأسكنهم جبل الحوار وسنح اللولون وعمق تيزين وصار بعضهم الى حمص ، ونزل بطريق الجرجومة في جماعة معه أنطاكية ثم هرب الى بلاد الروم ••• ونقل **الوليد الى أنطاكية قوما من الزط** السند ممن حملهم محمد بن القاسم الى الحجاج فبعث بهم الحجاج الى الشام » وبهذا فرق الوليد شمل الجماعة المتمردة التي توثقت صلاتها بالروم حتى كانت شوكة في جنب المسلمين ، وأبعدهم عن مراكزهم الحساسة ، وكانت هذه خطوة حكيمة بعد خطوة عبد الملك في اجلاء عدد كبير منهم الى بلاد الروم • وعمل الوليد بن عبد الملك على تأمين الطريق بين العواصم والثغور ، وكانت ترتع فيه الوحوش « قال أبو النعمان الانطاكي : كان الطريق فيما بين أنطاكية والمصيصة مسبعة يعترض للناس فيها الأسد ، فلما كان الوليد ابن عبد الملك شكى ذلك اليه فوجه أربعة آلاف جاموسة وجاموس فنفع الله بها ، وكان محمد بن القاسم الثقفى عامل الحجاج على السند بعث منها بألوف جواميس ••• وأما جواميس أنطاكية فكان أصلها ما قدم به الزط معهم وكذلك جواميس بوقا » • وقد أقطع الوليد جند أنطاكية أرض سلوقية عند الساحل « فعمروها وجرى ذلك لهم ، وبنى حصن سلوقية • وكانت أرض بغراس لمسلمة بن عبد الملك « فوقفها في سبيل البر (١٠٠) »

---

(٩٩) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية • ترجمة دكتور ابى ريدة ص ٢١٦ : ٨ ، ٢٥١ ــ ٢

(١٠٠) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٦٨ ، ١٧٤ ــ ٥ ، ١٥٥ ، اليعقوبى ج ٣ ص٢٧ ــ ٨

وبعد أن استقرت سيطرة العرب فى أرمينية عادت حملات الشواتي **والصوائف** منذ أواخر أيام عبد الملك ، فكانت تمهيدا لحصار جديد للقسطنطينية • وقد وكل الوليد حرب الروم الى أخيه **مسلمة بن عبد الملك والى ابنه العباس بن الوليد** ، فأظهر كلاهما مقدرة حربية في قياة الحملات وبخاصة مسلمة الذى كان أبوه يسميه «ناب بنى أمية» • ولم تكن هذه الحملات يقصد بها التهديد فحسب ، بل كان هدفها دك حصون العدو ومدنه المسلحة وانشاء حصون جديدة مما أدى الى امتداد النفوذ العربى فى آسيا الصغرى • وقد كانت الدولة البيزنطية تعانى من اضطراباتها الداخلية فى أواخر الفترة الثانية من حكم جستنيان الثانى وفلبيكوس وانستاسيوس الثانى وكانت المؤامرات والفتن هي الطريق الى العرش • فبدأ البلغاريون والمسلمون مرة أخرى يكتسحون ولايات الحدود ، وتزايدت غاراتهم كل توغلا واندفاعا واختل النظام الحربى فى الدولة وارتبكت شئونها •

تتابعت الغزوات كما يذكر مؤرخو الحملات المسلمون من سنة ٨٦ هـ الى سنة ٩٦ هـ وقد غزا **مسلمة بن عبد الملك** سنة ٨٧ هـ (سنة ٧٠٦ م) أرض الروم ومعه يزيد بن جبير فلقى الروم فى عدد كثير بسوسنة من ناحية المصيصة ويبدو انها سيس • ويروى أن مسلمة لاقى ميمونا الجرجماني في هذه الغزوة وجرى قتال الروم عند طوانة « فقتل منهم بشرا كثيرا وفتح الله على يديه حصونا » والبلاذرى يخالف الطبرى وابن الاثير ويروى نبأ ميمون فى خلافة عبد الملك « وكان ميمون الجرجمانى عبدا روميا لبنى أم الحكم أخت معاوية بن أبى سفيان ـ وهم ثقفيون ، وانما نسب الى الجراجمة لاختلاطه بهم وخروجه بجبل لبنان معهم • فبلغ عبد الملك عنه بأس وشجاعة فسأل مواليه أن يعتقوه ففعلوا ، وقوده على جماعة من الجند وصيره بانطاكية فغزا مع مسلمة بن عبد الملك الطوانة وهو على ألف من أهل انطاكية فاستشهد بعد بلاء حسن وموقف مشهود ، فغم عبد الملك مصابه وأغزى الروم جيشا عظيما طلبا بثأره » • ولعل تأخير هذه الواقعة الى عهد الوليد أولى • وقيل ان الذى غزا سنة ٨٧ هـ هو **هشام بن عبد الملك** « ففتح الله على يديه حصن بولق وحصن الاخرم وحصن بولس وقمقم ، وقتل من المستعربة نحوا من ألف مقاتل وسبى ذراريهم ونساءهم » • ولعل حصن بولق وحصن بولس كانا فى منطقة يسكنها البيالقة Paulicians الذين كانوا على المذهب الذى أحدثه بولس الشمشاطى • وقلفت النظر هنا أن نجد ذكر المستعربة فى داخل الاراضى البيزنطية ، ويبدو أنهم من سلالة الذين رحلوا الى بلاد الروم

عند الفتح الاسلامي أو من الجراجمة الذين أجلوا الى هناك • وقد تعرض البند الاناضولي في العامين التاليين لهجمات المسلمين من أجل انهاء مسألة الجراجمة أو عزل سيس • حتى اذا كانت سنة ٨٨ هـ ـ سنة ٧٠٧ م كانت أهم المعارك التي خاضها المسلمون في تلك الفترة وقد خلدها الشاعر جرير فقد عملوا على الاستيلاء على حصن طوانة قرب المصيصة Tyana وكانت طوانة مفتاح الطريق الهام بين الشام والبسفور رأهم معاقل كبادوكيا ونقع الى الجنوب من كيليكيا وهي تسد ممر طوروس ، تدعم مركز سيس التي أراد المسلمون تدميرها من زمن ، ومن شأن هذه الضربة أن تجعل المردة معزولين • وقد حاصر المسلمون طوانة تسعة أشهر بالمنجنيقات حتى بلغت خسائر الروم فيها حوالى خمسين ألفا عدا الاسرى والغنائم ، وقد انتهز المسلمون فرصة ما وصلهم من أنباء هجوم خزر القوقاز على الاقليم الروماني « **وكان على الجيش مسلمة بن عبد الملك والعباس ابن الوليد بن عبد الملك** •• وهزم المسلمون العدو يومئذ حتى صاروا الى كنيستهم ، ثم رجعوا فانهزم الناس حتى ظنوا ألا يجبروها أبدا • وبقي العباس معه نفر منهم ابن محيريز الجمحي فقال له : أين أهل القرآن الذين يريدون الجنة ؟ فقال له ابن محيريز : نادهم يأتوك ، فنادى ـ فأقبلوا جميعا فانهزم الله العدو حتى دخلوا طوانة • **وكان الوليد ضرب البعث على اهل المدينة في هذه السنة** ـ بعث ألفين خرج منهم ألف وخمسمائة • وغزا أيضا مسلمة الروم ففتح على يديه حصون ثلاثة : وحصن قسطنطينية ، وغزالة ، وحصن الاخرام وقتل من المستعربة نحوا من ألف من سبى الذرية وأخذ الاموال » •• وفي سنة ٨٩ هـ (٧٠٨ م) شغل مسلمة باخضاع فتن الجراجمة طوال الصيف ، وكان الروم قد انزلوهم على الساحل بين الاسكندرية وروسس Roussos ، ردا على هزيمتهم في الطوانة وتهديدهم في سيس ، وذلك لشغل المسلمين بهذا الخطر وتهديد قلعة المصيصة • وقد بقي الجراجمة مصدر خطر رغم توطينهم داخل الشام بعد فتنتهم أيام عبد الملك ، وبعد فريق آخر منهم الى داخل آسيا الصغرى بمقتضى الاتفاق بين المسلمين والبيزنطيين سنة ٦٩ هـ (٦٨٩ م) وقد أخمد مسلمة الفتنة بقوة واحتل مراكزهم الجراجمةالرئيسية وأجبرهم على التوطن في أماكن محددة هي جبل حواروسنح اللولون وعمق تيزين وحمص ثم أنطاكية نفسها حيث استمروا يكونون مجتمعا متميزا يتزعمه بطريق خاص • على أنهم قد أعطوا بعض الامتيازات مثل المشاركة في غنائم ما يشهدون من معارك ، ومنح مقاتلتهم العطاء نقدا أو نوعا واعفائهم من الجزية ، وهكذا يكون المردة جندا في خدمة الدولة يشتركون

في الدفاع عن حدودها دون أن يجبروا على اعتناق الاسلام ، ولم يهجروا جبلهم تماما ولكن شوكتهم قد خضدت .

وغزا مسلمة والعباس أيضا في العام نفسه أرض الروم « ودخلاها جميعا ثم تفرقا - على رواية الواقدى - فافتتح مسلمة حصن سورية ، وافتتح العباس أدورلية ووافق من الروم جمعا فهزمهم . وأما غير الواقدى فقال : قصد مسلمة عمورية فوافق بها للروم سمعا كثيرا فهزمهم وافتتح هرقلة وقمودية (قونية عند ابن الأثير) وغزا العباس الصائفة من ناحية البذندون » وهكذا استولى المسلمون على حصون للعدو فى قيليقية . وقد تكرر اسم سورية وحصونها فى السنوات التالية ، وقد سبق ذكر هذا الاسم فى أخبار سنة ٢٨ هـ اذ « غزا حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم ولم ينكب » . وفى سنة ٦٠ هـ « كانت غزوة مالك بن عبد الله سورية » . وتتابع غزو هذه المنطقة فى السنوات ٩٠ : ٢ هـ (٧٠٩:٧١١م) « وفتح مسلمة الحصون الخمسة التى بسورية ، وغزا العباس بن الوليد - قال بعضهم حتى بلغ الأرزن ، وقال بعضهم حتى بلغ سورية » ويبدو أن الحصون الخمسة فى نواحى سيس . وفى سنة ٩٤ هـ (٧١٣ م) بلغ يزيد ابن أبى كبشة أرض سورية - والاسم يرد بهذه الصورة فى روايات الواقدى .

وظهر فى حملات الصوائف اسم **عبد العزيز بن الوليد** سنة ٩١ هـ (٧١٠ م) وكان على الجيش مسلمة ، كما ظهر اسم **عمر بن الوليد** بجانب مسلمة سنة ٩٢ هـ « ففتحت حصون ثلاثة وجلا أهل سوسنة الى جوف أرض الروم » . وظهر اسم **مروان بن الوليد** سنة ٩٣ هـ (٧١٢ م) فبلغ خنجرة وهى أبعد من أماسيا ، فى حين افتتح مسلمة ماسة (أماسيا على شواطىء المجرى الاوسط لنهر Lycos) وحصن الحديد وغزالة وبرجمة من ناحية ملطية . وافتتح العباس بن الوليد سنة ٩٣ هـ - أو سنة ٩٥ هـ سبسطية (وهى أقرب لملطية من أماسيا ، فى الحوض الأعلى لنهر Halys) والمرزبانين (لا يمكن تحديدها) وطولس (ويذكر الدكتور شعيرة انها طرسوس ويرى بعدها عن ميدان المعارك) وهرقلة . وكانت الوجهات المتعددة لهذه الحملات فى طريق واحد يخترق البند الارمنى ، فقد كان مسلمة فى ماسة يتقدم العباس فى سبسطية ، ولكن يتقدمه مروان فى خنجره . ولم يكن هذا النشاط الاسلامي ليجد مداه الواسع فى سهولة الا بسبب اضطراب الامور الداخلية فى الدولة البيزنطية سنة ٧١١ م ، فضلا عن **تعصب الامبراطور فيليبيكوس الارمنى الاصل الذى كان يشترك مع غالبية الارمن فى المذهب ضد مواطنيه المخالفين لمذهبه وعمله على طردهم**

من الامبراطورية • ومن الذين صاروا معه سنباط الذى هجر الجانب العربي وانضم الى الروم ، فى حين لجا كثير من الساخطين الى العـــرب الذين اقاموهم على الفرات ، وهكذا دخل العرب فى الصراع بين الروم والأرمن• وتعرضت العاصمة البيزنطية لخطر البلغار الذين اغاروا على تراقيه سنة ٧١٢ م • وقد كان للعباس بن الوليد بلاء مجيد فى حرب الثغور ، وهو الذى صار الى مرعش « فعمرها وحصنها ونقل الناس اليها وبنى لهـا مسجدا جامعا ، وكان يقطع فى كل عام على أهل قنسرين بعثا اليها » وقد ذكر أن العباس هو الذى أحرق سنة ٩٤ هـ سنة ٧١٣ م انطاكية المحترقة لبلاد الروم Antioch in Pisidia وقد غطت عمليات حملة انطاكية جيوش أخرى قامت بعمليات ثانوية فى غزالة قرب سيس وبرج الشحم (وهو موضع غير محدد) وسنورية (؟) وقو استطاع المسـلمون بهذه الحملات المتوالية أن يتوغلوا داخل بلاد الروم تدريجيا ، وان كانوا قد تكبدوا فى حملاتهم المتوالية تضحيات كبيرة ففى سنة ٩٥ هـ مثـلا « قتل الوضاحي بأرض الروم ونحو من ألف رجل معه » وفى سنة ٩٥ هـ (سنة ٧١٤ م) اخترقت الحمـلات الاسلامية طريقا وسطا الى هرقلة وقيسارية (قيصرية) من ناحية ، والى حصن عوف أو عقيق (ولا يمكن تحديد موضعه) من ناحية أخرى • وقد استولى العباس على هرقلة وبعض الحصون المجاورة لها التى منها قيصرية ويذكر المسعودي أن أهمية هرقلة كأهمية عمورية • وفى العام التالى توغل جيش مسلمة الى مدى أبعد فى آسيا الصغرى وربما يكون ميدان عمل هذه الحملة فى جالاتيا وقد يكون هناك حصن عوف أو عقيق • وغزا بشر بن الوليد الشاتية سنة ٩٦ هـ سنة ٧١٤ م ولم يعد بعد وفاة الوليد • وقد تتابع الاباطرة البيزنطيون فى عهود قصيرة ، وسادت الفوضى والفتن شئون الدولة الداخلية •

ويبدو أنه كان للمسلمين نشاطهم البحرى ايضا ، رغم حرمانهم من القواعد والسيطرة البحرية نتيجة الاضطرابات الداخلية • فقد ورد فى أخبار سنة ٩٠ هـ (٧٠٩م) أن الروم أغارت على دمياط وأسرت خالد بن كيسان صاحب البحر « فذهبوا به الى ملكهم فأهداه الى الوليد » وقد لقي المسلمون خسارة بحرية ـ بسبب النار الاغريقية ايضا سنة ٩٣ هـ (٧١٢ م) وفى السنة التالية سنة ٩٤ هـ (٧١٣ م) جرد المسلمون حملة على قبرص ، ولعل ذلك كان بسبب عدم استقرار الأمر فى الجزيرة وفداحة الجزية التى تؤخذ منها وربما تعرضت كريت للهجوم أيضـا من نفس الحملة ، وفى نفس العام اشتبك جانب من أسطول الشام مع قوات مصر فى حملة صوب الغرب •على أن أكبر جهود بذلها الأسطول

الاسلامي كانت في حصار القسطنطينية ولم تستطع رودس ولا البند البحرى كيبيرايوت اعتراض سبيله ٠

وكان الامبراطور البيزنطي انستاسيوس الثاني قد أخذ يقوى جبهة آسيا الصغرى لمواجهات الحملات الاسلامية المتكررة وعين على البند الاناضولى وهو الاقليم الحربى الشرقي بآسيا الصغرى **القائد ليومن مواطني** المنطقة الجبلية في ايسورة والذى قضى فترة طفولته في مدينة مرعش Germanica – كما يذكر المسعودى – وتقع على الحدود الاسلامية البيزنطية حيث أتيح له أن يتعرف على العرب ٠ ونجح في مهمة مبكرة بين القبائل الضاربة على حدود الامبراطورية في الشمال ٠ ويصف أومان Oman ليو الايسورى بأنه « الرجل الذي قدر له أن ينقذ الامبراطورية الرومانية الشرقية من تمزيق سابق لأوانه ، وهو من الضباط الحربيين القليلين الذين اشتهروا أثناء الكوارث المخيفة في السنوات العشر الاخيرة، وقد اقنع ليو المسلمين برفع الحصار عن عمورية بالسياسة أكثر منه بالقوة ٠٠ وسيصبح عليه أن يواجه هجوما أخطر من الهجوم الذى صده قسطنطين الرابع منذ ثلاثين سنة ، ولم يكن عنده سوى جيش محطم تعود أخيرا على الثورة أكثر من تعوده على القتال ، وخزانة خاوية ونظام ادارى تشيع فيه الفوضى » ٠ وقد واجه الوليد بن عبد الملك شخصية ليو بشخصية أخيه مسلمة بن عبد الملك اذ عزل محمد بن مروان سنة ٩٠ أو سنة ٩١ هـ عن الجزيرة وأرمينية واستعمل عليها أخاه مسلمة ٠ وبدأت استعدادات واسعةلحصار القسطنطينية سنة ٧١٤، **وقد أوفد انستاسيوس** الثاني دانيال Daniel بطريق سينوب سنة ٩٥ هـ (سنة ٧١٤ م) **على رأس سفارة لتتباحث مع السلطات الاسلامية في شأن عقد هدنة بين الدولتين ، وتستطلع أخبار استعدادات المسلمين للغزو المرتقب ٠** وجاءت البعثة تؤكد نبأ هذا الحصار الاسلامي الجديد فأمر انستاسيوس كل فرد أن يخزن لنفسه مئونة ثلاث سنوات وألا يغادر العاصمة وملأ الخزائن بالقمح واهتم بتجديد أسوار المدينة وتسليحها بالمجانيق وغيرها (١٠١) ٠

(١٠١) الطبرى حـ ٨ ص ٦٢ رواية الواقدى ، ٦٤ – ٥ رواية الواقدى ، ٦٧ رواية الواقدى وغيره (أيضا حـ ٥ ص ٥٤ ، حـ ٦ ص ١٧٩ رواية الواقدى) ، ٦٨ رواية الواقدى ، ٧٤ ، ٨٣ ، ٩١ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ابن الأثير حـ ٤ ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، (أيضا حـ ٣ ص ٤٠ ، حـ ٤ ص ٢) ، ٢٢٤ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ ، حـ ٥ ص ٣ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧٧ ، ١٩٧ ، اليعقوبى حـ ٣ ص ٣٥ – ٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب حـ ١ ص ٤٥ – ٤٦ ، المسعودى : مروج الذهب حـ ١ ص ٢٠٤ دكتور العدوى : الامويون والبيزنطيون ص ١٨١ : ٤ ، =

واستمر ارسال الحملات **في جبهات أخرى** « فغزا مسلمة الترك حتى بلغ الباب من ناحية اذربيجان ففتح حصونا ومدائن » « وغزا موسى بن نصير **الأندلس** ففتح مدائن وحصونا (١٠٢) » • وهناك رواية قديمة تروى ان عثمان بن عفان كان قد ارسل عبد الله ابن نافع بن الحصين وعبد الله بن نافع بن عبد القيس من افريقية الى الاندلس فأتياها من قبل البحر وكتب عثمان الى من انتدب من أهل الأندلس : اما بعد فان القسطنطينية انما تفتح من قبل الأندلس وانكم ان افتتحتموها كنتم شركاء من يفتحها في الاجر (١٠٣) • وبينما يتقبل البعض هـذه الرواية عن ذلك المشروع المبكر ويقول : « ان أول واضع لخطة الفتوحات الاسلامية فى أوربا هو الخليفة الثالث عثمان ••• وقد اتخذ ولاة شمالى افريقية وقواده أجنادها وصيته نبراسا لسياستهم الاسلامية التى يسيرون عليها» ، يتشكك آخرون فيها استبعادا لمثل هذا المشروع الضخم للدوران حـول البحر المتوسط عن طريق فرنسا وأوربا الوسـطى والاسـتيلاء على القسطنطينية من الخلف وتحويل البحر المتوسط الى بحيرة اسلامية ، اذ يصعب تصور مسير الفتوح العربية على هذا النحو من التخطيط الدقيق البعيد المدى [illegible] الأمويين [illegible] الاسلامية بعد أن ورثت من الدولة البيزنطية سوريا ومصر فى مواصلة الحرب ضد عدوها والسعى لتوطيد سيطرتها على البحر المتوسط فى الغرب بعد الشرق » فاستمر الهجوم الاسلامى برا كنتيجة طبيعية للقوى المادية والمعنوية ، كما ابدى العرب اهتماما جديدا فى هجماتهم البحرية بالشئون الاقتصادية والاحتياجات التجارية التى كانت قائمة وقتذاك • ان التجار المكيين ــ من بنى أمية ــ قد قدموا الدليل على مواهبهم الحقيقية كرجال دولة (١٠٤) •

وفى هذه الاثناء استمرت غزوات **جزر البحر المتوسط** ، فواصـل المسلمون فتح جزيرة **اقريطش** فى زمن الوليد (١٠٥) • ولما فتح موسى الاندلس سير طائفة من عسكره فى البحر الى جزيرة **سردانية**

= اومان : الامبراطورية البيزنطية ــ ترجمة دكتور بدر ص ١٤٣ : ٥ ، دكتور ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية حـ ٢ ص ١٩٣ : ٥ •
Cheira : La Lutte entre les Arabes et Byz. pp. 171:181, 199-200.

(١٠٢) الطبرى حـ ٨ ص ٦٧ ، ٧٤ ــ ٥ ابن الاثير حـ ٤ ص ٢٢٢ ، ٢٢٧ •

(١٠٣) الطبرى حـ ٥ ص ٥٠ ــ ١ رواية سيف ، ابن الاثير حـ ٣ ص ٣٨ ــ ٩ •

(١٠٤) شكيب ارسلان : تاريخ غزوات العرب ص ٢٩٦ ،
Gaudefroy-Demombynes, Platonov: Le Monde Musulm. et Byz., pp. 318-9

(١٠٥) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٤٤ ــ ٥

سنة ٩٢ هـ « فدخلوها وهي من أكبر الجزائر ما عدا صقلية واقريطش ، وعمد النصارى الى ما لهم من آنية ذهب وفضة فالقوا الجميع في المينا ، وجعلوا أموالهم في سقف البيعة العظمى ، وغنم المسلمون فيها مالا يحد ولا يوصف وأكثروا الغلول ، وأصاب سهم السقف ـ خطأ ـ فنزلت الدنانير » • وقد تتابعت الحملات لغزو هذه الجزيرة بعد ذلك ، وأسهم في ذلك عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة الفهرى سنة ١٣٥ هـ ، كما غزيت في عهد الخليفة الفاطمى المنصور بن القائم سنة ٣٢٣ هـ ، وغزاها مجاهد العامرى سنة ٤٠٦ هـ من دانيه وكان صاحبها • ويجمع بن الأثير بين هذه الاخبار التى تباعدت أزمانها ويقول عن غزوة مجاهد وهي الاخيرة « فانهزم المسلمون وخرجوا من سردانية وأخذت بعض مراكبهم ••• ولم تغز بعد ذلك وانما ذكر بعض اخبارها ههنا لقلتها ـ واذ تفرقت لم تعرف كما يجب » وابن الاثير يجرى على هذه الطريقة في بعض المواضع (١٠٦) •

ويذكر اليعقوبى ان العباس بن الوليد فتح **قبرص** سنة ٩٥ هـ ، لكن الطبرى يروى أن هذا الفتح كان لقنسرين ـ وهذا غريب ، ويتابعه على ذلك ابن الأثير • ويبدو من تشابه حروف الكلمين احتمال حدوث تحريف عند النسخ (١٠٧) • وبالنسبة **لصقلية** يظهر أن الروم كانوا قد نقلوا اليها بعض قواتهم التى كانت مرابطة في المغرب بعد انسحابهم منه أمام العرب ، وقد عاود المسلمون مهاجمة الجزيرة • على أن خبر أسر الروم لخالد بن كيسان أمير البحر ، ومهاجمتهم للساحل المصرى سنة ٩٠ هـ ٧٠٩ م مما يدل على تفوق الروم البحرى (١٠٨) •

الحصار الثالث للقسطنطينية : سليمان بن عبد الملك ٩٦ : ٩٩ هـ ـ ٧١٥ ـ ٧١٧ م

تابع سليمان بن عبد الملك سياسة أخيه الرامية الى توجيه ضربة كبيرة للقسطنطينية بعدة وأهبة عظيمتين • وتتميز سياسة سليمان الداخلية بتلك الحرب التى شنها سليمان على آل الحجاج وأنصاره وعماله وكان الحجاج نفسه قد توفى قبل وفاة الوليد • واستعان سليمان بعدو الحجاج الألد يزيد بن المهلب ، على أن هذا لا يعنى أن سليمان كان ينزع نزعة

(١٠٦) ابن الأثير حـ ٤ ص ٢٣ ـ ٣

(١٠٧) اليعقوبى حـ ٣ ص ٣٦ ، الطبرى حـ ٨ ص ٩٦ ، ابن الأثير حـ ٤ ص ٢٤٦ •

(١٠٨) دكتور ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ص ٢٤٤ ـ ٥

يمنية ظاهرة » وليس ثمة أى أثر يدل على انه كان فى الشام منحازا الى جانب اليمن عن جانب قيس ، بل هو كان يأسف لأنه جرح مشاعر قيس الشام بما صنعه مع قتيبة بن مسلم ـ وكانت له محبة فى الشام عند قيس الذين يقطنون أرض الجزيرة وكانت باهلة تقيم بينهم ،وكانت أم سليمان هى أم الوليد ـ قيسية من عبسى · أما انقسام العالم العربى الى قسمين متخاصمين على أساس الانقسام القبلى فانه كان فى ذلك الوقت مايزال في دور التكوين ، وقد كان مابين الولاة والرؤساء الأقوياء من عداء شخصى سببا جوهريا فى تفاقم خطب هذا الانقسام » · ولم يسلك يزيد بن المهلب في حكم العراق طريقا غير طريق الحجاج بل أقام مثله فى واسطا واستبقى أهل الشام فى العراق (١٠٩) ·

وتمثل نزوع الامويين الى الصحراء فى سليمان بن عبد الملك ، فقد أخذ البيعة لنفسه في الرملة · بل قيل انه هو الذى كان قد أحدث الرملة ومصرها عندما ولاه أخوه الوليد جند فلسطين · وهكذا ظهرت **العواصم الصحراوية السورية** وفيها بيوت عليها قبـــاب وتحاط بالاسوار وهى مفتوحة من كل جانب للريح ، وكان معاوية ويزيد يحبان الاقامة بجانب بحيرة طبرية ، وينسب الى الوليد بناء قصر المشتى قرب البحر الميت ، وجاء سليمان فأنشأ الرملة · **وقد اقتربت بعض هذه العواصم الصحراوية من اقليم الثغور والعواصم ، فكان سليمان يسكن فى دابق وكان عمر بن عبد العزيز يسكن خناصرة شرقى حلب ، وسكن هشـام بن عبد الملك بالس بين حلب والرقة على الفرات والرصافة على طرف البرية غــربى الفرات (١١٠) ·**

استمر مشروع حصار القسطنطينية في عهد ســليمان دون أى تغيير · وقد استغل العرب أزمة الروم الحرجة التى يصورها شاهد معاصر سنة ٧١٥ م فيقول : تغيرات متتابعة كثيرة فى الأباطرة ، تدهور مستمر فى حالة الدولة ، انحطاط فى النظام العسكرى ، وكانت نتيجة هــذا كله ان أعداء الدولة مرحوا فى اقاليمها وتزايدت المدن التى تتساقط فى أيديهم · وقد تكاتفت اقاليم مصر والشام وشمال افريقية على اعداد الحملة الاسلامية وتسييرها · فابحر أسطول من مصر الى شواطىء الشام لجمع اخشاب من سواحل لبنان لصناعة سفن فى دور الصناعة بمصر

---

(١٠٩) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية · ترجمة دكتور ابى ريدة ص ٢٤٩ ، ٢٥٤ ·

(١١٠) دكتور ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية حـ ٢ ص ٢٤١ : ٣ ، البلاذرى · فتوح البلدان ص ١٥٠ ، Brockelmann : Hist. of Isl. Peop. p. 91.

ورافق الحملة المقدسة كثير من فقهاء الشام والعراق ، وحشد النفط والعدد والمؤن اللازمة لحصار طويل يستغرق الصيف والشتاء • وقد عهد الروم الى جند الابسيق (اقليم العاصمة الامبراطورية) بمهاجمة الاسطول المصري الذي ينقل الاخشاب ، بينما وجهت بعض الفرق الى جزيرة رودس في طريقها لمهاجمة سواحل الشام سنة ٩٦ هـ سنة ٧١٥ م ولكن حال دون ذلك تمرد الاسطول وفرق الابسيق واتجهت الفرق الى القسطنطينية وعزلت الامبراطور وعينت غيره. وفي تلك اللحظة الحرجة ارسل سليمان حملة الى سواحل كيليكيا، ووجد فرصته السانحة في جو الاضطرابات الداخلية لانفاذ حملة القسطنطينية • ويذكر اليعقوبي في تعليل الاقدام على تلك الحملة « ان الروم اغاروا على مدينة اللاذقية من جند حمص فاحرقوها وذهبوا بما فيها » ، غير أن البلاذري يذكر غارة على ساحل اللاذقية في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠ هـ ، بينما تؤكد مراجع اخرى غزوة الروم لساحل حمص في عهد سليمان « فسبوا امرأة وجماعة فغضب وقال : والله لأغزونهم غزوة افتح بها القسطنطينية او أموت دون ذلك • فاغزى جماعة أهل الشام والجزيرة والموصل في البر نحو مائة وعشرين ألفا ، واغزى أهل مصر وافريقية في البحر في الف مركب وعلى جماعة الناس مسلمة ، وأغزى داود ابنه في جماعة من اهل بيته ، وقدم سليمان من القدس الى دمشق ومضى حتى نزل مرج دابق فأمضى البعث وأقام بالمرج » ورابط سليمان بمرج دابق الى أن مات به ، وقد اتخذ هذا المعسكر في شمالي الشام قاعدة لتدبير أمور الحملة الكبيرة الموجهة الى القسطنطينية (١١١) •

واستعد سليمان لحملته استعدادا هائلا ، بينما كان عرش القسطنطينية يعاني من أزماته أذ عزل انستاسيوس الثاني وولى ثيودوسيوس فثار عليه ليو الايسوري • وجمع سليمان في مرج دابق بقرب حلب في منطقة الثغور جنوده من مختلف جهات الدولة الاسلامية ، وسلحها بأدوات الحرب المختلفة خاصة أدوات الحصار من المجانيق والنفط ، وكانت اقامته الكثيرة في دابق دليل اهتمامه بهذه الحملة • وتقدمت صائفة سنة ٩٦ هـ بين يدي هذا المشروع الكبير فغزا مسلمة أرض

---

(١١١) اليعقوبي حـ ٣ ص ٤٢ ، البلاذري : فتوح البلدان ص ١٣٩ ، كرد علي ، خطط الشام حـ ١ ص ١٥٤ ـ ٥ ابن العديم : زبدة الحلب حـ ١ ص ٤٨، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ترجمة دكتور ابي ريدة ص ٢٥٥ •
Brockelmann: Hist. of Isl. Peop. p. 91, Cheira : La Lutte entre les Arabes et Byz. p. 181.

الروم وفتح حصن عوف • وفى سنة ٩٧هـ سنة ٧١٥م جهز سليمان الجيوش الى القسطنطينية واستعمل ابنه داود على الصائفة فافتتح حصن المرأة ، كماذكر أن مسلمة غزا أرض الروم ففتح الحصن الذى كان فتحه الوضاح صاحب الوضاحية وغزا عمر بن هبيرة الفزرى فى البحر أرض الروم فشتى بها • ولكن الحملة الرئيسية الضخمة خرجت وعلى رأسها مسلمة سنة ٩٨ هـ ـ ٧١٦ م • وعلى أركان حربه الفارس الشهير عبد الله البطال ، ومعه سليمان بن موضح الانطاكي والبخترى ، وسلكت الحملة طريق مرعش من ناحية الشام ، وقد أمضت قرابة عام في آسيا الصغرى قبل أن تحاصر القسطنطينية ، وكانت تقوم خلال هذه الفترة بمهاجمة المواقع المحصنة واجراء بعض الاتصالات مع ليو • وقد دارت العمليات الحربية فى عمورية ونيقية وبرجاس وساردس. ووفقا للروايات البيزنطية كان أول ما فعله مسلمة هو حصار عمورية صيفا مع الدخول فى محادثات مع ليو ، وبعد الاتفاق ترك عمورية وشتا فى آسيا أو قيليقية بعد أن أخذ كل من مسلمة وليو يسيران كل على حدة الى القسطنطينية • وقد هزم ليو فى طريقه جيشا لثيودوسيوس عند نيقية فى نيقوميديا ثم دخل بيزنطة ظافرا فى نهاية الربيع • ومن ناحية أخرى هاجم مسلمة برجام وساردس •

وتختلف الروايات فى شأن اتصال ليو بالمسلمين ، فقيل ان ليو هو الذى بدأ بالاتصال « وكان سليمان لما نزل بدابق أعطى الله عهدا ألا ينصرف حتى يدخل الجيش الذى وجهه الى الروم القسطنطينية ، وهلك ملك الروم فاتاه اليون فأخبره وضمن له أن يدفع اليه أرض الروم ، فوجه معه مسلمة حتى نزل بها وجمع كل طعام حولها وحصر أهلها ، وأتاهم اليون فملكوه » ، وقال Daniel الارمني ان قصد ليو فى الحقيقة كان خداع العرب وايقاف سفك دماء مواطنيه • على ان هناك رواية أخرى تذكران مسلمة بعث أحد قواده طليعة بين يديه ، فتوغل فى الاقليم الاناضولى حتى بلغ حاضرته عمورية فحاصرها وهناك علم بتمرد ليو فراسله قائلا : نحن نعلم ان مال الامبراطورية الرومانية اليك فاخرج لنا لنتفق على شروط الصلح ، ثم أمر جنده فحيوا ليو بالملك ، وهناك بيت ليو فى نفسه ان يتظاهر بالانضمام للمسلمين ودخل في مفاوضات معهم طلب فيها رفع الحصار عن عمورية ، ثم صاحب الجيوش الاسلامية قاصدا القسطنطينية حيث استطاع أن يصل الي العرش في ٢٥ مارس سنة ٧١٧م بعد عزل ثيودوسيوس بينما كانت الجيوش الاسلامية تقترب حثيثا من

القسطنطينية ، ويذكر أن الاتهامات التي تناثرت حول ليو بدعوى تفريطه في الدفاع عن الاناضول قد قاربت بينه وبين المسلمين • وبعد تتويج ليو بخمسة شهور فقط بدأت سفن المسلمين المحملة تمخر عباب بحر مرمرة ، في حين كان جيشهم قد سار من طرسوس واخترق آسيا الصغرى واستولى في طريقه على ساردس وبرجام (مدينة الصقالبة) وقد انتشر الرعب بين سكان آسيا الصغرى فكانوا يهربون أمام العرب ، وأسر كثيرون ، وأرسل فريق منهم الى الشام والحجاز حيث كان الخليفة يؤدي فريضة الحج • كما عبر المسلمون البحر الى تراقية وأخذوا يقتربون من المدينة من ناحية الغرب • وأمر مسلمة جنوده بأن يحفروا خطا من الخنادق يمتد من البحر حتى القرن الذهبي ، ويقطع كل اتصال بين القسطنطينية وتراقية ، بينما سد فريق من المسلمين مدخل البسفور الجنوبي وحاولوا أن يقفلوه أيضا من ناحية الشمال لكي يمنعوا وصول أية امدادات من البحر الاسود •

وكان الجيش الاسلامي الذي عبر الدردنيل عند ابيدوس مزودا بآلات الحصار ، ولكن كان على الاسطول أن يلقى مراسيه على مقربة من أسوار المدينة في بحر مرمرة ومضيق البسفور لان القرن الذهبي كان مغلقا بالسلاسل • وهنا نجد الاشارة الى اغلاق القرن الذهبي بهذه الطريقة •

وعزم المسلمون على تجويع المدينة بضرب الحصار عليها والبقاء أمام أسوارها الى ماشاء الله • « وأمر سليمان مسلمة أن يقيم على القسطنطينية حتى يفتحها ، فشتى بها وصاف •• ولما دنا من القسطنطينية أمر كل فارس أن يحمل على عجز فرسه مدين من طعام حتى يأتي به القسطنطينية، فأمر بالطعام فألقى في ناحية مثل الجبال ، ثم قال للمسلمين • لا تأكلوا منه شيئا ، اغيروا في أرضهم وازرعوا ، وعمل بيوتا من خشب ومكث ذلك الطعام في الصحراء والناس يأكلون مما أصابوا من الغارات ثم أكلوا من الزرع • فأقام مسلمة بالقسطنطينية قاهرا لأهلها ، معه وجوه أهل الشام : خالد بن معدان ، وعبد الله بن أبي زكريا الخزاعي ، ومجاهد بن جبر » •

وقد عمل العرب منذ ربيع سنة ٧١٥ م على شل الاسطول البيزنطي في رودس الذي كان ينتوي مهاجمة الشام ، وتحقق ذلك بأهون سبيل تمرد هذا الاسطول • وهكذا هاجم العرب سواحل آسيا الصغرى في يسر، وهرب سكان المناطق الساحلية أمامهم وشتا الاسطول الاسلامي في قيليقية • ووصل (الهلسبونت) في الصيف التالي وبلغ القسطنطينية

لحصارها بحرا ، وكانت القوات البرية قد وصلت قبله بأسبوعين • وبدأ الحصار الحقيقي للقسطنطينية الذى استمر طيلة عام على الأقل •

وفى الجانب البيزنطى عمل ليو على تحصين المدينة ، وارسل جيشا لقطع طرق المواصلات التي يمكن للمسلمين العودة منها الى الشام ، كما دمر جسر السفن على المضايق ، ليصير المسلمون محصورين كأسرى فى تراقية ، ولكنهم واصلوا الحصار ودأبوا على مهاجمة المدينة ، وأرسل مسلمة حملة من ٤٠٠٠ رجل لمهاجمة الميناء الذهبى ، وتقدم ٣٠٠٠ فدائى لمشاغلة العدو فسحقهم الروم • ولقد كان الحصار عنيفا فى الخريف الاول لكن الشتاء أدى الى تراخى العمليات • وعمل ليو على استمالة البلغار الى جانبه فى الربيع ، فأوقع هؤلاء بقسم من جند العرب عن غرة • وكان الأسطول الاسلامى يتكون من ١٨٠٠ سفينة ـ كما ذكرت بعض المصادر ـ وقد لقى عناء من التيار المائى الشديد الذى يتدفق من البحر الاسود عبر البسفور الى بحر مرمرة ومن تغيير الرياح اتجاهها • وانتهز البيزنطيون هذه الفرصة وبعثوا سفنهم المحملة بالنار الاغريقية ليزيدوا من متاعب السفن الاسلامية ، وان كان سوء الاحوال الجوية أفعل أثرا فى هذا السبيل فقد كان المناخ قاسيا فى الشتاء ، « وكان الثلج يغطى وجه الارض نحوا من مائة يوم واشتد الضيق على العرب وهلك كثير من خيلهم وبغالهم وجمالهم • وفى فصل الربيع واتتهم نجدة من مصر وافريقية ووثبوا ليلا على قسطنطينية حتى غطت سفنهم وجه البحر ولكن هبت ريح عاصفة فأتلفت كثيرا من السفن وغرق كثيرون » • كذلك يروى أنه قد تمرد بعض البحارة القبط على ظهر السفن الاسلامية ، وعلى أثر ذلك هاجم الأسطول البيزنطى أسطول المسلمين فألحقوا به خسائر فادحة • ولم يتحدث المؤرخون العرب عن هاتين المعركتين البحريتين •

وسطا الروم على جيش المسلمين فى البر فتقهقروا ، وكان أهل آسيا يكمنون لهم ويرصدونهم على طريقة المردة ـ كما يقول شدرانس وانسطاس المكتبى ـ ويقتالونهم ، وأضر بهم القحط ـ بحكم الظروف فى تراقية ـ وخلوهم من الزاد حتى لجئوا الى أكل البهائم التى تعرضت للموت فى شتاء سنة ٧١٦ ـ ٧ م • ويعلق أومان على ما لاقاه المسلمون من عناء البرد القارس بقوله : « استطاع ليو أن يفخر مثل القيصر نيقولا بأن ديسمبر ويناير وفبراير كانوا أعظم قواده » •

كذلك تعرض المسلمون لهجوم البلغار الذين يسموهم مؤرخو العرب برجان » فقد أغارت برجان سنة ٩٨ هـ على مسلمة بن عبد الملك وهو فى

قلة من الناس ، فأمده سليمان بن عبد الملك بمسعدة وعمرو بن قيس فى جمع فمكرت بهم الصقالبة ، ثم هزمهم الله بعد أن قتلوا شرحبيل بن عبده » • وقد تخلل الخبر ذكر الصقالبة وهم السلاف ، مما يدل على شيء من الخلط أو عدم التحديد • وقد تلقى المسلمون الامداد خلال الصيف سنة ٧١٧م سنة ٩٨ هـ ، فجاءت حملة بقيادة داود ابن الخليفة وظل حتى نهاية حصار القسطنطينية ، كما تحرك جيشان للعمل فى آسيا الصغرى أحدهما بقيادة الوليد بن هشـــام المعيطى وكان غير موفق والآخر بقيادة عمر بن قيس الكندى • وكانت هذه الحملات تقصد نجدة مسلمة ، ولكن فشلها الجزئى يشير الى استقرار الامور للامبراطور ليو فى آسيا الصغرى •

وزاد من الاهوال التى لقيها الجيش الاسلامى المحاصر خدعة خدع بها ليو قائده ، فيروى مؤرخو العرب : « قدم مسلمة فهابه الروم ، فشخص اليون من أرمينية فقال لمسلمة : ابعث الى رجلا يكلمنى ، فبعث ابن هبيرة• فكان مما قاله له اليون : كنا وأنتم نقاتل على الدين ونغضب له ، فأما اليوم فانا نقاتل على الغلبة والملك ،نعطيك عن كل رأس دينارا ••وقالت البطارقة لاليون : ان صرفت عنا مسلمة ملكناك • فوثقوا له فأتى مسلمة فقال : قد علم القوم انك لا تصدقهم القتال وانك تطاولهم مادام الطعام عندك ، **ولو احرقت الطعام أعطوا بأيديهم • فاحرقه ، فقوى العدو وضاق المسلمون حتى كادوا يهلكون** فكانوا على ذلك حتى مات سليمان .. وأتاهم اليون فملكوه ، فكتب الى مسلمة يخبره بالذى كان ، ويسأله أن يدخل من الطعام ما يعيش به القوم ويصدقونه بأن أمره وأمر مسلمة واحـــد وانهم فى أمان من السباء والخروج من بلادهم ، وأن يأذن لهم ليلة فى حمل الطعام ـ وقد هيأ اليون الســـفر والرجال • فأذن له ، فمـــا بقى فى تلك الحظائر الا مالا يذكر ـ حمل فى ليلة ، وأصبح اليون محاربا . وقد خدعه خديعة لو كان امرأة لعيب بها . فلقى الجند ما لم يلق جيش ـ حتى ان كان الرجال ليخاف ان يخرج من المعسكر وحده ، وأكلوا الدواب والجـــلود وأصـــول الشـــجر والورق وكل شيء غـــير التراب ، وسليمان مقيم بدابق ونزل الشتاء فلم يقدر بمدهم حتى هلك سليمان » . على أن اليعقوبى يذكر انه « لما بلغ سليمان ما فيه مسلمة ومن معه أمدهم بعمرو بن قيس فى البر وأغزى عمر بن هبيرة فى البحر •• ووجه سليمان ابنه داود الى أرض الروم ومسلمة منيخ على القسطنطينية ففتح داود حصن المرأة من ناحية ملطية » •

ومن الاحصاءات التى أوردها ميشيل السورى والمسعودى وغيرهما

نعلم أن القوات الاسلامية قد ضمت مائتى ألف فارس وكانت دواب الحمل ٦٠٠٠ جمل ومثلها من الحمير ومالا يحصى من الخيل ، ويقدر البعض الآخر عدد القوات بمائة وعشرين ألفا ٠ وكان الاسطول يتألف من ٥٠٠٠ سفينة ويعطى فازيلييف استنادا لمصادره رقما آخر هو ١٨٫٠٠٠ ويعطى بيورى وفقا لمصادره رقما مغايرا هو ١٨٠٠ سفينة ولم يكن لدى ثيدوسيوس فى مواجهة هذا كله سوى فرق بند الابسيق ، أما فرق البندين الأناضولى والأرمنى فقد رفضت الطاعة واتبعت قوادها ٠ على أن الامداد التى وصلت مسلمة برا وبحرا فى الربيع التالى من مصر وطرسوس قد لقيت هجوما شديدا من الروم فتولت سفن النار الاغريقية مهاجمة الاسطول ونزلت قوة من الجنود على شاطىء بثنيا فباغتت الجيش البرى الذى عسكر فى نيقوميديا ونيقيا ، وبذل المسلمون غاية جهدهم فى مواصلة الحصار حتى توفى سليمان ٠ وتولى عمر بن عبد العزيز فأصدر أمره بالرجوع ، فنقل الأسطول الجيش البرى ، ثم اتجهت القوتان عائدتين أدراجهما ، وعاد مسلمة الى طرسوس بثلاثين ألف رجل فقط من أكثر من مائة ألف ، وتعرض الأسطول لعاصفة فى بحر ايجة حتى قال تيوفانيس : ان خمس سفن فقط من بين ١٨٠٠ سفينة هى التى نجت ووصلت الى ثغور الشام ٠ « لقد ضاعت الأرمادا العربية ، ـ كما يقول حتى ـ وتؤدى بالمؤسس السورى للاسرة الابسورية كمخلص لأوربا من المسلمين العرب كما نودى من قبل بهرقل المؤسس الارمنى للاسرة الهرقلية كمخلص للمسيحية من فارس الوثنية ٠ ولم يجرؤ جماعة من العرب بعد ذلك على الظهور أمام القسطنطينية الا عندما عسكر هرون الرشيد أمام اسكدار Chrysopolis سنة ٧٨٢م ٠٠ ولم تر مدينة قسطنطين مرة أخرى جيشا اسلاميا تحت أسوارها الا بعد مرور سبعة قرون عندما أصبح الاتراك حملة راية الاسلام ٠ وعلى الرغم من أن حملة مسلمة قد انتهت بالفشل الا أنها قد أثارت وراءها تراثا قصصيا من بينه ماقيل من بناء مسلمة لمسجد بالقسطنطينية » ، كما برز من الجند الاسلامى اسم عبد الله البطال كبير حراس مسلمة الذى استشهد فى معركة تالية بعد انتهاء الحصار وعرف فى القصص باسم (السيد غازى) ٠

وقد تجرأ الروم على مهاجمة ثغور المسلمين فى الشام على أثر فشل الحصار الاسلامى للقسطنطينية كما حدث بعد فشل الحصار الاول ، ويحاول مؤرخو العرب أن ينسبوا فشله الثانى الى مسلمة بدعوى أنه كان شجاعا لكن لا علم له بمكائد الحرب ولم يكن فى أصحابه من له رأى ، ولكن الواقع أن الروم كانوا مازالوا أقوياء ٠ ويرى دكتور ماجد

أن معركة القسطنطينية كانت لاتزال عند العرب معركة فر وكر • غير أن هذه المحاولة لم تتكرر ثانية في العهد الأموى على الأقل • ولم تتكرر بصورة فعالة تهدف الى القضاء نهائيا على الدولة البيزنطية فى عهد العباسيين • واذا كان ليو قد أنقذ الامبراطورية البيزنطية فان القسطنطينية كانت ساحة أوربا المسيحية كلها ـ على حد قول بيورى Bury وهو يعتبر عام ٧١٨ م تاريخا عالميا ، أما المؤرخ اليونانى لامبروز Lambros فيقارن هذه الحادثة بحروب الفرس القديمة الاغريق ويطلق على ليو اسم « ميليتياد الهيلينية الوسيطة » Militiade de l'Hellenisme Medieval واذا كان قسطنطين الرابع قد أوقف العرب أمام أسوار القسطنطينية ، فان ليو الثالث قد صدهم نهائيا ، وكانت هذه آخر هجمة عربية ضد المدينة التى كانت تعتبر (كنانة الله Protegée de Dieu) • ومن هنا كان انتصار ليو على درجة من الاهمية غير عادية كما يذكر فازيلييف ، ويقول أومان : « ولو أن الحروب كانت تنشب دائما بين الامبراطور والخليفة فى مدى ٣٥٠ سنة أخرى الا أنها صارت فى المستقبل محدودة لا محاولات يائسة الغاية منها اصابة قلب الامبراطورية وغزو أوربا واخضاعها للاسلام • ويرجع الفضل فى تخليص المسيحية من الخطر الاسلامى الى ليو أكثر مما يرجع الى معاصره شارل مارتل ملك الفرنجة ، فان شارل رد جيشا من جيوش الغارات أرسل من ولاية نائية من ولايات الخلافة ، فى حين صد ليو جيش المسلمين العظيم الذى جمع من ممتلكاتهم الشرقية كلها وكان يقوده أخو خليفتهم » •

ومع ذلك فان ليو لم يتخلص من المسلمين تخلصا تاما بانتصاره سنة ٧١٨ م • ففى فترات مختلفة من أواخر حكمه كانت تقلق باله غاراتهم على حدوده وان لم تكن هذه الغارات خطيرة ، وقد تخلصت آسيا الصغرى نهائيا من خطر المسلمين بعد انتصار على جيش المغيرين الاصلى سنة ٧٣٩ م فى اكروينون Acroinon احدى مدن فريجيا • أما المشكلة الحقيقية التى واجهة ليو فهى خطة فى الاصلاح الدينى قد ملكت عليه حواسه وأثارت العامة ضده ، وهى الحركة التى تهدف الى تخليص المسيحية من الشوائب الوثنية وكانت معارضة تقديس الايقونات ظاهرة من أهم ظواهرها • وقد سميت من أجل ذلك بالحركة المضادة للايقونات Iconclast

على أن القوات الاسلامية كانت مظفرة فى مواصلة **فتوح المشرق** التى بدأها قتيبة بن مسلم فى عهد الوليد بن عبد الملك . **وكان المسلمون**

اكتفوا باتخاذ بلدة قزوين (كشور عند الفرس - أى الحد المرموق) ثغرا أومصرا على الحدود يغزون منها حتى أيام الحجاج الذى أقام فيها مناظر للمراقبة ، كذلك كان المسلمون يغزون من خراسان ، لكن يزيد بن المهلب عمل على فتح المناطق الواقعة جنوبى بحر قزوين وجنوبه الشرقى . وهكذا كان عهد المروانيين الأوائل عهد انقـــاذ للحدود الاسلامية فى مختلف مواضيعها . فلقد حاول المسلمون استرداد الارض التى فقـدوها أثنـاء اضطراب الامور بعد وفاة معاوية ، ثم حاولوا كسب الجديد ، وكانت هذه المحاولات تصادف بعض العقبات فى الداخل والخـارج ، كذلك **نهضت بيزنطة من خمولها** فى حيوية ، وأبدت نشاطا فى البر والبحر ، ولكنهـا تعثرت فى المتاعب التى صاحبت نهاية الاسرة الهرقلية (١١٢) .

مد وجزر :

عمرو بن عبد العزيز ٩٩ : ١٠١ هـ / ٧١٧ : ٧٢٠ م .

يزيد بن عبد الملك (الثانى) ١٠١ : ١٠٥ هـ / ٧٢٠ : ٧٢٤ م

هشام بن عبد الملك ١٠٥ : ١٢٥ هـ / ٧٢٤ : ٧٤٣ م .

الوليد بن يزيد بن عبد الملك (الثانى) ١٢٥ : ١٢٦هـ/ ٧٤٣ : ٧٤٤ م .

يزيد بن الوليد بن عبد الملك (الثالث) ١٢٦ هـ/٤

ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك ١٢٦ هـ / ٧٤٤ م

قتال الروم :

ما كاد **عمر بن عبد العزيز** يتولى الخلافة بعد سـليمان حتى كتب الى مسلمة بن عبد الملك الذى كان يحاصر القسطنطينية يأمره بالقفـول

---

(١١٢) الطبرى حـ٨ ص١١٢ ، ١١٣ رواية الواقدى ، ١١٧ رواية محمد بن عمر وعلى بن محمد، ابن الأثير حـ ٥ ص ١٠ ، ١١ ، ١٥ ، اليعقوبى حـ ٣ ص ٤٢ - ٣ ، دكتور ماجد ، التاريخ السياسي للدولة العربية حـ ٢ ص ٢٤٥ : ٩ ، الدبس : تاريخ سوريا م٥ ص ٢١٧ - ٨ ، دكتور العدوى : الأمويون والبيزنطيون ص ١٨٤ : ١٩٢ ، أومان : الامبراطورية البيزنطيه . ترجمة دكتور بدر ص ١٤٥ : ٩ ، رستم : الروم حـ ١ ص ٢٧٣ - ٤ ، حتى : تاريخ العرب . ترجمة نافع حـ ١ ص ٢٥٤ - ٥ ، ٢٦٥ .
Hitti : Hist. of Syria, pp. 445:8.

والترجمة العربية حـ ٢ ترجمة د. اليازجي ص ٤٩ : ٥٢ ،
Vasiliev : Hist. de l'Emp. Byz. Vol. I. pp. 314: 17, Gaudefroy-Demombines, Platonov : Le Monde Musulman et Byz. pp. 168-9, Cheira : La Lutte entre Arabes et Byz. pp. 180 : 191, 205.

منها بمن معه من المسلمين في أكتوبر سنة ٧١٧ م « ووجه اليه خيلا عتاقا وطعاما كثيرا وحث الناس على معونتهم » • وبذلك وضحت سياسة الخليفة الجديد الحربية • وقد عادت القوات البرية في بداية سنة ٩٩ هـ ـ ٧١٧ م ، وفي أثناء الانسحاب حاول الروم تعويق مسير الجيش العربي بغير نجاح • كما حاول أمير طوانة البيزنطى مع قوة من ٦٠٫٠٠٠ رجل ارسلها ليو مفاجاة المسلمين • ولكنهم انذروا بالخطر فاوقعوا عدوهم في شرك مكيدته ، كما فشل جيش بيزنطى آخر أرسل لنفس المهمة . وعاد المسلمون الى الشام بعد أن أعملوا القتل والتخريب في أراضي العدو أثناء انسحابهم .

وقد أوضح فلهوزن معالم سياسة عمر بن عبد العزيز فقال . « لم يكن عمر ميالا الى حروب الفتح ، وكان يعلم حق العلم أنها لم تكن حروبا في سبيل الله بل من أجل الغنائم • وهو لم يستطع من حيث المبدأ أن ينهي الجهاد مع قيصر الروم ، ولكنه **ترك المراكز الأمامية وجمع جنود الغزو فيما دونها** ••• وكان جل اهتمامه متجها الى السياسة الداخلية ، وهنا نجد أنه قد حصل في عهده تحول ذو طابع مغاير للتحول الذى كان بين عهد الوليد وعهد سليمان وأكبر منه شأنا بكثير » • وقد كتب عمر أيضا الى عبد الرحمن بن نعيم يأمره باقفال من وراء النهر من المسلمين بذراريهم ، فأبوا وقالوا : لا يسعنا مرو ، فكتب الى عمر بذلك فكتب اليه عمر : اللهم اني قد قضيت الذى على فلا تغز بالمسلمين فحسبهم الذى قد فتح الله عليهم • على أن عمر قد اهتم بثغر خراسان فكتب الى عقبة بن زرعة الطائي وكان قد ولاه الخراج « ••• وليس من ثغور المسلمين ثغر أهم الى ولا أعظم عندى من ثغر خراسان فاستوعب الخراج وأحرزه في غير ظلم فان بك كفافا لأعطياتهم فسبيل ذلك والا فأكتب الى حتى أحمل اليك الاموال فتوفر اليهم أعطياتهم » • كما تذهب بعض المراجع الى أن عمر ابن عبد العزيز كان يفكر في اقفال المسلمين من الأندلس واخلائها منهم اذ « خشي تغلب العدو عليهم » كما يقول ابن القوطية أو « لانقطاعهم من وراء البحر عن المسلمين » كما يقول صاحب فتح الأندلس وصاحب الأخبار المجموعة • وربما جاز تعليل ذلك بأن عمر لم يكن يعلم مدى استقرار المسلمين في الأندلس ومدى افادتهم منها وقد كتب اليه السمح بن مالك الخولاني « يعرفه بقوة الاسلام وكثرة مدائنهم وشرف معاقلهم » • وقد عبرت جيوش المسلمين البرنات وأرسوا لهم قاعدة في نربون في عهد عمر نفسه •

بل يذكر أن **عمر أراد أن يهدم المصيصة من ثغور الشام وهدم الحصون بينها وبين أنطاكية** « وقال : أكره أن يحاصر الروم أهلها ،

فاعلمه الناس انها عمرت ليدفع من بها الروم عن انطاكية ، وانه ان أخربها لم يكن للعدو ناحية دون انطاكية ـ فامسك ، وبني لأهلها مسجدا جامعا من ناحية كفر بيا واتخذ فيه صهريجا ٠٠ » ٠ ومن هذا يتبين أن عمر كان شغله الشاغل سلامة المسلمين ووقايتهم من المهالك التي قد يتعرضون لها دون مقتض ، وقد نقل أهل طرندة لاشفاقه عليهم من العدو وانزلهم ملطية وأخرب طرندة [« وكانت واغلة في بلاد الروم ، وملطية يومئـذ خراب ليس بها الا ناس من أهل الذمة من الارمن وغيرهم ، فكانت تأتيهم طالعة من جند الجزيرة في الصيف فيقيمون بها الى أن ينزل الشتاء » ٠ وقد كان عمر اذا اقتنع بالضرورات الحربية وبأن المسلمين يؤدون جهادا حقيقيا تركهم على ثغورهم واعانهم على جهادهم « **وقد اتبع عمر سياسة حدود تختلف عن سياسة جميع خلفاء الدولة العربية** » ، فهو ـ على عكس ما يظن ـ لم يوقف الغزو لأنه كان يقدر أهمية الجهاد لوقف خطر أعـداء الاسلام ، ولكنه أراد أن يكون الغزو لوجه الجهاد خالصا ٠ ولم يكن يهم عمر بن عبد العزيز أن تكون له الفتوح العظيمة كسابقيه ولذا كانت فترة حكمه القصيرة خالية من الغزوات الكبيرة » ٠ ولما اغارت الروم في البحر على ساحل اللاذقية فهدموا مدينتها وسبوا أهلها سنة ١٠٠ هـ أمر عمر ببنائها وتحصينها ووجه في فداء أسرى المسلمين فلم يتم ذلك حتى توفي عمر سنة ١٠١ هـ فأتم المدينة وشحنها خلفه ٠ واقتصرت بعوث الخليفة على الصوائف التي كانت مهمتها الاساسية هي البناء والتحصين سنة ٩٩ : ١٠١ هـ ٧١٨ : ٩ م ، وكانت القيادة للولاة لا للامراء من البيت الاموي ٠ ثم أن رجوع المسلمين من حصـار القسطنطينية لايعني توقف الصوائف والشواتي التي تخرج من ملطية أو غيرها من الثغور ٠ وانما كان عمر يقاتل على أساس القاعدة الاسلامية فكان يدعو حصن الروم الى الاسلام أو الجزية أو القتال ، كما جعل الرباط في الثغور أربعين يوما يرجع المرابط بعده الى أهله ليستجم ٠ ودخل في مفاوضات مع البيزنطيين للبحث في فداء الأسرى وعرض عليهم ملطية ليحثهم على ذلك وكان يعطي

بالرجل من المسلمين عشرة من الروم ، كما كان يكره قتل أسرى العدو ٠ وقد أعاد عمر أبناء الأمراء الأرمن الصغار الذين ربوا في دمشق منذ سنة ٧٠٥ م الى أهليهم ٠ وولى عمر الجراح بن عبد الله الحكمي جهـاد المشرق فواصل الحرب ضد الديلم وحمى ثغر قزوين كما حارب التـرك ناحية أذربيجان ٠ وكان أكثر مقام عمر بن عبد العزيز بخناصرة الاحص، وولى من قبله على قنسرين هلال بن عبد الاعلى ثم ولى عليها الوليد بن هشام

المعيطى على الجند والفرات بن مسلم على خراجها ، وتوفى بدير سمعان من ارض معرة النعمان .

ويرى الدكتور شعيرة فى تقدير سياسة عمر بن عبد العزيز الخارجية أنه ينبغى الموازنة بين خسائر القتال من جهة وبين المحافظة على مكانة الاسلام ازاء عدو لا يتسامح ، ولذلك كانت هذه السياسة تبدو غيرمفهومة ولا مستساغة، فخلفاؤه أنفسهم قد تخلوا عنها،والبيزنطيون لم يتقبلوها الا بتحفظ ، فلم تكن قد غابت عنهم ذكريات العداء الطويل والغزو المتكرر وحصار العاصمة ، ولم يكن فى وسعهم أن يهضموا سياسة عمر الا على أساس أنها تأكيد لفوزهم فى رد الحصار ، وهكذا لم يتح لسياسة حسن الجوار الاستمرار •• ويرى الدكتور شعيرة أنه كان من حسن حظ النفوذ العربى ان لم تعش هذه السياسة أكثر من سنتين •

ومنذ نهاية عهد عمر بن عبـــد العزيز حتى نهـاية الدولة الاموية ١٠٢ : ١٣٢ هـ ، ٧٢٠ : ٧٥٠ م نشاطا ونزعة توسعية لدى الروم فى البحر والبر • وحين نتامل جبهة آسيا الصغرى ـ وهي الجبهة الوحيدة الهامة فى تلك الفترة وأكثر الجبهات حساسية ، نجد تاثيرها بطـابع شخصية كل خليفة فضلا عن ظروف الدولة الداخلية • ونحن نجد القادة العسكريين هنا من طراز اقل كفاءة ممن عرفنا من قبل ، وخير قادة هذه الفترة مروان ابن محمد الذى سيصير آخر خلفاء بنى أمية ، فقد واجـه الخزر فى ارمينيه فى شجاعة ومقدرة.ونجد روح الفروسية فى صفوف المجاهدين من أمثال مالك والبطال فى المصيصـة وملطية • **وقد تغـيرت سياسة العمل فى مناطق الحدود ، فقد عدلت الخلافة عن سياسة الزحف الى القسطنطينية التى سادت بعد عهد عبد الملك بن مروان ، وعاد الامويون المتاخرون الى سياسة عبد الملك بابتناء الحصون بعـد ان انتعشت الدولة البيزنطية على اثر انتهاء الأسرة الهرقلية وتولى الأسرة الايسورية ، خاصة بعد الاصلاح العسكرى على يد ليو الثالث • وقد كانت الحملات فى تلك الفترة توجه من ثغور الشام ومن ثغور الجزيرة ولكل جبهة نشاطها المستقل** وقد تركز نشاط الثغور الجزرية حول المتد الارمنى لمراقبة الحدود الغربية الارمينية وجرى على ذلك يزيد الثانى [illegible] • وفى عهد الاخير كانت تمتد حملتنا الثغور الشامية والجزرية عندما تتسع المعـركة فتخـرج عن النطاق المحلى وتصير معركة هامة فى قلب آسيا الصغرى (١١٣)•

---

(١١٣) الطبرى حـ ٨ ص ١٣٠ ، ١٣٩ رواية على بن محمد ، ابن الأثير حـ ٥ ص ١٨ ، ٢٢، اليعقوبى حـ ٢ ص ٤٥ ، ابن العـديم : زبدة الحلب حـ١ ص ٤٦ ، فلهوزن ـ

وفى عهد **يزيد بن عبد الملك** انهمكت الدولة فى معالجة **الفتن الداخلية** ، وقد وجهت قائدين ممتازين من قواد الثغور لهذا العمل : هما **مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد** . وقد كادت الحملات تتوقف تماما فى الجبهة البيزنطية فلا نسمع عنها الا قليلا . وقد ترك الخليفة التحركات العسكرية على الحدود الشرقية للبند الأرمنى دون نتيجة حاسمة غير أن هجوما **للخزر** سنة ٧٢٢ ـ ٣ م استغرق الجهد وحدد نطاق العمليات الحربية ، ولكن سكون الخليفة طوال العامين الأخيرين من مدة حكمه لا يفسر الا بافتقاده روح المبادرة الى العمل وقد كانت تخرج حملتان فى العام ، ولا نجد معركة تخرج عن النطاق المحلى سوى مرة واحدة . وقد شغلت ارمينية جهود الأمويين المتأخرين ، نظرا لاستفادة الروم من غارات الخزر ، ومن المنافسات الداخلية بين الاسر الارمينية ومنها ما يوالى العرب مثل Bagratouni ، ولهؤلاء خصوم يحقدون عليهم ويتعرضون لاضطهادهم واضطهاد العرب ايضا مثل Mamikonian وقد كثرت الفتن فى الاقليم وتأييدا للفريق الموالى للعرب كان الامويون لا ينقطعون عن الانفساق سنويا على جيش ارمينية للمشاركة فى حماية الاقليم ضد الخزر أو الروم . وكان على العرب ان يحولوا بين بيزنطة وبين استغلال متاعبهم الداخلية فى ارمينية ، وكان أقل ما فى وسعهم فى هذا السبيل الا يتركوا البند الارمنى المجاور لهم فى راحة . اذ هو القاعدة البيزنطية القريبة لأى حركة نحو الشرق ضد العرب ، وكان هذا هو الهدف فى عهد يزيد : أزعجاج بند الأرميناق ومراقبة ارمينية بتيقظ . وفى ثغور الشام لم يكن هناك فى مثل هذه الظروف سوى نشاط محلى يسير .

ويورد ابن الأثير فى حوادث سنة ١٠٢ هـ ٧٢٠ م غزوة عربية لأرمينية الرابعة البيزنطية « غزا عمر بن هبيرة الروم من ناحية ارمينية وهو على الجزيرة قبل أن يلى العراق ، فهزمهم وأسر منهم كثيرا وقتل سبعمائة أسير . وغزا عباس بن الوليد الروم فافتتح دلسه » . ويذكر الطبرى الواقعة الأولى فقط ، ويكرر ابن الاثير الواقعة الثانية سنة ١٠٣ هـ . ويرى الدكتور شعيرا ان العباس كان من المشتغلين باخماد فتن ابن المهلب فى العراق ، فاذا كان قد غادر الشام حوالى نهاية الشتاء

= تاريخ الدولة العربية ترجمة دكتور ابى ريدة ص ٢٦٠ ـ ١ ، دكتور ماجد . التاريخ السياسى للدولة العربية حـ ٢ ص ٢٦٧ : ٩

Brockelmann : Hist. of Isl. Peop. p. 92.

دكتور مؤنس : فجر الأندلس ص ١٣٦ ـ ٧ .

Cheira : La Lutte entre Arabes et Byz. pp. 189-190, 207: 213, 214-5, 219

(مارس) ـ أي بعد شهر من وفاة عمر بن عبد العزيز في فبراير سنة ٧٢٠ م ـ فانه ما كان يتاح له أن يعود قبل هذه الموقعة فيأغسطس ٧٢٠م ـ ١٤ صفر سنة ١٠٢ هـ • ويرجح الدكتور شعيرة أن حملة العباس كانت في العام التالى سنة ١٠٣ هـ / ٧٢١ م مع القـائدين اللذين ذكرهما اليعقوبي ، أما هـدف الحملة فقد اختلف فيه ، وهو يرجح أنه لاريسا Larissa وان كان ميشـيل السورى قد ذكر سيزا ولم يحـدد ايليا النصيبى واجابيوس موضعا • ويذكر اليعقوبى غزوة للوليد بن هشـام في أرض الروم سنة ١٠٢ هـ « فنزل على المخاضة عند انطاكية » ، ويذكر فتح حصن سنة ١٠٣ هـ على يدى عبد الرحمن بن سليمان الكلبى وعثمان ابن حيان المرى ، وقد اشتركا فى الصائفة أحدهما على اليمنى والآخر على اليسرى سنة ١٠٤ هـ سنة ٧٢٢ م ـ **ونحن نجد تعبير الصائفة اليمنى واليسرى لأول مرة** • ولا نعرف تفاصيل العمليـات الحربية وان كانت ارمينية واجهت هجوم الخزر هذا العام • وقد اشترك العرب والأرمن في دفعه • وقد اتجهت حملة من ثغور الجزيرة في ملطية لمهاجمة كمخ فى السنة الأخيرة من عهد يزيد سنة ١٠٥ هـ سنة ٧٢٣ م لمنع بيزنطة من الاستفادة من الهجوم الخزرى وكان على رأسها مروان والى الجزيرة • وفي ناحية الثغور الشـامية خرجت حمـلة من الدوريات المعتادة ، ويذكر اليعقوبى غزوة لسعيد بن عبد الملك فى نفس العام وفى نهاية الموسم الحربى تحرك جيش بيزنطى وأحرق بعض المحاصيل ، وهو تصرف للروم لانجد أمثاله كثيرا كما يروى خبر نزول الروم الساحل المصرى (١١٤) •

وكان استئناف قتال الروم بصفة جدية فى عهد **هشام بن عبد الملك**، وكان ينزل الرصافة من أرض قنسرين وهى مدينة رومية قديمة • وقد نقل هشام صناعة السفن من عكا الى صـور ، كما بنى ربض المصيصة ومجموعة من الحصون يعددها البلاذرى وهى : المثقب ، قطرغاش ، مورة ـ **وكان استخدم أهل انطاكية فى بناء هذه الحصون**• وقد لجأ الخليفة الى هذه التحصينات حـين عرض الروم لرسول له فى درب اللكام عند العقبة البيضاء ، فبنى حصن مورة ورتب فيه أربعين رجلا وجماعة من الجراجمة ، وأتام ببغراس مسلحة خمسين رجلا وابتنى لهم حصنا ، وبنى حصن بوقا من عمل انطاكية •

ومنذ عهد هشام انتقل ميدان العمليات الحـربية الى غربى البنـد

---

(١١٤) الطبرى ﺟ ٨ ص ١٦٧ ، ابن الأثير ﺟ ٥ ص ٤١ ، اليعقوبى ﺟ ٢ ص ٥٦ •
Cheira : La Lutte entre les Arabes et Byz. pp. 214, 220: 3.

لأرمنى بقصد تامين السيطرة على بعض الحصون التى تفتح طريقا الى قلب آسيا الصغرى • وكان هناك شروع فى الاتجاه الى القسطنطينية ، ولكن ظروف الروم لم تكن تسمح بذلك ، فقد انتعشت الدولة وقضى ليو الثالث وقسطنطين الخامس على اتجاه لهذه المحاولة ، بل نقل الاباطرة الصراع الى الحدود العربية ذاتها ، وكان للخزر أثرهم فى شغل جهود المسلمين فى ارمينية • **وقام هشام بغزوات كبيرة في كل صيف وكان يوجه غزوتين أو ثلاثا في وقت واحد معا لتلتقى فى نقطة واحدة** ، وقاد الغزو ابنه معاوية ـ وهو جد الامويين فى الاندلس وقد قامت سنة ١١٨ أو سنة ١١٩ هـ / ٧٣٦ ـ ٧ م وابنه سليمان ، على أن البطل الاكبر فى هذه الحروب كما تصوره الروايات هو عبد الله البطال • **وهكذا عاد مسير الحملات المنتظمة من جناحى الثغور الشامية والجزرية ، فنسمع عن الصائفة اليسرى واليمنى كما عادت غزواتهم فى البحر • وكان الموقف يتطلب مواجهة حازمة من العرب للخطر البيزنطى والخزرى •**

وغزا سعيد بن عبد الملك (١٠٦ هـ) سنة ٧٢٤ م الصائفة اليمنى وفقد قسما من جيشه ، بينما غزا اليسرى معاوية فى الوضاحية الذين ينسبون للوضاح وأحرق محاصيل العدو • وفى سنة ١٠٨ هـ سنة ٧٢٥م غزا مسلمة حتى بلغ قيسارية مدينة الروم مما يلى الجزيرة • ويأخذ الدكتور شعيرة بالرواية القائلة ان حملة قيسارية استغرقت عامين ١٠٧ ـ ٨ هـ ، ٧٢٥ ـ ٦ م ، وكانت الثانية هى التى استولت على المدينة بينما استولت الصائفة اليسرى على حصن • واستولى معاوية بن هشام على خنجرة سنة ١٠٩ هـ / ٧٢٧ م وصمالا سنة ١١٠ هـ ـ ٧٢٨ م واشترك فى جهاد هذا العام والذى قبله البطال وجماعته وقد استولوا على حصون متعددة • وعاود العرب غزو قيسارية بقيادة سعيد بن هشام سنة ١١١ هـ / ٧٢٩ م وقاد معاوية الصائفة اليسرى فى حملة عامة ، وظلت قيسارية هدفا فى حملات السنة التالية • وكانت خرشنة هى هدف حملة سنة ١١٢ هـ / ٧٣٠ م بقيادة مسلمة ، وقد سارت من ملطية فأحرقت فرندية ، ثم استولت على خرشنة ، وقد هاجم الخزر فى نفس العام ارمينية ، واستعمل هشام مسلمة على ارمينية سنة ١٠٧ هـ ، وعزل الجراح بن عبد الله الحكمى الذى كان عامل عمر عبد العزيز على ارمينية وأذربيجان ثم أعاد هشام الجراح سنة ١١١ هـ وعزل مسلمة « فدخل بلاد الخزر من ناحية تفليس ففتح مدينتهم البيضاء وانصرف سالما ، فجمعت الخزر وحشدت وسارت الى بلاد الاسلام ، وكان ذلك سبب

قتل الجراح بمرج اردبيل وقيل ببلنجر » ، فأعيد مسلمة الى ولاية أرمينية وأذربيجان سنة ١١٢ هـ ، ثم وليها مروان بن محمد سنة ١١٤ هـ • **وقد أخذت حملات الثغور الشامية والجزرية تضعف منذ الهجوم الخزري سنة ٧٢٢ ـ ٣ م** • ولعل هجرات العناصر الجبلية التى تسكن جبال القبق أو القبج شمالى بحر قزوين والبحر الاسود وقد جاءت من وسطآسيا تحت ضغط موجات الهون (الهياطلة) على المناطق القوقازية ، ونجد من هذه العناصر بجانب الخزر : اللان ، وشعب السرير الذى يمتد حتى باب الأبواب (دربند) التى تحيط بها أفواه شعاب جبال القبق التى أقيمت عليها الحصون • وكانت الشعوب القوقازية ـ خاصة الخزر ـ تغير على الفرس ، فبنوا تحصيناتهم لمواجهتها ، وقد ساعد القوقازيون هرقل على استعادة أرمينية من الفرس • كذلك واجهت الدولة الاسلامية خطر أتراك وسط آسيا الذين كانوا قد سكنوا تحت ضربات قتيبة بن مسلم • **وكان العرب يدفعون الخطر التركى عن طريق مراكز محصنة للتجمع ، فضلا عن حاميات متعددة فى المدن المختلفة والاعتماد على تأييد الاعاجم (الفرس) أعداء الترك التقليديين** ، لا سيما وان الاسلام قد انتشر بينهم •

ولهذه الظروف كلها ، لم يكن من المستغرب أن تأتى صائفة سنة ١١٣ هـ ، سنة ٧٣١ م حملة عامة عادية ، وقد تقدمها البطال وجماعتــه فاصطدموا بقوة للعدو أضخم عددا ، فاستشهد عبــد الوهاب بن بخت وبعض زملائه أثناء تغطية انسحاب البطال • وفى سنة ١١٤ هـ ، سنة ٧٣٢ م اتجهت حملة من الثغورالجزرية الى قيسارية ، وتجهت حملة أكثر أهمية من ثغور الشام الى ربض أقرن (عقرون Akroinon) فخربت ضاحيتها ، وكانت مقدمة الحملة بقيادة البطال فالتقت بقوات العدو بقيادة قسطنطين فأسرته وعادت منتصرة محملة بالغنائم ، ولكن تعرضت مؤخرتها لهجوم أثناء العودة فأبيدت المؤخرة • وهكذا رأينا حملة عربية واسعــة النطاق ، تحرك فيها جيشان كبيران الى مواقع هامة واحرزا نتائج طيبة ، ولكن هذا الاندفاع العربى الى قلب آسيا الصغرى توقف فجأة ، وبدا ان الحملات العربية أخذت تلقى مقاومة خلال أربع سنوات متتالية ، واخذت غاراتها تتضاءل في أهيمتها •

ففى سنة ١١٥ هـ / ٧٣٣ م التقى معاوية بن هشام فى آســيا الصغرى بجيش للعدو ، وبدأت المعركة بمبارزة صرع فيها عبد من أصل عربى خرج من صفوف الروم ستة من العرب ، فنازله البطــال وقتله ،

ودارت الحرب وانهزم الروم تاركين وراءهم الكثير من الغنائم والأسرى ، واستولى العرب على حصون عدة ، لكن لم يستطيعوا المضي قدما داخل اراضي العدو ٠ وفى السنة التالية سنة ١١٦ هـ / ٧٣٤ م قاد معاوية حملة أقل أهمية ، وكذلك كان شأن حملتى سنة ١١٧ هـ / ٧٣٥ م واليسرى منها كانت بقيادة معاوية واليمنى التى اغارت من الثغور الجزرية على أراضى العدو كانت بقيادة سليمان ٠ وفى سنة ١١٨ هـ / ٨٣٦ م ، سارت حملتان وعليهما القائدان بعينيهما ، ولا نجد تفصيلات عن الحملات، وهكذا مضت سنوات أربعة من التوقف بالنسبة للعرب ، واليقظة البالغة بالنسبة للبيزنطيين ٠

غير أن العرب عادوا الى اندفاعهم داخل آسيا الصغرى فى احدى انتفاضات نشاطهم ، وقد سارت حملتان من الثغور الشامية والجزرية سنة ١١٩ هـ / ٧٣٧ م ، وأهمها كانت بقيادة سليمان بن هشام وكان من مقاصدها برجان ، وقيل انها أعادت أسيرا يسمى تيبريوس ادعى انه ابن قسطنطين وسمح له بالتجوال فى مدائن الشام ٠ واتجه سليمان فى العام التالى سنة ١٢٠ هـ ــ سنة ٧٣٨م الى سندرة (أو حصن الحديد Siedror) وجاء مع الحملة أسير ذو شأن هو ابن أحد البطارقة ٠ وفى سنة ١٢١ هـ سنة ٧٣١ م سار مسلمة بن هشام من ملطية الى اقليم المطامير حيث أدار عمليات ناجحة ٠ وواصل العرب توغلهم الى قلب آسيا الصغرى فىالسنة الرابعة ، ولكنهم أصيبوا بخسارة ٠

ففي سنة ١٢٢ هـ ــ ٧٤٠ م استطاع الروم أن يقضوا على جيش عربى عدده خمسون ألفا فلم يبق منه سوى عشرة آلاف عند **اكروينون** (افيوم قره حصار) من أعمال فريجيا فاضطر المسلمون أن يجلوا عن غربى آسيا الصغرى وأن يتراجعوا شرقا فجنوبا ، وفى هذه الموقعة قتل على الارجح عبد الله البطال ٠ والمؤرخون العرب يقصون ذكر استشهاد البطال وأحد رفاقه ، وبعض المؤرخين يجعلون الحادث فى طريق العودة صبيحة الفوز ٠ « واسمه عبد الله أبو الحسين الانطاكى ، قتل سنة ١٢٢ وقيل سنة ١٢٣ هـ ، وكان كثير الغزاة الى الروم والاغارة على بلادهم وله عندهم ذكر عظيم وخوف شديد ٠ حكى أنه دخل بلادهم فى بعض غزواته هو وأصحابه فدخل قرية لهم ليلا وامرأة تقول لصغير لها يبكى : تسكت

والا سلمتك الى البطال ٠٠ سيره عبد الملك مع ابنه مسلمة الى بلاد الروم وأمره على رؤساء أهل الجزيرة والشام وأمر ابنه أن يجعله على مقدمته وطلائعه ، وقال انه شجاع مقدام ، فجعله مسلمة على عشرة آلاف فارس فكان بينه وبين الروم » ٠ ولكن طبقا لرواية تيوفانيس كان جيش عربى هام من ٢٠٫٠٠٠ مقاتل يعمل فى كابادوكيا حين التقى عند أكروينون بجيش بيزنطي على رأسه الامبراطور ليو وابنه قسطنطين ، وانهزم العرب هزيمة كبرى ولم يصابوا من قبل بمثل هذا الحظ السيء ـ على حد تعبير دنيس Denis de Tell Mahr ، ويقرن ديل Diehl هذه الهزيمة بهزيمة العرب عند بواتييه ٠ والمؤرخون المحدثون يجعلون الواقعة حاسمة اذ يعتبرون الاندفاع لعربي غزوا لآسيا الصغرى ، أما الدكتور شعيرة فيراه لا يخرج عن صراع الحدود والنزال من أجل البطولة الذى ينتقل فيه زمام المبادرة من يد الى أخرى ٠ وفى خلال الفتن الداخلية للدولة الاسلامية كانت بيزنطة تجد فرصتها للبدء ، والجديد فى الواقعة السالفة أن المسلمين رغم هدوء أحوالهم الداخلية قد مكنوا البيزنطيين من انتزاع زمام المبادرة ، وتحدد هذه الواقعة تاريخا هاما فى الصراع العربى البيزنطى فى الجبهة البرية ، فقد غدت بيزنطة منذ ذلك الوقت أكثر ثقة فى جيشها ، وعدت حريصة على الاحتفاظ بميزتها على حساب متاعب العرب .

وفقدت الثغور الاسلامية بطلا آخر بموت **مسلمة البطل الكرار** سنة ١٢٠ هـ وقيل سنة ١٢١ هـ ، ٧٣٨ ـ ٩ م ـ وهو الذى عرفته ساحات المعارك على الحدود وفى قلب ديار الروم من أيام عبد الملك الى عهد هشام ٠ وفى خلال المدة الباقية من عهد المروانيين الاواخر كف العرب عن الهجمات الضاربة فى قلب آسيا الصغرى عدا سنة ١٢٤ هـ / ٧٤٢ م ، بل ان بيزنطة هى التى شنت الهجوم فى سنوات ٧٤١ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ م ٠ ويروى أن الروم خرجوا سنة ١٢٣ هـ / ٧٤١ م فى عشرين ألفا فنزلوا على ملطية مهاجمين الحدود الاسلامية البرية مباشرة لأول مرة « فاغلق أهلها أبوابها وظهر النساء عليهن العمائم فقاتلن ، وخرج رسول لأهل ملطية مستغيثا فركب البريد وسار حتى لحق بهشام بن عبد الملك وهو بالرصافة ، فندب هشام الناس الى ملطية ٠ ثم اتاه الخبر بأن الروم قد رحلت عنها فدعا الرسول فأخبره ، وبعث معه خيلا ليرابط بها ، وغزا هشام نفسه ثم نزل ملطية وعسكر عليها حتى بنيت ، فلما كان ممره بالرقة دخلها متقلدا سيفا ولم يتقلده قبل ذلك فى أيامه » ٠

وشرع قسطنطين في مغادرة العاصمة في العام التالي سنة ١٢٤هـ / ٧٤٢م لقيادة حملة جديدة ضد العرب ، ولكن دبرت من خلفه مؤامرة لتسليم العاصمة الى خصمه ارتافاسد Artavasde فشغله ذلك طوال العام • وطلب كل من قسطنطين وخصمه تأييد الخليفة ولم يشأ العرب أن يكونوا اداة في يد غيرهم ، وآثروا أن يعملوا لحسابهم الخاص وبدون شطط ، فسارت الصائفة في الأراضي البيزنطية حتى بافلاجونياء والتقت بجيش قسطنطين ولكن لم تصطدم معه في قتال ، وآثرت أن تنال فوزا أسهل منالا ، وكانت بقيادة سليمان الذى عاد بعد نجاح محدود • **وكانت هذه هي المرة الاخيرة حتى نهاية الدولة الأموية التي يتوغل فيها المسلمون الى هذا المدى داخل اراضي العدو** • وفي نفس العام لم يبد مروان في جبهة الجزيرة وأرمينية أى اتجاه للافادة من الموقف ، وآثر الحيطة واليقظة فحسب دون ارسال حملات ، وهكذا كان اتجاه العرب دفاعيا خالصا في هذه الجبهة •

وبين الحملات المستمرة التي يسردها مؤرخو الحوليات من سنة ١٠٦ هـ الى سنة ١٢٥ هـ نجد حملات بحرية منتظمة أيضا • ونحن نلحظ أسرة من قبيلة محارب يتولى القيادة عدة افراد منها ، منهم الأسود بن بلال المحاربى الذى يقود غزوات البحر من سنة ١٢٠ الى سنة ١٢٦ هـ / ٧٣٨ : ٧٤٤م ، وقد تولى أخواه مهمات مماثلة خلال ٤٠ عاما ابتداء من سنة ١٠٢هـ ــ ٧٢١م، وكان لحفص بن الوليد نشاطه في أسطول الساحل المصرى • ولم يكن الأسطول الاسلامى على قوة تتيح له السيادة على حوض البحر المتوسط الشرقى، وعلى الرغم من نشاطه الكبير لم يستطع أن يحرز انتصارا مثل انتصاره في واقعة الصوارى ، على أن الحوض الغربى شهد نشاطا أكبر • وقد ضعفت سيطرة المسلمين على قبرص وأهلها ، واتخذت الجزيرة سياسة معادية ثلاث مرات في سنوات ١٠٦ ، ١٢٠ ــ ١ هـ ، ١٢٩هـ/٧٢٤ ، ٧٣٨ ــ ٩ ، ٧٤٩ م • وكان وضع قبرص أسوأ من وضع أرمينية اذ كان الروم يرون في قوتهم البحرية أداة مفضلة لتحدى العرب، واذا كانت بيزنطة قد اتخذت سياسة حربية نشيطة في البر انتهت بالهجوم فكذلك كان موقفها في البحر ونحن نجهل الوقائع البحرية في السنين الاولى من هذه الفترة ، ويبدو أن الجزيرة لم تكن معادية للعرب منذ مهاجمة الروم تنيس في مصر سنة ١٠١ هـ ، ٧٢٠ م ، ولكن الجزيرة اتخذت موقفا معاديا للعرب سنة ١٠٦ هـ سنة ٧٢٤ م ، فقد شرع هؤلاء في الاستعداد لحملة كبيرة يبدو أن هدفها قبرص • وفي ذى الحجة سنة ١٠٦ هـ / ابريل سنة ٧٢٥ م فرض على المدينة البعث من ٤٠٠ رجل

نصفهم للحملة والنصف الأخر للانضمام الى حاميات السواحل • وقد ورد في أخبار ١٠٧هـ أن معاوية بن هشام غزا الصائفة وعلى جيش الشام ميمون ابن مهران «فقطع البحر حتى عبر الى قبرص» ولم تكن الحملة ناجحة، ولم يعد أحد من بعث المدينة • وكانت الفتن التي اثارتها السياسة المعارضة للصنور في ايطاليا واليونان والسيكلاديس سنة ١٩٠ هـ ـ ٧٢٧ م سببا في حرمان الروم من الاتجاه للهجوم ، فعاشت الجزيرة فى سلام واستقر النفوذ العربى ، وأمنت السواحل حتى سنة ١٢٠ هـ • سنة ٧٣٨ م ، وتتابعت الحملات السنوية حتى ذلك التاريخ والاشارات اليها موجزة •

فقد غزا عبدالله بن عقبة بن نافع الفهرى على جيش فى البحر سنة ١٠٩ ، ١١٠هـ (٧٢٩ ـ ٧٣٠م) ، وفى سنة ١١١ هـ (٧٣١م) غزا على جيش البحر عبد الله بن أبى مريم • كذلك سير عبيد الله بن الحبحاب والى هشام افريقيه جيشا الى صقلية سنة ١١٧ هـ / سنة ٧٣٧ م « فلقيتهم مراكب الروم فاقتلوا قتالا شديدا فانهزمت الروم وأسروا جماعة من المسلمين» وكانت تونس قاعدة الحملات البحرية فى افريقيـة بينما كانت القيروان قاعدة برية • وسير بن الحبحاب جيشا فى نفس العـام الى **سردانيـة** « ففتحوا فيهـا ونهبوا وغنموا وعادوا » • **وقد هاجم الروم ميناء قرب بيروت** سنة ١٢٠ هـ سنة ٧٣٨ م ونهبوا الاهالى وأخذوا السفن التجارية ، وقد تعقبهم والى بيروت فاضـطروا الى ترك اسـلابهم • وواصـل الروم سياسة الهجوم فى العام التالى سنة ١٢١ هـ سنة ٧٣٩م فهاجموا دمياط بنجاح وقتلوا وأسروا • وكانت الحمـلة البيزنطية الثـالثة للنزول فى الموانى الاسلامية سنة ١٢٣ هـ سنة ٧٤١ م موجهة ضد السواحل المصرية• غير أنها كانت أقل نجاحا ، وتتبع حفص بن الوليد العـدو فى انسحابه فورا .

وفى خلال هذه الهجمات لم ينقطع الاسطول الاسلامي عن العمل ، فقد كان للاسطول المصرى عملية بحرية سنة ١١ هـ/سنة ٧٣٩م ، وفى سنة ١٢٢هـ سنة ٧٤٠م رحل الأسطولان المصرى والشامى من الاسكندرية فى مهمة مجهولة ، وضلت الحملة الطريق فقصدت **كريت** وهاجمتها دون نجاح وان أسرت أسرى عديدين • كما عاود ابن الحبحاب غزو صـقلية سنة ١٢٢ هـ • واشتهر فى المغازى البحرية حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة ابن نافع وابنه عبد الرحمن « فظفر ظفرا لم ير مثله حتى سرقوسة وهى من أعظم مدن صقلية ، فقاتلوه فهزمهم وحصرهم فصالحوه على الجزية • وعزم حبيب على المقـام بصقلية الى أن يملـكها جميعـا ، فأتاه كتاب ابن الحبحاب يستدعيه الى افريقية » • وقد أحصى الدكتور شعيرة ٧ حملات

على صقلية سنة ٧٢٠م (١٠٢هـ) ، ٧٢٢م ، ٧٢٦م (١٠٨هـ) ، ٧٢٧م ، ٧٢٨م ، ٧٤٠م (١٢٢هـ) ، ٧٤٧م (١٣٠هـ) ، وحملتين على سردانية سنة ٧٢١م (١٠٣هـ) ، ٧٢٤م ، وذلك في مدى ثلاثين عاما ، مما يبدو معه أن المسلمين واصلوا ضغطا متتابعا على أسطول صقلية لمنافسته في السيادة البحرية • على أن الهجمات البيزنطية ظلت مستمرة بدورها ، خاصة في الحوض الشرقي من البحر المتوسط (١١٥) •

يصف المسعودى هشام بن عبد الملك فيقول عنه : « كان يجمع الاموال ويعمر الارض ويستجيد الخيل ، وأقام الحلبة فاجتمع له فيها من خيله وخيل غيره أربعة آلاف فرس ولم يعرف ذلك في جاهلية ولا اسلام لأحد من الناس • وقد ذكرت الشعراء ما اجتمع له من الخيل • واستجاد الكسى والفرش وعدد الحرب ولامتها واصطنع الرجال وقوى الثغور •• » واستفاضت شهرة هشام في تدبير الحرب وتناقلها الناس حتى بلغت مجلس الخليفة العباس المنصور - كما يروى الطبري (١١٦) • وقد كان هشام من أقوى شخصيات المروانيين المتأخرين ، واذا كان عهده لم يخل من انتكاسات في الجبهة البيزنطية خاصة في أواخره فان الحالة قد تفاقمت في عهود الخلفاء الضعاف الذين أعقبوه •

اكلت الفتن بني أمية فشغلتهم عن اى شيء آخر فلا نكاد نسمع عن الشواتي والصوائف الا ما ندر • وانتقل الروم من الدفاع الي الهجوم مستفيدين من اصلاحات ليو العسكرية التي لم تؤت ثمارها الا في آخر عهده وفي عهود خلفائه من بعده • فقد توفى هشام سنة ١٢٥ هـ سنة ٧٤٣ م دون أن يوفق لانتزاع زمام المبادرة العسكرية من البيزنطيين • وخلفه الوليد بن يزيد الذى لم يحكم سوى ١٤ شهرا ، وكان كلفا بالشعر والشراب ، واتجه لارضاء أحقاده من عمه هشام بتنحية أولاده عن قيادات

---

(١١٥) الطبرى حـ ٨ ص ١٨٢ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٦ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٦ - ١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٤٧ ، ٢٦٠ ، ٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ابن الأثير حـ ٥ ص ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ - ٤ ، ٦٨ : ٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ٩٨ - ٩ ، ١٠٣ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٢٤، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٩٤ ، اليعقوبى حـ ٣ ص ٦٩ - ٧٠ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ترجمة دكتور ابى ريدة ص ٣٢٧ - ٨ ، دكتور ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية حـ ٢ ص ٢٩٤ : ٣٠١ •

Brockelmann : Hist. of Isl. Peop. p. 97.

Cheira : La Lutte entre les Arabes et Byz. pp. 214, 223: 231, 234:7, 238-9.

(١١٦) المسعودى : مروج الذهب حـ ٢ ص ١٨٠ - ١ ، الطبرى حـ ٩ ص ٣٠٤ •

الثغور واحلال اخـــوته محلهم وهم أقل كفاءة • ولم تستقر الأمور فى الداخل طوال عهد **الوليد بن يزيد ، ويزيد بن الوليد ، ابراهيم بن الوليد**، واستغل الروم الفرص لسانحة • وقد سارت الصائفتان الغربيان سنة ١٢٥ هـ ـ ٧٤٣ م وكان من قادة الغزو الغمر بن الوليد أخو الخليفة ، وقد شن الروم هجوما على زبطوة ودمروا أسوارها التى أعيد بناؤها على عجل فكانت أقل حصانة • وفى سنة ١٢٦ هـ ـ ٧٤٤ م أرسل المسلمين حملة جاء مقتل الوليد عند عودتها • وحاول والى أرمينية تهدئة الاقليم فى نفس العام بدعوة المتمردين الى السكينة • وفى نهاية سنة ٧٤٤ م ارتقى والى أرمينية مروان بن محمد عرش الخلافة •

وفى البحر سار جيش بقيادة الأسود بن بلال المحاربى سنة١٢٥هـ سنة ٧٤٣ م الى قبرص ليخيرهم بين المسير الى الشام ان شاءوا وان شاءوا الى الروم ، ولعـلهم ـ كعهدهم ـ كانوا يعينون الروم عـلى المسـلمين • فاختارت طائفة جوار المسلمين فنقلهم الأسود الى الشام ، واختار آخرون أرض الروم فنقلوا اليها ـ ويذكر البلاذرى أن هـذا الاجراء كان « لأمر اتهمهم به الوليد ، فانكر الناس ذلك فردهم يزيد بن الوليد بن عبد الملك الى بلدهم » (١١٧) • وكان ذلك فى العام التالى سنة ١٢٦هـ سنة٧٤٤م• **واستغل قسطنطين الخـامس الـذى اعقب ليو الثـالث (٧٤١ : ٧٧٥م) الصراع الداخلى بين أفراد البيت المروانى فاغار سـنة ٧٤٥م على حدود الدولة الاسلامية** ينتقص من اطرافها ، واستولى **على مرعش ودلوك** وأجلى نصارى الحدود الى داخل الدولة البيزنطية فى تراقية • وفى سنة ٧٤٦ م جهز أسطولا كبيرا فىمياه آسيا الصغرى الجنوبية وهاجم أسطولا اسلاميا فى **قبرص** واحتل الجزيرة ، وفى سنة ٧٥١م جرد حملة على حدود العرب فى **ارمينية** فاستولى على ارزن الروم (ارضروم) وملطية ، ثم اتجه نحو الفرات فاحتل حصن قلوذية وبلغ شمشاط (١١٨) •

الدولة تحارب رجالها :

كان **عمر بن عبد العزيز يكره آل المهلب** ويقول : « **هؤلاء** جبابرة ولا أحب مثلهم » وقد عزل **يزيد بن المهلب** عن العراق وضيق عليـه وبادله بغضا ببغض • وجاء **يزيد بن عبد الملك** ـ وله صلات وثيقة بالحجاج وهو

---

(١١٧) الطبرى جـ ٨ ص ٢٩٩ ، ابن الأثير جـ ٥ ص ١٠٩ ، البلاذرى فتوح البلدان ص١٦١
Cheira : La Lutte entre les Arabes et Byz. pp. 232-3, 238.

(١١٨) رستم : الروم جـ ١ ص ٢٩٣ ـ ٤ •

زوج ابنة اخيه ـ فلم يكن ينتظر منه خيرا بالنسبة لعدو الحجاج الذى نكل باهله . واستطاع يزيد بن المهلب ان يدخل البصرة موطن أسرته من المهالبة وموطن قبيلته أزد عمان ، فانضمت اليه قبائل اليمن من الازد وربيعة ، أما قبائل تميم وقيس فانهم كانوا فى جانب الوالى • وهكذا برزت الخلافات العصبية ، وكان بنو مروان الاولون ـ مثل عبد الملك والوليد وسليمان ـ قد نجحوا فى حفظ التوازن بينهما بقدر المستطاع • وقد سعى ابن أخى يزيد بن المهلب ـ حميد بن عبد الملك بن المهلب ـ عند الخليفة فبعث معه بالامان للمطالبة جميعا ، لكن يزيد بن المهلب كان قد غلب على البصرة وحبس واليها عدى بن أرطاه ونادى بان « جهاد أهل الشام أعظم ثوابا من جهاد الترك والديلم » • وأصبح الوفاق بين ابن المهلب والخلافة متعذرا ، وصار عليه أن يحدد وجهته بعد البصرة ، فاقبل حتى نزل واسط واستخلف أخاه مروان على البصرة واخذ يستشير أصحابه فى وجهته ، فمنهم من نصحه بفارس « فتأخذ بالشعاب وبالعقاب وتدنو من خراسان وتطاول القوم ، فان أهل الجبال ينفضون اليك وفى يدك القلاع والحصون• فقال : انما تريدون أن تجعلونى طائرا على رأس جبل » • وأشار اليه آخرون بأن « **ياتى الجزيرة ويبادر اليها حتى ينزل حصنا من حصونها ، فاذا أقبل اهل الشام يريدونه لم يدعهم جنده بالجزيرة يقبلون اليه ، فيقيمون عليهم فيحبسونهم عنه حتى ياتيهم ، وياتيه من بالموصل من قومه وينفض اليه أهل العراق واهل الثغور** ، ويقاتلهم فى أرض رخيصة السعر وقد جعل العراق كله وراء ظهره • فقال : انى أكره ان أقطع جيشى وجندى » •

ولم يرد ابن المهلب ان يترك العراق امام جند الشام ـ وكانوا قد تقدموا نحوها ، بل أراد أن يسبقهم الى الكوفة قدر الامكان • وفى آخر سنة ١٠١ هـ ـ ٧٢٠ م توقف عند **عقر التى تواجه فارط** ، ويعتبرها نولدكه معقلا Castra قرب بابل القديمة ولم يرض غير قليل حتى ظهر **مسلمة بن عبد الملك قائد الحملات فى آسيا الصغرى وارمينية سنين طويلة ومعه العباس بن الوليد الذى برز اسمه فى جهاد الروم أيضا** ، وقد عبرت قوات الدولة الى منزل يزيد بن المهلب بوساطة جسر أقامته ، ودارت المعركة التى هزم فيها المهلب فى الكوفة وبعض سلائل ابن الاشعث ومالك الأشتر فركبوا السفن الى كرمان فالسند ولكنهم لم يفلتوا ، وعلقت الرءوس المقطوعة فى حلب • واسندت ولاية العراق أولا لمسلمة

الذي أخذ يعين ولاة جددا تحت يده ، ثم عزل مسلمة وعين على العراق وولايات المشرق عمر بن هبيرة الفزاري - وكان والي الجزيرة لعمر بن عبد العزيز ، وهو قيسي لقيت قبائل الأزد واليمن عموما على يديه عنتا . وكانت عداوة الحجاج في حياته لابن الاشعث وابن المهلب من حدة النزاع بن قيس واليمن ، وأدى ذلك الى تدخل الخلفاء في الصراع القبلي . وكانت حرب الامويين للمهالبة بمثابة حرب على قبائل اليمن كما يقول فلهوزن « وكانت نتيجة ذلك أن حكومة بني أمية انقلبت حزبا يحكم باسم قيس (في العراق) ، .. أما في الشام فان يزيد بن عبد الملك لم يحاب قيسا على قضاعة - لأن قضاعة كانت نواة الجيش الذي انتصر في موقعة عقر ، وكان الذي قتل يزيد بن المهلب رجلا من كلب ، وكان الكلبيون هم الذين تعقبوا المهالبة الهاربين واستأصلوا شأفتهم » .

وجاء **هشام بن عبد الملك فادار السياسة الاموية وجهة أخرى « وكان أول مافعله ان كسر شوكة القيسيين** الذين كانت قد اخذتهم العزة بالاثم في المشرق فعزل عمر ابن هبيرة ، وعين مكانه خالد بن عبد الله القسري في شوال سنة ١٠٥ هـ مارس سنة ٧٢٤ م وبذلك صار على العراق وال يمكن أن يعتبر الى حد ما في عداد زياد والحجاج » . وكانت قبيلة خالد (قسر) فرعا من بجيلة - وهي قبيلة مزقتها خلافات الجاهلية ولم تكن تنتسب الى مضر ولا الى اليمن ، ولكن خالد انحاز الى اليمنة بدافع من عداوة قيس « قال عمر بن يزيد بن عمير الأسيدي : دخلت على هشام وخالد عنده وهو يذكر طاعة أهل اليمن فقلت: والله ما رأيت هكذا خطا وخطلا ، والله ما فتحت فتنة في الاسلام الا بأهل اليمن : هم قتلوا عثمان ، وهم خلعوا عبد الملك ، وان سيوفنا لتقطر من دماء بني المهلب » . ولبث خالد على العراق زهاء خمسة عشر عاما وهي أطول مدة قضاها وال على العراق باستثناء الحجاج . **ولكن هشام تغير عليه وعزله سنة ١٢٠هـ وولى يوسف بن عمر الثقفي القيسي احد اقرباء الحجاج** . وجعل هذا مقره في الحيرة اذ منعه هشام من أن يعسكر بجند الشام بين أهل الكوفة .

ثم تولى الخلافة **الوليد** بن يزيد رغم محاولة هشام عزله وتولية ابنه مسلمة ، **فشغل بالانتقام من أولاد هشام حتى اخذ ابنه سليمان الذي اشتهر في حرب الثغور فضربه وسجنه . كما كانت هناك وحشة بينه وبين الوليد بن القعقاع العبسي - خال سليمان ابن عبد الملك وقد تولى هو أو أخوه عبد الملك قنسرين لهشام ، واليهم ينسب حيار بني عبس .** وكان بنو القعقاع قد أيدوا هشاما في خلع الوليد وتولية ابنه. وقد هرب

الوليد بن القعقاع وغيره من اخوته فعاذوا بقبر يزيد بن عبد الملك ، فولى الوليد على قنسرين يزيد بن عمرو بن هبيرة الذى عذب آل القعقاع حتى مات منهم الوليد « **وكان معنى تسليط يوسف بن عمر على خالد القسري - وهو اجراء بدا به هشام اخيرا واستمر فيه يزيد - هو اغراء قبائل قيس بقبائل اليمن** ، وبدا أن الخليفة قد صار هو ويوسف بن عمر وبقية آل الحجاج حزبا واحدا .. **وهي اول مرة حدث فيها تذمر سياسى شامل في العراق وفي الشام والف هذا التذمر بين اليمن هنا وهناك ، وكان اشد الناس تاثرا بذلك هم يمن الشام وخصوصا كلب** - لأن خالد القسري - الذى قضي نحبه بتنكيل يوسف بن عمر فى عهد الوليد - كان قد قضى سنيه الأخيرة في دمشق ونال محبة كثيرين . ولكن التذمر كان من الخليفة خاصة أكثر منه من قيس بوجه عام ونفخ فيه أعداء الخليفة الشخصيين لاغراضهم الخاصة . فالثورة وان جاءت من قبائل اليمن الا أن اليمنية لم يكونوا وحدهم في جانب والقيسية في جانب آخر ، بل نجد عبس قيس يقفون فى الجانب المعادي للخليفة لأنه كان قد أغضبهم بما فعله مع بني القعقاع ، كما أتى لنجدة الخليفة قوم من كلب من قبائل عامر وسليم بن كيسان بجانب البهرانيين من حمص .. وانضم الى الثائرين أبناء هشام وغيرهم من بنى مروان . وكانوا يتحدثون فيما بينهم أن الوليد قد أعد مائة جامعة من الحديد ، وكتب على كل واحدة منها اسم رجل من بنى أمية ليقتله بها . وكان من الذين يؤيدونهم وربما يحرضونهم قوم من اشراف كلب فى دمشق وكانوا قوادا وعمالا ساخطين أزيلوا عن مناصبهم : صار منصور بن جمهور أكثرهم ذكرا » . وهكذا احاطت نيران الثورة بالوليد من كل مكان ، واضطغن على الوليد آل الوليد وآل هشام وآل القعقاع واليمانية بما صنع بخالد بن عبد الله ، فاتت اليمانية **يزيد بن الوليد** فارادوه على البيعة سنة ١٢٦ هـ » . وكان الناس متفرقون في البوادي بسبب الوباء ، وفوجيء الوليد بن يزيد باخبار الثورة ، وقد **نصح بان ينزل حمص لانها حصينة او تدمر فهى حصينة ايضا ، وقيل له اخيرا « اما اذا ابيت فهذا الحصن البخراء فانه حصين وهو من بناء العجم فانزله » . فنزل وجاءه من تدمر قوم من كلب ومن حمص بهرانيون وفشل العباس بن الوليد فى نجدته ، ولم ترد كلب تدمر ان تقاتل كلب دمشق فانتهى الامر بقتل الوليد بن يزيد ، وفتح قتله باب الفتن فى منطقة شمالى الشام والجزيرة وهى المنطقة التى كانت تنور فيها الاستعدادات وتوجه منها الحملات لقتال الروم** ، فأصبح الأمويون يقتلون فيها بعضهم بعضا « واضطرب حبل بنى مروان وهاجت الفتنة » .

علم **أهل حمص** بمقتل الوليد « فأغلقوا أبوابها وأقاموا النوائح والبواكي على الوليد ، وسألوا عن قتله فقيل : ان الذى أعان عليه العباس ابن الوليد ،فوثب أهل حمص فهدموادار العباس وانتهبوها وسلبوا حرمه واخذوا بنيه فحبسوهم ، وطلبوه فخرج الى يزيد بن الوليد وكاتبوا الأجناد ودعوهم الى الطلب بعدم الوليد فأجابوهم ٠ وكتب أهل حمص بينهم كتابا : ألا يدخلوا فى طاعة يزيد ، وان كان وليا عهد الوليد حيين قاموا بالبيعة لهما والا جعلوها لخير من يعلمون على أن يعطيهم العطاء٠ وقد أيدهم مروان بن عبد الله بن عبد الملك أمير حمص ، ثم انصرفوا عنه الى أبى محمد السفيانى زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية الذى قال لهم : « لو قد أتيت دمشق ونظرت الى أهلها لم تخالفني » ٠ وأراد يزيد أن يراسلهم فطردوا رسله ، فوجه اليهم مسرور بن الوليد بن روح فى جمع كبير أكثرهم بنو عامر من كلب فنزلوا حوارين ٠ ولما قدم سليمان ابن هشام على يزيد اكرمه وصاهره ورد عليه ماكان الوليد أخذه وارسله قائدا عاما على تلك الحملة المرسلة لتأديب حمص ٠ والتقى الفريقان **بالسليمانية** ــ مزرعة كانت لسليمان بن عبد الملك خلف عذراء من دمشق على أربعة عشر ميلا ــ وكان مصير أهل حمص الفناء التام ، وحبس أبو محمد السفيانى وابنا الوليد بن يزيد وآخرون من السفيانيين الذين كانوا يؤيدون الوليد لأنه كان ينتسب اليهم من طريق جدته بنت يزيد بن معاوية٠

وبعد أن فرغ يزيد من أمر أهل حمص اتجه أهل فلسطين والاردن الذين كانوا قد وثبوا على عاملهم أيضا اثر مقتل الوليد ، فوجه اليهم سليمان بن هشام على راس قوة من جيشه فأخذ يعد بعض الزعماء الثائرين ويمنيهم حتى تمكن من اخماد الفتنة ٠ واستعمل يزيد : ابراهيم بن الوليد على الاردن وضبعان بن روح على فلسطين ومسرور بن الوليد على قنسرين ، وابن الحصين على حمص ٠

وقد ادت المتاعب التى واجهها يزيد الى اعتماده على اهل اليمن وخصوصا كلب اعتمادا ظاهرا ، ووجه المنصور بن جمهور الكلبى لولاية العراق وقبض على يوسف بن عمر واطلق سراح من كانوا فى سجنه ، ثم ولى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز مكان منصور بن جمهور سنة ١٢٦ هـ٠ وهكذا اضطربت سياسة الامويين بين القيسية واليمانية كما تتابع العزل والتولية فى جهات الشام والجزيرة ٠

ثم ظهر فى اتون هذه الخلافات **مروان بن محمد** ، وكان ابوه أحد اخوة عبد الملك اميرا على أرض الجزيرة وارمينية سنين كثيرة وكان يقود

الحرب مع الروم ثم حل محله مسلمة ، وقد اسندت الى مروان ارمينية واذربيجان سنة ١١٥هـ فابلى بلاء حسنا فى الدفاع عن ثغر القوقاز أمام هجمات الترك • ويصفه فلهوزن بأنه « **كانت له علاقات بجميع الجهات ، وكان على علم تام بما يرسم من الخطط فى كل مكان** » • فلما صارت الخلافة الى الوليد بعث اليه يهنئه ـ وكان قد عاتب هشاما حين انتقده ، ولكنه لم يكن فى الحقيقة يحسن الظن بالوليد ومهما يكن من شىء فانقتل الوليد جاء ملائما لأغراضه « فقد استطاع أن ينهض للثأر من القاتلين وأن يأخذ من أيديهم الغنيمة مستندا الى اعتبارات وجيهة » على حد قول فلهوزن •فخرج مروان من ارمينية متجها الى الجزيرة التى خرج واليها من قبل الوليد ـ عبده بن رباح الغسانى ـ الى الشام عند مقتل الوليد ، « **ووثب عبد الملك بن مروان بن محمد على حران ومدائن الجزيرة فضبطها وولاها سليمان بن عبد الله بن علاثة ، وكتب الى أبيه بأرمينية يعلمه بذلك ويشير عليه بتعجيل السير والهجوم • فتهيأ مروان للمسير وأظهر أنه يطالب بدم الوليد وكره أن يدع الثغر معطلا** حتى يحكم أمره ،فوجه الى أهل الباب : اسحق بن مسلم العقيلى وهو رأس قيس وثابت بن نعيم الجذامى من أهل فلسطين وهو رأس اليمن »• لكن هذا الجيش الخارج على الخليفة لم يكد يسير حتى ابتلى فى صفوفه بالخارجين عليه ، فقد تمرد اليمانيون من جند الشام تحت امرة ثابت بن نعيم ، وكان سببصحبة ثابت اياه أن مروان خلصه من حبس هشام بالرصافة « وكان مروان يقدم على هشام المرة فى السنتين فيرفع اليه أمر الثغر وحاله ومصلحة من به من جنوده وما ينبغى أن يعمل به فى عدوه » • وبلغ مروان أن ثابتا كان يدس الى القواد بالانصراف من ثغرهم واللحاق بأجنادهم « ودس ثابت من نعيم الى من معه من أهل الشام بالانخذال عن مروان والانضمام اليه ليسير بهم الى أجنادهم ويتولى أمرهم ، فانخذلوا عن معسكرهم مع من فر ليلا وعسكروا على حدة ، وبلغ مروان أمرهم فبات ليلته ومن معه فى السلاح يتحارسون حتى أصبح ثم خرج اليهم بمن معه ومن مع ثابت يضعفون على من مع مروان ••• وأجابوه بانا كنا نطيعك بطاعة خليفتنا وقد قتل خليفتنا » • وقد أظهر مروان ثباتا وقوة شكيمة فى علاج هذا التمرد ، فاتهم الخارجين عليه بأنهم يريدون النهب والسلب فى الطريق وهددهم بالقتال وهكذا اجتاز مروان هذه الفتنة المبكرة مظفرا « فانقادوا اليه وأمكنوه من ثابت بن نعيم وأولاده » • **وسار حتى بلغ حران • وفرض لأهل الجزيرة المقاتلين وتهيأ للمسير الى يزيد بعد أن خلى سبيل جند الشام فلحقوا باجنادهم وكانت جنود قيس من أهل الجزيرة نواة جيشه،**

لكن يزيد بن الوليد كاتب مروان « على أن يبايعه ويوليه ما كان عبد الملك بن مروان ولى أباه محمد بن مروان من الجزيرة وارمينية والموصل واذربيجان فبايع له مروان ووجه اليه محمد بن عبد الله بن علاثة ونفرا من وجوه الجزيرة » . ومع ذلك فقد قيل أن تسمية يزيد بالناقص جاءت من مروان ، وقيل انه أسماه بذلك لما نقص الأعطيات اذ ردها الى ما كانت عليه هشام بعد أن كان الوليد بن يزيد قد زادها .

ومات يزيد بن الوليد بعد أن تولى الخلافة بستة أشهر ، ووخلفه **ابراهيم بن الوليد** فلم يبايع له الا أهل جنوب الشام ، فعاد مروان الى خطته القديمة على الفور « **وارسل الى بن علاثة وأصحابه فردهم من منبج، وشخص الى ابراهيم بن الوليد في جند الجزيرة وخلف ابنه عبد الملك في أربعين ألفا من الرابطة بالرقة ، فلما انتهى الى قنسرين – وبها أخ ليزيد ابن الوليد يقال له بشر كان ولاه قنسرين – خرج اليه فصافه،ومال اليه يزيد بن عمر بن هبيرة في القيسية وأسلموه بشرا وأخاه مسرورا فحسبهما مروان . وسار فيمن معه من أهل الجزيرة وأهل قنسرين الى أهل حمص وكانوا امتنعوا حين مات يزيد بن الوليد أن يبايعوا ابراهيم ،** فوجه اليهم ابراهيم عبد العزيز بن الحجاج وجند أهل دمشق فحاصرهم فلما دنا مروان من حمص رحل عبد العزيز عنهم وخرجوا الى مروان فبايعوه وساروا بأجمعهم معه . ووجه ابراهيم بن الوليد الجنود مع سليمان بن هشام فسار بهم **عين الجر** (وهو نهير في سلسلة جبال لبنان الشرقية Antilibanus حيث يلتقي بنهر الليطاني) وأتاه مروان وسليمان في مائة وعشرين ألف فارس ومروان في نحو من ثمانين ألفا ». وجرى مروان على عادته في مناداة أعدائه وتقديم عروضه اليهم قبل الموقعة ، فدعاهم الى الكف عن قتاله واطلاق ابني الوليد المحبوسين على الا يؤاخذ أحد بقتل الوليد فأبوا ذلك . فاقتتلوا ، وكان مروان مجربا مكايدا فجعل قسما من جنده يعقد الجسور من الشجر ويعبر النهر بين العسكرين فيفاجيء جيش سليمان من الخلف « فلما رأوا ذلك انكسروا وكانت هزيمتهم ، ووضع أهل حمص السلاح فيهم لحردهم عليهم فقتلوا منهم نحوا من سبعة عشر ألفا ، وكف أهل الجزيرة وأهل قنسرين عن قتلهم ، وأتوا مروان من اسرائهم بمثل عدة القتلى » . وانسحب سليمان بن هشام ومعه يزيد بن خالد بن عبد الله القسري الى دمشق حيث تشاوروا مع ابراهيم بن الوليد وعبد العزيز بن الحجاج وغيرهم ، فارتأوا قتل ابني الوليد في السجن وقتل يوسف بن عمر وابي محمد السفياني ، وقد نجا الأخير . وظن القوم أنهم بهذا يؤمنون أنفسهم ، في

حين انهم فتحوا الطريق أمام مروان ليصل الى عرش الخلافة « ودخل مروان دمشق ودفن الغلامين ويوسف بن عمر وأتى بأبي محمد السفياني في كبوله فسلم عليه بالخلافة ... فكان أول من نهض معاوية بن يزيد ابن الحصين بن نمير ورؤوس أهل حمص فبايعوه . فأمرهم أن يختاروا لولاية أجنادهم ، فاختاروا : أهل دمشق زامل بن عمرو الجبراني ، وأهل حمص عبد الله بن شجرة الكندي ، وأهل الأردن الوليد بن معاوية بن مروان ، وأهل فلسطين ثابت بن نعيم الجذامي - فأخذ عليهم العهود المؤكدة فلما استوت لمروان الشام وانصرف الى منزله بحران طلب الأمان منه ابراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام فأمنهما ، فقدم عليه سليمان وكان يومئذ بتدمر بمن معه من اخوته وأهل بيته ومواليه الذكوانية » .

ونستطيع أن نرى في هذه البداية المبكرة لمروان بن محمد نزعة عهده الذي سوف يكون **ميالا الى القيسية من جهة والى الجزيرة من جهة اخرى** واذا ما استعرضنا سياسة بني مروان عموما نجد موالاةالقيسية أيام يزيد بن عبد الملك وأعقبت ذلك سياسة عكسية لهشام رجع عنها في أواخر أيامه حين عزل خالد القسري ، وتابع الوليد بن يزيد هذه السياسة ، وشذ يزيد بن الوليد فمال الى اليمانية ، وأتى مروان ابن محمد فعاد الى سياسة موالاة القيسية وكان قتال مروان لأبناء عبد الملك قتالا لكلب وقضاعة ، وقد انضمت اليه قيس وحاربت معه ، وهو أيضا اتخذ مقر اقامته بين قيس في حران بأرض الجزيرة حيث نما وترعرع ... واذا كان بعض خلفاء بني أمية قد أثروا الاقامة بعيدا عن دمشق فان مقصدهم لم يكن تجريد دمشق من مكانتها **أما مروان فقد نقل مقر حكمه الى حران كما نقل خزانته كما يقول تيوفانيس ، فأحس الشام كله عدا الاجزاء الشمالية انه قد انتزعت منه السيادة** ، وقد أخذت الخلافات بين الأحزاب تختفي وسط هذا الشعور شيئا فشيئا » كما يقول فلهوزن .

أرضى مروان بن محمد طموحه أخيرا ووصل الى الخلافة ، ولكن في ظروف غير سعيدة ... **ولم تستطع الدولة الاسلامية أن تستفيد من خبرة مروان بن محمد في القتال بأرمينية ، فان أرض الثغور والعواصم وما تاخمها من شمالي الشام والجزيرة لم تعد قاعدة لانفاذ الشواتي والصوائف ضد الروم وانما غدت مسرحا للفتن والثورات** التي انتهت الى نهاية الدولة الأموية أخيرا « وقد كان مقتل الوليد بن يزيد بمثابة العلامة التي آذنت بسقوط أسرة بني أمية - كما يرى فلهوزن - وكانت هذه الأسرة الحاكمة قد انتحرت عند ذلك انتحارا سياسيا ... ذلك أن بلاد

الشام نفسها ـ حجر الزاوية في النظام القائم ـ قد لفتها دوامة الثورة ... أما رجال قبيلة **كلب** الذين كانوا أخلص أولياء الدولة فانهم قد خرجوا على الولاء لها ، ويستطيع الانسان أن يتصور ما كان لتزعزع سلطان الدولة في القلب من تأثير على الأطراف ... وفي وسط ذلك الاضطراب كانت تظهر تجمعات لا تلبث أن تزول، فكانت مختلف العناصر الهائجة تتجمع حول نقطة واحدة ثم تفرق بعد ذلك وتدخل في تنظيمات أخرى . وكانت تلك الفترة انسب ما يكون للمغامرين والمتغلبين : كان الواحد منهم تصبح له في أقصر قوة كبيرة ثم يختفي من غير أن يترك أى اثر » (١١٩) .

نهاية عهد : مروان بن محمد (١٢٧ : ١٣٢ هـ ـ ٧٤٤ : ٧٥٠ م)

فتن الشام :

كان انتصار مروان بن محمد انتصارا للقيسية ، فلم يكن ينتظر أن تقف اليمانية موقفا سلبيا ، فانتقضت **عشائر كلب في حمص** وما يجاورها بعد انتقال مروان الى حران . ويظهر أن الثورة نشأت من جانب أهل فلسطين حيث كان ثابت بن نعيم الجذامي اليمني الذى كان قد تألب على مروان من قبل حينما سار من أرمينية لحرب يزيد بن الوليد، ثم امتدت الى جميع الجهات حتى وصلت الى مدينة حمص « **وأرسل اهل حمص الى من بتدمر من كلب** ، فشخص اليهم الأصبغ بن ذؤابة الكلبي ومعه بنون ثلاثة ومعاوية السكسكي فارس أهل الشام ... ونحو من ألف من فرسانهم فدخلوا حمص ليلة الفطر سنة ١٢٧هـ ومروان بحماه ، فجد في السير ومعه ابراهيم بن الوليد المخلوع وسليمان بن هشام يكرمهما في عسكره ، فانتهى الى حمص بعد الفطر بيومين والكلبية فيها

(١١٩) الطبرى حـ ٨ ص ١٣٢ ـ ٣ ، ١٣٦ ـ ٧ رواية ابى مخنف ، ص ١٤٤ وما بعدها رواية ابى مخنف ، ١٨٠ رواية محمد بن سلام الجمحي ، ص ٢٤٩ وما بعدها ، حـ٩ ص ٢ وما بعدها ، ٢٢ رواية احمد بن زهير عن على بن محمد ، ٢٣ : ٦ رواية احمد عن على ، ص ٤٤ : ٨ ، ٥٤ ـ ٥ رواية احمد بن زهير عن عبد الوهاب ابن ابراهيم، ابن الأثير حـ ٥ ص ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٨ وما بعدها ، ٥٠ ، ٨٦ وما بعدها ، ١١١ وما بعدها ،١١٦ : ٨ ، ١٢٤ ، ١٢٩ ـ ١٣٠ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ترجمة دكتور ابى ريدة ص ٣٠٢ : ٣١٢ ، ٣١٦ : ٣٢٥ ، ٣٤٠ : ٣٦٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ص ٤٨ : ٥٠ ، دكتور ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ص ٢٧٢ : ٦ ، ٢٨١ ، ٣١٠ ، ٣١٥ .
Brockelmann : Hist. of Isl. Peop. pp. 93, 96, 99: 101

قد ردموا أبوابها من داخل وهو على عدة معه روابطه ... فناداهم مناديه: ما ذعاكم الى النكث ؟ قالوا : فانا على طاعتك لم ننكث ،فقال : فان كنتم على ما تذكرون فافتحوا ، ففتحوا الباب » ، فاقتحم جيش مروان ودار القتال في داخل المدينة وخارجها « فقتل عامتهم وأفلت الأصبغ والسكسكى ، وأسر ابناه فى نيف وثلاثين رجلا فقتلهم مروان، وهدم من حائط مدينتها نحوا من غلوه » . وى الوقت نفسه اشتعلت ثورة فى دمشق فى الغوطة. لـكن ثبت أهل دمشق نفسـها مع واليهم زامل بن عمرو ، ووجه اليهم مروان من حمص أبا الورد بن الكوثر بن زفر بن الحارث واسمه مجزأة وعمرو بن الوضـاح ـ وكان له بلاء فى اخمـاد فتنة حمص ـ فى عشرة آلاف ، فهزموا الثـائرين وحرقوا **المزة من قرى اليمـانية** وقتل يزيد بن خالد القسرى قائد الثورة . ثم شخص أبو الورد بعد ذلك للقضاء على رأس الفتنة فى فلسطين ، فهزمهم ودل على ثابت رجل من قومه . « واستقامت لمروان الشام كلها ماخلا تدمر » ـ **وهى المقر الأساسى لكلب**، فتوجه اليها مروان بنفسه ، « ومضى بمن معه فنزل القسطل من أرض حمص مما يلى تدمر بينهما مسيرة ثلاثة أيام ، وبلغه انهم قد عوروا ما بينهم وبينها من الآبار وطموها بالصخر فهيأ المزاد والقرب والأعلاف والابل فحمل ذلك له ولمن معه ، فـكلمه الأبرش بن الوليد وسـليمان بن هشـام وغيرهما وسألوه أن يعذر اليهم ، فأجابهم الى ذلك » . واسـتطاع الأبرش أخيرا أن ينجح فى مهمته ، فأقنع أهـل تدمر بمبايعة مروان « فأجابه عامتهم وهرب من لم يثق به منهم الى برية كلب » وكتب مروان الى الابرش ليهدم حائط مدينتهم وينصرف اليه ومعه رءوسهم ، « وانصرف مروان بهم على طريق البرية على سورية ودير اللثق حتى قدم الرصافة ومعه سليمان ابن هشام وعمه سـعيد بن عبد الملك واخوته جميعا وابراهيم المخلوع وجماعة من ولد الوليد وسليمان ويزيد . ثم شخص الى الرقة ، فاستأذنه سليمان أن يقيم أياما ليقوى من معه من مواليـه ويجم ظهره ثم يتبعه ـ فأذن له . ومضى مروان فنزل عند واسط على شاطىء الفرات فى عسكر كان ينزله ، ثم مضى الى قرقيسيا وابن هبيرة بها ليقدمه الى العراق لمحاربة الضحاك بن قيس الشيبانى الحرورى » .

ولكن فتنة الشام لم تكن قد انتهت بعد حتى يتفرغ مروان للعراق والخوارج ، فان اليمـانية لا تريد أن تستسلم ، فأقبلت تنقض معسـكر مروان من داخله وتنتزع **سليمان بن هشام** من ركاب الخليفة لتوليه قائدا على ثورتها الجديدة .وكان سليمان بن هشام « قد قضى كل صباه فى حروب الروم وكان أحب شيء اليه أن يكون فى ميدان القتال على رأس جنوده ،

وكان الذكوانية هم الحرس الذى يحميه » ، وقد وقف أمام مروان من قبل دفاعا عن ابراهيم بن الوليد ، وهو يقف الآن ضد مروان مرة أخرى « فأقبل نحو من عشرة آلاف ممن كان مروان قطع عليهم البعث بدير أيوب لغزو العراق مع قوادهم حتى جاءوا الرصافة فدعوا سليمان الى خلع مروان ومحاربته وقالوا : أنت أرضي منه عند أهل الشام وأولى بالخلافة فأجابهم · **وخرج اليهم باخوته وولده ومواليه الى قنسرين ، فكاتب أهل الشام فانفضوا اليه من كل وجه وجند · وأقبل مروان بعد أن شارف قرقسياء منصرفا اليه**،وكتب الى ابن هبيرة يأمره بالثبوت فى عسكره فى دورين حتى نزل معسكره بواسط · واجتمع من كان (بالهنى) من موالى سليمان وولد هشام فدخلوا **حصن الكامل** بذراريهم فتحصنوا فيه وأغلقوا الابواب دونه » فخشى مروان على مؤخرته فحذر من دخلوا الحصن من التعرض لجنده ـ فوعدوه بأنهم سيكفون ، ولكنهم لم يحترموا عهدهم « فجعلوا يخرجون من حصنهم فيغيرون على من اتبعه من أخريات الناس وشذاذ الجند فيسلبونهم خيولهم وسلاحهم···واجتمع الى سليمان نحو من سبعين الفا من أهل الشام والذكوانية وغيرهم ، وعسكر فى قرية لبنى زفر يقال لها **خساف من قنسرين** من أرضها » · وهزم سليمان فى هذه الجولة أيضا ، وأسر السكسكى **وظهر فى هذه المعركة بعض الصقالبة الذين كانوا فى اقليم الثغور والعواصم فالمراجع الاسلامية تتحدث عن مبارزة « فارس من فرسان انطاكية يقال له سلساق قائد الصقالبة** » · وقد قتل فى هذه المعركة ما ينيف على ثلاثين الفا كما يروى الطبرى ، وقتل ابراهيم ابن سليمان أكبر ولده · ودارت جولة أخرى فى **حمص** ، اذ مضى سليمان مفلولا اليها · أما مروان فلم ينس حصن الكامل الذى نكث به نزلاؤه من موالى سليمان وولده هشام ، فنصب عليهم المجانيق حتى استسلموا « واحتملتهم أهل الرقة فآووهم وداووا جراحاتهم وهلك بعضهم وبقى أكثرهم » ـ وهكذا وجد أعداء مروان من يعطف عليهم فى الجزيرة حصن مروان الحصين ·

ثم اتجه مروان الى سليمان وقد تبايع أنصاره على الموت فى حمص، فلما اقترب مروان فر سليمان الى تدمر ومنها الى الكوفة ، وبقى الجيش فى حمص بقيادة أخيه سعيد · وقد أراد الثائرون أن يأخذوا مروان على غرة « وبلغه خبرهم وما كان منهم فتحرز وزحف اليهم فى الخنادق على احتراس وتعبية ، فراموا تبييته فلم يقدروا · فتهيأوا له وكمنوا فى زيتون ظهر على طريقه فىقرية تسمى **تل منس** من جبل السماق ، فخرجوا عليه وهو يسير على تعبية فوضعوا السلاح فيمن معه وانتبذ لهم ونادى

خوله فثابت اليه من المقدمة والمجنبتين والساقة ، فقاتلوهم » • وأسر فارس من بني سليم ورجل من بنى تميم أحد كبار الثائرين وهو السكسكى ، وحاصر مروان حمص حصاره الثاني وكان حصارا طويلا بلغ عشرة أشهر « ونصب عليها نيفا وثمانين منجنيقا فطرح عليهم حجارتها بالليل والنهار ، وهم في ذلك يخرجون اليه كل يوم فيقاتلونه ، وربما بيتوا نواحي عسكره وأغاروا على الموضع الذي يمعون في اصابة العورة والفرصة منه ، فلما تتابع عليهم البلاد ولزمهم الذل سألوه أن يؤمنهم على أن يمكنوه من سعيد بن هشام وابنيه » • **وقد هدم مروان أسوار حمص وبعلبك ودمشق وبيت المقدس وغيرها من مدن الشام الكبرى ، الا انطاكية** فانه لم يهدم أسوارها وقد كان أغلب أهلها نصارى ، ويدل ما هدم مروان من أسوار على أنه قد لاقى مقاومة من هذه المدن • وأخيرا « كان مروان قد انتهى من اخضاع الشام سنة ١٢٨هـ ـ ٧٤٦م فوقعت ممزقة تحت قدميه (١٢٠) » •

الخوارج بالجزيرة :

ظلت حركة الخوارج قوية **في نواحي الموصل بين بني شيبان وسائر آل بكر** ، وتكاد أن تكون جميع ثورات الخوارج التى حدثت في العصر الأموى قد خرجت من الموصل ومن آل بكر • وفى سنة ١٠٠ هـ فى خلافة عمر بن عبد العزيز ـ خرج **شوذب واسمه بسطام من بني يشكر بجوخى في ثمانين فارسا أكثرهم من ربيعة** ، وكانت سياسة عمر تجرى على مسالمة الخوارج ان لم يسفكوا دما أو يفسدوا في الأرض والاعذار فى مناقشتهم واقامة الحجة عليهم ، ولما مات عمر عاد الخوارج الى الثورة ، فقاتل عبد الحميد بن عبد الرحمن بن يزيد بن الخطاب شوذب سنة ١٠١ فانتصر الخوارج حتى بلغوا أخصاص الكوفة • فلما دخل الكوفة مسلمة ابن عبد الملك فى جيش أهل الشام شكى اليه أهلها مكان شاذب فأرسل اليهم جيشا عليه سعيد بن عمرو الحرشي فتفوق اولخارج أولا ثم انهزموا وقتل شوذب • وفى أيام هشام خرج **بهلول بن بشر** سنة ١١٩ هـ ـ الملقب كثاره ـ وهو م نالموصل من شيبان وكان مشهورا بالبأس ،

---

(١٢٠) الطبرى حـ ٩ ص ٥٥ : ٧ ، ٦٢ : ٤ ، رواية احمد عن عبدالوهاب بن ابراهيم ، ابن الأثير حـ ٥ ص ١٣٢ : ٤ ، اليعقوبى حـ ٣ ص ٧٦ ـ ٧ ، ابن العديم . زبدة الحلب حـ ١ ص ٥٠ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ترجمة دكتور ابى ريدة ص ٣٦٥ : ٨ ، دكتور ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية حـ ٢ ص ٣١٦ •
Brockelmann : Hist. of Isl. Peop. p. 101.

واجتمع هو وأصحابه فى قرية من قرى الموصل وكان خالد القسرى عندئذ هو والى هشام على العراق • وقد انتصر بهلول مرتين على الجند الذين أرسلوا لقتاله ، ثم أراد أن يتجه الى الشام فارتحل يريد الموصل، « وخاف عمال هشام موجدته ان تركوه يجوز على بلادهم حتى ينتهى الى الشام ، فجند له خالد جندا من أهل العراق وجند له عامل الجزيرة جندا من أهل الجزيرة ووجه اليه هشام جندا من أهل الشام • فاجتمعوا بدير بين الجزيرة والموصل ، وأقبل بهلول حتى انتهى اليهم ـ ويقال التقوا **بالكحيل** دون الموصل » • وتكاثر جنود الدولة على بهلول فقتلوه كما قتل من استخلفه **عمرو اليشكرى** ـ كذلك خرج الصحارى **ابن شبيب** (وهو شبيب المشهور) فى ثلاثين رجلا من آل بكر فى حبل فى سهل الدجلة وفشلت حركته وقتل •

ثم اتخذت حركة الخوارج أسلوبا آخر عند تداعى الدولة الاموية اذ **انقلبت تلك الحركة الى ثورة شاملة كما يقول فلهوزن** • وبعد أن كانت قلة العدد طابع جيوشهم أصبحوا يقاتلون بحشود قوية «وتضخمت جماعتهم وصاروا يقبلون كل من ينضم اليهم ليعينهم على تحقيق أغراضهم ولم يطردوا حليفا أراد أن يقاتل فى صفوفهم ••• **وقد بدأت الحركة فى ارض الجزيرة وهى الولاية التى كانت بمثابة وطن لمروان ، لكنها لم تبدأ بين قيس فى الجنوب بل بين ربيعة فى الشمال،** وكانت ربيعة من قبل متباعدة دائما بعض التباعد عن بقية العرب المسلمين خصوصا عن مضر منافسيهم القدماء » • وحين قتل الوليد بن يزيد خرج بالجزيرة حرورى يقال له **سعيد بن بحدل الشيبانى** فى مائتين من أهل الجزيرة فيهم الضحاك « فاغتنم قتل الوليد واشتغال مروان بالشام فخرج بأرض كفر توثا ، وخرج بسطام البيهسى وهو مفارق لرأيه فى مثل عدتهم من ربيعة ، فسار كل واحد منهما الى صاحبه • فقتل بسطام ومن معه الا أربعة عشر لحقوا بمروان فأثبتهم فى روابطه وولى عليهم رجلا منهم ، ومضى سعيد بن بحدل نحو العراق لما بلغه من تشتت الأمر بها واختلاف أهل الشام وقتال بعضهم بعضا • **وكانت اليمانية من أهل الشام مع عبد الله بن عمر بالحيرة ، والمضرية مع ابن الحرشى بالكوفة فهم يقتتلون فيها بينهم غدوة وعشية** » ومات سعيد بالطاعون أثناء الطريق فخلفه **الضحاك بن قيس الشيبانى** •

واجتمع مع الضحاك نحو ألف ومر بأرض الموصل فاتبعه منها ومن أهل الجزيرة نحو من ثلاثة آلاف ، كما انحاز اليه الخوارج فى أرمينية

وأذربيجان، **وخرج سليمان بن هشام بعد يوم خساف فانضم الى الضحاك**.
فلما دنا الضحاك من الكوفة اصطلح ابن عمرو الحرشي وخندقا على الكوفة ومعهما من أهل الشام نحو من ثلاثين ألفا لهم قوة وعدة ، ومعهم قائد من أهل قنسرين جاء مددا من مروان اسمه عباد بن الغزيل فى ألف فارس . وانتصر الخوارج سنة ١٢٧ هـ سنة ٧٤٥ م « فاستولى الضحاك والجزرية على الكوفة وجبوا السواد » ـ كما تروى الحوليات . ولحق ابن عمر بواسط وتوجه الحرشى الى الشام ، وقد اتبعه الضحاك وحاصره . وبرز فى قتال الخوارج منصور ابن جمهور ، لكنه كان أول من جنح اليهم وقبل مقالتهم فى الدين . **وكاتب أهل الموصل الضحاك** ودعوه أن يقدم فيمكنوه منها ، فاستولى الضحاك على الموصل وكورها فبلغ مروان بن محمد خبره وهو محاصر حمص ، فكتب الى ابنه عبد الله خليفته بالجزيرة يأمره أن يسير معه من روابطه الى نصيبين فيشغل الضحاك عن توسط الجزيرة ولكنه فشل فى مهمته لتفوق قوات الضحاك ، وكان ممن يعين الضحاك فى حملاته بذر الذكوانى مولى سليمان بن هشام الذى لم ينس حروب مولاه مع مروان ، وقد وجهه الضحاك مع عبد الملك بن بشر التغلبى فى قوة الى الرقة فقاتلهم من بها من خيل مروان ، واستطاع مروان أن ينجد الحامية المدافعة عن الرقة فلم تسقط المدينة . كذلك **كان مع الضحاك مهاجرة كلب ومغامروهم** . واستطاع مروان أخيرا أن يقهر حمص ، فمضى صامدا الى الضحاك فالتقى الجيشان عند كفر توثا وقتل الضحاك فى المعركة وقد ستر ظلام الليل شخصيته فلم يعرف مقتله الا بعد ذلك .
وبايع أهل عسكره **الخيبرى** « وسليمان بن هشام يومئذ فى مواليه وأهل بيته مع الخيبرى ، وقد كان قدم على الضحاك وهو بنصيبين فى أكثر من ثلاثة آلاف من أهل بيته ومواليه فتزوج فيهم أخت شيبان الحرورى الذى بايعوه بعد مقتل الخيبرى » . وهكذا واصل سليمان بن هشام مغامراته الحربية التى لا تنتهى .

وجدد الخوارج الهجوم على مروان حتى فر بعد أن أدركوه فى قلب جيشه . ووصل الخيبرى الى معسكر قيادته . ولكن ميمنة مروان وميسرته ثبتا فى القتال ، ولما رأى جنده قلة من مع الخيبرى وثب اليه عبيد بعمد الخيام « فقتلوا الخيبرى وأصحابه جميعا فى حجرة مروان وحولها ، وبلغ مروان الخبر وقد جاز العسكر بخمسة أميال أو ستة منهزما فانصرف الى عسكره ورد خيوله عن مواقفها وبات ليلته تلك فى عسكره . فانصرف أهل عسكر الخيبرى فولوا عليهم شيبان وبايعوه ، **فقاتلهم مروان بعد**

ذلك بالكراديس وابطل الصف منـذ يومئذ » • وكان مقتل الخيبرى فى أواخر سنة ١٢٨ هـ ٧٤٦ م •

وكان لا يزال للخـوارج جيش فى ربعـين ألف رجـل ، قادهـم **شيبان بن عبد العزيز اليشكرى المكنى أبو دلف (الدلفـاء)** • وأبدى سليمان بن هشام الذى ضرسته الحـــروب رأيه فى قتـــال الخوارج فقــال « ان أحدكم يظفر ثم يستقتل فيقتـل ، فانى أرى أن ننصرف على حاميتنا حتى ننزل الموصل فنخندق » • ففعـلوا ، والخوارج فى شرقى دجلة وقد تبعهم مروان فعسكر بازائهم ، فاقتتلوا تسـعة أشهر ، ويزيد ابن عمر بن هبيرة بقمقيسيا فى جند كثيف من أهل الشام وأهل الجزيرة ــ فأمره مروان أن يسـير الى الكوفة . ولم يتزحزح الخوارج عن موقفهم على نهر الدجلة الا بعد أن فقدوا سيادتهم على العراق • وكان عامل مروان الذى انتزع العراق من يد الخوارج وجعـل مقامهم على الدجلة مستحيلا **هو يزيد بن عمر بن هبيرة من قيس قنسرين** ، وقـد سـار من قرقيسيا وتتابعت انتصاراته على الخوارج فى عين التمر والنخيلة والصراة ودخل الـكوفة سـنة ١٢٩ هـ ٧٤٧م • وجاء عامر بن ضـبارة المرى على رأس جيش ، فوجه اليه شيبان المقاتلين فهزمهم ابن ضبارة بالسن دون الموصل « فلما قدم أشار عليهم سليمان بالارتحال عن الموصل ، وأعلمهم أنه لامقام لهـم اذ جاءهم ابن ضبارة من خلفهم وركبهـم مروان من بين أيديهـم ، فارتحلوا فأخذوا على حلوان الى الأهواز وفارس ••• ووجه مروان الى ابن ضـبارة ثلاثة نفر من قواده فى ثلاثين ألفا من روابطه ، وكتب اليه يأمره أن يتبعهم ولا يقطع عنهم حتى يبيرهم ويستأملهم فلم يزل يتبعهم حتى وردوا فارس وخـرجوا منهـا وهـو فى ذلك يستسقط من لحق من اخرياتهم فتفرقوا ، وأخذ شيبان فى فرقته الى ناحية البحرين فقتل بها ، وركب سليمان فيمن معه من مواليه وأهل السفن الى السند (١٢١) » •

***

---

(١٢١) الطبرى حـ ٨ ص ١٣١ رواية محمد بن عمر وأبى عبيدة معمر بن المثنى ، ٢٤٢ : ٤ رواية أبى عبيده معمر بن المثنى ، ٧٦ : ٨٢ رواية أبى مخنف واحمد بن زهير عن عبد الوهاب بن إبراهيم عن أبى هاشم مخلد بن محمد ، حـ ٩ ص ٥٧ : ٦٢ رواية أبى هاشم مخلد بن محمد ، ابن الاثير حـ ٥ ص ١٨ ، ٢٠ ، ٨٢ ، ٤ ، ١٣٥ ــ ٦ ، ١٤٠ : ٣ ، اليعقوبى حـ ٣ ص ٧٦ ــ ٧ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ــ ترجمة دكتور أبى ريدة ص ٣٧٢ : ٨٠ ، الخوارج والشيعة ترجمة دكتور بدوى . ص ١٢٨ : ١٢٦ ، دكتور ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية حـ ٢ ص ٢٧٦ ــ ٧ ، ٢١٨ ، Brockelmann : Hist. of Isl. Peop. p. 102.

وكانت **حركات الشيعة** تمتد أيضا الى أرض الجزيرة والموصل . فحين خرج **زيد بن علي بن الحسين بن علي** بتأثير الشيعة « أقام بالكوفة وأرسل الى أهل السواد وأهل الموصل رجالا يدعون اليه » ، وقد هزم زيد في النهاية بعد أن كان موفقا في بداية القتال سنة ١٢٢هـ/٧٤٠م وقطعت رأسه ، وفر ابنه يحيى الذى ظل يتنقل من مكان الى مكان حتى قتل سنة ١٢٥هـ في عهد الوليد بن يزيد وهو يحارب من كانوا فى طلبه.

وكانت آخر ثورة للشيعة فى عهد الأمويين هى التى قام بها **عبد الله ابن معاوية حفيد جعفر ابن ابى طالب** ، اذ انتهز شيعة الكوفة فرصة موت يزيد الثالث واضطراب شئون الخلافة وبايعوه ، وثبتت ربيعة والزيدية بجانب ابن معاوية فى القتال سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م ، فاستطاع الانسحاب مارا بالمدائن وتزايد نفوذه في فارس « وجاء آخرون من بنى أمية وبنى العباس ممن لم يأمنوا على أنفسهم فى أوطانهم فاستتروا تحت جناحه ، **وهكذا قامت فجاة فى المشرق الذى لم يكن له سيد دولة شاسعة من الدول السريعة الزوال وهذا من العلامات التى كان يتميز بها ذلك العصر كما يقول فلهوزن** ... وقد فر منصور بن جمهور بعد هزيمة الخوارج وكان قد ظاهرهم مع أصحابه من كلب الى بلاد عبد الله بن معاوية ، كما تقهقر الخوارج - الذين طردهم مروان من الموصل - الى هناك فارتفع شأن ابن معاوية بحكم هذه الظروف حينا فقد **اجتمع اليه الشيعة والخوارج وكلب والعباسيون والأمويون** الساخطون ، وقد بدا أن كل الفوارق فى هذه الكتلة المتعصبة الموالية لمروان قد تلاشت . ولكن لم يمض وقت طويل حتى تفرقت هذه الفلول المختلفة التى ألفت بينها الضرورة ولم تحتمل الحياة معا » . وكان ممن انضم الى هذا الخليط العجيب الذى يصوره فلهوزن المحارب المغامر سليمان بن هشام ، ولكن استطاع مروان فى آخر الأمر أن يدمر هذا التجمع الشاذ وانهارت دولة ابن معاوية سنة ١٣٠ هـ ، وتابع الفرار حتى قتله بعد أبو مسلم الخراسانى (١٢٢) .

وهكذا كان مروان كلما رقع رتقا انفتق آخر وقد حاول أن يوطد

---

(١٢٢) الطبرى حـ ٨ ص ٢٦٠ وما بعدها رواية الهيثم بن عدى وابى مخنف ، ٣٠٠ - ١ رواية أبى مخنف ، حـ ٩ ص ٤٨ : ٥٢ رواية أبى مخنف ، وأبى عبيدة معمر بن المثنى ، ٩٣ : ٥ رواية على بن محمد ، ابن الأثير حـ ٥ ص ٩٠ وما بعدها ١٠٧ - ٨ ، ١٣٠ : ٢ ١٤٩ : ١٥١ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ترجمة دكتور ابى ريدة ص ٣٢٥ : ٧ ، ٣٦٩ : ٣٧١ ، الخوارج والشيعة ترجمة دكتور بدوى ص ٢٥٦ : ٢٦٤ ، د . ماجد التاريخ السياسي للدولة العربية حـ ٢ ص ٢٨٢ : ٤ ، ٣١٦ - ٧ ، Brockelmann : Hist. of Ist. Peop. p. 101.

سيادته في العراق فأرسل النضر بن سعيد الحرشي ليوجه عبد الله ابن عمر بن عبدالعزيز الذي كان يعتمد على قبائل اليمانية ، فاذا بالواليان المتنافسان يتصارعان . وما كاد يفيق مروان من فتن الشام حتى واجهته ثورات الخوارج فى الجزيرة والموصل.ثم كان عليه اخيرا ان يدك هذه الجزيرة من المتمردين التى طغت فوق بحر دولته وتجمعت رواسبها حول ابن معاوية ، وتأرجح جند الشام فوق بركان من الفتن وقد أتعب مروان ابن محمد جيشه فى الخوارج ، فى حين « ظلت مكاتبة نصر بن سيارمروان واعلامه ما هو فيه واظهار أمر العباسية وتزايده » ، ولما وصل الى مروان النذير الأخير « وجده مشتغلا بحرب الخواج فى الجزيرة (١٢٣) » .

الدعوة العباسية :

كانت البداية الباكرة لتحرك العباسيين الايجابى يوم وجه محمد ابن على بن عبد الله بن عباس رسله من أرض الشراه من أعمال البلقاء بالشام الى العراق وخراسان سنة ١٠٠هـ فى خلافة عمر بن عبد العزيز. وظلت الدعوة العباسية تتقدم فى خلال الاعوام الاخيرة من حكم الامويين الذين مزقت جهودهم الخلافات والعصبيات ، وبرز أبو سلمةالخلال وأبو مسلم الخراسانى ، واستطاع الاخير أن يقضى على ابن معاوية حفيد جعفر ابن أبى طالب . وانشغل مروان بقتال الخوارج عن تلبية نداء واليه نصر بن سيار الذى استنجد به لمواجهة خطر هذه الدعوة الجديدة فى خراسان ، كما عجز يزيد بن عمر بن هبيرة عن ايقاف الزحف العباسى على العراق .

وبويع السفاح بالخلافة سنة ١٣٢ هـ سنة ٧٤٩م ، وكان مقدارا لأرض الجزيرة وما يليها أن تشهد الموقعة الفاصلة التى تنهى حكم الأمويين ، كما شهدت من قبل المعركة التى آذنت بميلاد دولتهم فى صفين . فقد اتى مروان من حران الى رأس العين فالموصل فنزل على دجلة وحفر خندقا ، وكان مروان فى قبائل قضاعة وبنى سليم والسكاسك والسكون ، يواجه جيشا جمعه العباسيون من أطراف بلاد الفرس وعلى رأسه عبد الله بن على عم السفاح وقد سبقه أبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدى . ووقعت المعركة على ضفة **نهر الزاب الكبير قرب الموصل** فى جمادى الآخرة سنة ١٣٢ هـ يناير ٧٥٠م ، وكان العباسيون يعبرون على مخاضة الى معسكر مروان فيقاتلونه ، كما عقد مروان جسرا وسرح ابنه

---

(١٢٣) المسعودى : مروج الذهب حـ ٢ ص ٢٠٢ ، دكتور الخربوطلى : تاريخ العراق فى ظل الحكم الأموى ص ٢٠٦ .

عبد الله ليحفر خندقا أسفل معسكر العباسيين فيقطع عليهم خط الرجعة • وتبادل الفريقان القتال وكانت كفة مروان في أول الأمر هي الراجحة ، **ولكن الهزيمة القبيحة جاءت من ان قيسا لم تشأ ان تقاتل دون قضاعة** « وقال مروان لقضاعة : انزلوا ، فقالوا: قل لبني سليم فلينزلوا، فأرسل الى السكون أن احملوا فقالوا : قل لغطفان فليحملوا ••• ثم انهزم أهل الشام وانهزم مروان ، وقطع الجسر فكان من غرق يومئذ أكثر من قتل » •

وسار مروان الى **حران** قاعدته ومستقره ، فلما دنا عبد الله بن علي حمل أهله وولده ومضى منهزما فمر **بقنسرين** وعبد الله متبع له، وشمتت **حمص** في من حاصرها مرتين حين مر بها مروان وقالوا : مرعوب منهزم• **وولى عبدالله بن على الولاة فى طريقه : فولى الموصل محمد بن صول وولى منبج ابا حميد المروروذى وبعث اليه أهل قنسرين ببيعتهم** قبل أن يصلهم وأخيرا وصل عبد الله بن علي الى دمشق ، وقدم عليه عبد الصمد بن علي وصالح بن علي مددا وحصروا أهل دمشق والبلقاء حتى اقتحموها •وظل مروان يجتاز البلدان في فلسطين فالاردن والناس يثبون به لما رأوا من ادبار الامر عنه « قال الدينوري : جعل مروان يستقري مدن الشام فيستنهضهم فيروغون عنه ويهابون الحرب ، فلم يسر معه منهم الا قليل »• وبلغ مروان نهر أبي فطرس قرب الرملة، ولما اقترب مطاردوه هرب الى ساحل مصر • وأرسل عبد الله بن علي في اثره اخاه صالحا ، فتعقبه حتى بوصير واستطاع المطاردون أن يستدلوا عليه وأحاطوا به في النهاية فقتلوه وظفر العباسيون بابنه عبد الله في عهد المهدي وكان مستخفيا بالشام • وعند أبي فطرس قتل عبد الله بن علي حوالي ثمانين من بني أمية بعد أن أمنهم ، ونبشت قبور موتاهم في دمشق ودابق والرصافة وقنسرين ، وقد قاومته واسط بعض الوقت ولكنها سقطت بعد حصار أحد عشر شهرا • واستغل العباسيون الخلافات القديمة بين القيسية واليمانية في حاميتها « فقالت اليمانية : لا نعين مروان وآثاره فينا آثاره ، وقالت النزارية : لا نقاتل حتى تقاتل معنا النزارية • وكاتب أبو العباس اليمانية من أصحاب ابن هبيرة وأطمعهم » .

وهكذا انتهى مصير مروان الذي لم يكل لحظة في محاربة خصومة والثبات أمام الفتن والأحداث ، ولم يستطع الخليفة الذي ثبت أمام فتن الشام وحروب الخوارج بالجزيرة والعراق وغلب ابن معاوية حفيد جعفر ابن أبي طالب في فارس أن يصمد لهذه الداهية القادمة من خراسان •

ويروى انه حين ضاق به الأمر وخذلته رعيته وغلب عليه خصومه ، كان من رأيه أن **يقطع الدرب وينزل بعض حصون الروم ويكاتب ملكها** ويستوثق منه ويجمع عليه رجاله وشيعته من البلاد الى أن يرتىء فى أمره « فقد فعل ذلك جماعة من ملوك الأعاجم ، وليس هذا عارا بالملوك ، فلا يزال يأتينى الخائف والهارب والطامع فيكثر من معى ، ولا أزال على ذلك حتى يكشف الله أمرى وينصرنى على عدوى» ! ويذكر المسعودى ان أحد مشيريه نهاه عن ذلك ونصحه بشيء آخر « .. ولكن اقطع الفرات ، ثم استنفر الشام جندا جندا ــ ولك فى كل جند صنائع يسيرون معك، حتى تأتي مصر ، فانها أكثر أرض الله خيلا ومالا ورجالا ، ثم الشام أمامك وافريقية خلفك (١٢٤) » . وقد نجح في الوصول الى المغرب والأندلس بالفعل عبد الرحمن بن معاوية حفيد هشام . ونحن نتساءل : هل كان من الممكن أن يلجأ مروان حقا الى الروم وهو صاحب البلاء المجيد في جهاد أعداء الدولة فى الخوارج قبل أن تشغله مشكلات الداخل ؟ وهل كان من الممكن أن تصل الهزيمة النفسية بمروان الى هذا الحد بعد أن دمرته الهزيمة العسكرية ؟

***

كان مروان قد بنى الخصوص شرقى جيحان بجوار **المصيصة** ولم يغفل عن تحصينها « وبنى عليها حائطا وأقام عليها باب خشب وخندق خندقا » ، وقد أسكنها فرسا وصقالبة وانباطا ونصارى ، وهو الذى رتب الصقالبة في الثغور . ولكنه حين انشغل بمحاربة أهل حمص سنة ١٢٨ هـ / ٧٤٥ م « خرجت الروم وحصرت مرعش حتى صالحهم أهلها على الجلاء فخرجوا نحو الجزيرة وجند قنسرين بعيالاتهم ثم اخربوها ، وكان عامل مروان عليها يومئذ الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابى ، وكان الطاغية يومئذ قسطنطين ابن اليون . ثم لما فرغ مروان من أمر حمص وهدم سورها ، بعث جيشا لبناء مرعش فبنيت ومدنت » . وتذكر الحوليات الاسلامية غزوة الصائفة بقيادة الوليد بن هشام سنة ١٣٠ هـ

---

(١٢٤) الطبرى حـ ٩ ص ١٣٠ : ٧ رواية على بن محمد ، احمد بن زهير عن عبد الوهاب ابن ابراهيم عن ابى هاشم مخلد بن محمد ، ص ١٤٢ رواية على بن محمد ، حـ ٩ ص ٣٣٨ ، ابن الأثير حـ ٥ ص ٢١ ــ ٢ ، ١٦٩ : ١٧٤ ، ١٧٧ : ١٨٠ ، حـ٦ ص ٢٠ ، اليعقوبى : حـ ٢ ص ٨٣ ، ٩١ ــ ٢ ، المسعودى : مروج الذهب حـ ٢ ص ٢٠٥ : ٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب حـ ١ ص ٥٣ ــ ٤ ، كرد على : خطط الشام حـ ٢ ص ١٦٠ ــ ١ دكتور ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية حـ ٢ ص ٢٣٤ : ٧ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ــ ترجمة دكتور ابى ريدة ص ٥١٨ : ٥٢٤ ،
Brockelmann : Hist. of Isl. Peop. 105-6.

• فنزل العمق وبنى حصن مرعش » • وكانت الفتن المتلاحقة قد جرأت الروم على الثغور وتعرضت **دلوك** ايضا لهجوم الروم • وتكررت مهاجمة مرعش سنة ١٢٩ هـ سنة ٧٤٦ م بعد تجديدها كما هوجمت زبطرة وكانت « حصنا قائما الى أن اخربته الروم فى أيام الوليد ابن يزيد ، فبنى بناء غير محكم فاناخت الروم عليه فى أيام فتنة مروان ابن محمد فهدمته » • وهاجم الروم **ملطية** سنة ١٣٣ هـ سنة ٧٥١ م وحصر قسطنطين من فيها « والجزيرة يومئذ مفتونة ، وعاملها موسى بن كعب بحران فوجهوا رسولا لهم اليه فلم يمكنه اغاثتهم ، وبلغ ذلك قسطنطين فقال لهم : ياأهل ملطية انى لم آتكم الا على علم بأمركم وتشاغل سلطانكم عنكم ، انزلوا على الامان واخلوا المدينة واخربها وامضى عنكم ، فابوا عليه فوضع عليها المجانيق • فلما جهدهم البلاء واشتد عليهم الحصار سألوه أن يوثق لهم ففعل ، ثم استعدوا للرحلة وحملوا ما استدق لهم والقوا كثيرا مما ثقل عليهم فى الآبار والمخابى ، ثم خرجوا وأقام لهم الروم صفين من باب المدينة الى منقطع آخرهم مخترطى السيوف طرف سيف كل واحد منهم مع طرف سيف الذى يقابله حتى كأنها عقد قنطرة ثم شيعوهم حتى بلغوا مأمنهم وتوجهوا نحو الجزيرة فتفرقوا فيها ، وهدم الروم ملطية فلم يبقوا منها الا هريا فانهم شعثوا شيئا يسيرا ، وهدموا حصن قلوذية » • هذه هى رواية البلاذرى ، والطبرى يذكر هجوما لقسطنطين على ملطية فى تاريخ متأخر من سنى العباسيين الاولى هى سنة ١٣٨ هـ ويتابعه فى ذلك ابن الاثير ، كما تورد رواية اخرى أن هذا الهجوم كان سنة ١٣٩ هـ.كذلك هوجمت قاليقلا وحدث مثل ذلك فى **الحدث** « فلما كان زمن فتنة مروان ، خرجت الروم فهدمت مدينة الحدث وأجلت عنها اهلها كما فعلت بملطية » ، وشاع الاضطراب فى اقليم العواصم التى تلى الثغور واخذ السكان فى اخلاء تلك الجهات وأتيحت الفرصة للنهب والسلب ، « وغلب أهل انطاكية وقنسرين على كثير من الجواميس ـ التى كانت قد وجهت الى المصيصة ـ واحتازوه لانفسهم فى أيام فتنة مروان بن محمد » واستولى الروم على المصيصة بعد قليل ، وظلت تحصينات الحدود على هذا الخراب خلال ست سنوات حتى شرع المنصور يجدد بناءها • وهكذا نجح البيزنطيون فى تدمير التنظيم الدفاعى العربى ولم يتح قط للمسلمين أن ينالوا من عدوهم الى مثل هذه الدرجة .

وفى البحر هاجم اسطول الروم سنة ١٢٩ هـ ـ ١٣٠ هـ ، سنة

٧٤٧ م **قبرص** واخذ الأسطول الاسلامى فى ميناءCeramee على غرة ولم تستطع النجاة سوى ثلاث سفن لاذت بالفرار بينما دمر الروم الباقى . وقد استفاد الروم من متاعب المسلمين الداخلية فى أواخر العهد الاموى فاسترجعوا قبرص وظلت فى أيديهم سنين عدة حتى استعادها العباسيون . .

وصارت حالة الثغور والعواصم فى آخر الدولة الأموية خاتمة أليمة لتاريخ مجيد .ويصل البلاذرى تاريخ الثغور فىعهد العباسيين بما انقطع من أمجادها أيام الأمويين فيقول :

« كانت بنو أمية تغزو الروم بأهل الشام والجزيرة صائفة وشاتية مما يلى ثغور الشام والجزيرة ، وتقيم المراكب للغزو وترتب الحفظة فى السواحل ، ويكون الاغفال والتفريط خلال الحزم والتيقظ . فلما ولى أبو جعفر المنصور تتبع حصون السواحل ومدنها فعمرها وحصنها وبنى ما احتاج الى البناء منها، وفعل مثل ذلك بمدن الثغور. ثم لما استخلف المهدى استتم ما كان بقى من المدن والحصون ، وزاد فى شحنها . قال معاوية بن عمرو : وقد رأينا من اجتهاد أمير المؤمنين هرون فى الغزو ونفاذ بصيرته فى الجهاد أمرا عظيما ـ أقام من الصناعة ما لم يقم قبله ، وقسم الأموال فى الثغور والسواحل ، وأشجى الروم وقمعهم . وأمر المتوكل على الله بترتيب المراكب فى جميع السواحل وأن تشحن بالمقاتلة وذلك سنة ٢٤٧ هـ (١٢٥) » .

---

(١٢٥) الطبرى ج ٩ ص ١١١ ، ١٧٠ ؛ ابن الأثير ح ٥ ص ١٥٩ ، ١٩٦ ، البلاذرى :فتوح البلدان ص ١٩٤ ـ ٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ١٧٥ ، ١٧٠ ، ابن العديم : بغية الطلب ـ مخطوط ـ ص ٧ ـ ٨

Cheira : La Lutte entre les Arabes et Byz. pp. 233-4, 238.

ثالثا : فى أيام الخلفاء العباسيين العشرة الاوائل من السفاح الى المتوكل

١٣٢ : ٢٤٧ هـ ــ ٧٥٠ : ٨٦١ م

سياسة العباسيين :

جاءت الدولة العباسية بسياسة أخرى فى الداخل والخارج ...

وقد بدأت بوادر هذه السياسة فى خطاب داود بن علي بالكوفة حين صعد السفاح أعلى المنبر بعد أن بويع بالخلافة وقام داود أدناه فأكمل خطاب الخليفة الذى كان موعوكا وأورد فى ثنايا قوله « انا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى اتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان ، فاحيا بهم حقنا وأفلج بهم حجتنا وأظهر بهم دولتنا ... وادالكم على أهل الشام ونقل اليكم السلطان » . واستفاد العباسيون من خلافات القبائل العربية فى خراسان التى جاءت صورة من الخلافات التى نخرت قلب الدولة الأموية بالشام . فان ابا مسلم حين توجه الى مرو « استطاع أن يؤثر على علي بن جديع الكرماني ومن معه من ربيعة وقحطان حتى نقضوا عهدهم مع نصر بن سيار وانقلبوا عليه وعلى مضر » .. وقد تتابعت العلامات الدالة على سياسة العباسيين فى الاعتماد على أهل خراسان ، فقد اصاب خازم بن خزيمة قائد السفاح وهو يحارب بسام بن ابراهيم بن بسام من فرسان أهل خراسان سنة ١٣٤ هـ ــ ٧٥٠ م ــ وكان قد أعلن تمرده فاتبعه جيش خازم فى أرض جوخى ــ أصاب اخوال بنى العباس السفاح ، فلما هم السفاح بقتل خازم دخل عليه موسى بن كعب وأبو الجهم بن عطية قائلين « ان له طاعة وسابقة وهو يحتمل له ما صنع ، فان شيعتكم من أهل خراسان قد آثروكم على الأقارب من الأولاد والآباء والاخوان » . وتولى خراسان أبو داود خالد بن ابراهيم الذهلى فوجد ستة عشر كتابا

من عيسى بن ماهان الى كامل بن مظفر صاحب ابى مسلم « يعيب فيها ابا داود وينسبه فيها الى العصبية وايثاره العرب وقومه على غيرهم من أهل الدعوة ، وأن في عسكره ستة وثلاثين سرداقا للمستأمنة » ـ كما ورد في أخبار سنة ١٣٥ هـ · ولما هلك ابو داود خلفه عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدى ، وقد أعلن هذا تمرده سنة ١٤١ هـ بعد أن غضب عليه المنصور لقتله رؤساء أهل خراسان فقال « ان عبد الجبار قد افنى شيعتنا ومافعل ذلك الا وهو يريد أن يخلع »، وقد أراد المنصور أن يحتال عليه فيسحب الجنود من خراسان ليسهل عليه طرده بعد ذلك فادعى حاجته للجنود لتوجيهها للروم ، ولكن عبد الجبار كان فطنا فأجابه أن الترك قد جاشت وان تفرقت الجنود ذهبت خراسان · فكتب اليه المنصور « ان خراسان أهم الى من غيرها » · وأوصى المنصور المهدى فقال « واوصيك بأهل خراسان خيرا فانهم انصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم في دولتك ودماءهم دونك ومن لاتخرج محبتك من قلوبهم ان تحسن اليهم وتتجاوز عن مسيئهم وتكافئهم على ما كان منهم وتخلف من مات منهم في اهله وولده » ، وتتابع الخلفاء على هذه السياسة ، فنرى المأمون يقرأ كتابا كتبه احمد بن ابى خالد الاحول كاتبه عن غسان بن عباد عامل خراسان بالاستعفاء « فقال المأمون : والله ما أعرف في المملكة الا خراسان ، وما أدرى ما حمل هذا الجاهل على الاستعفاء الا أن يكون ما رأى نفسه لها أهلا »، وكان ذلك طريقا احتال به أحمد لتوليه طاهر بن الحسين خراسان في أول سنة ٢٠٦ هـ مكان غسان · وقد قال المأمون كلاما صريحا يحدد موقفه من العرب ومن الشام « ذكر عن محمد بن على بن صالح السرخسى قال : تعرض رجل للمأمون بالشام مرارا ، فقال له : يا أمير المؤمنين انظر لعرب الشام كما نظرت لعجم أهل خراسان ، فقال : اكثرت على يا أخا اهل الشام ، والله ما أنزلت قيسا عن ظهور الخيل الا وأنا أرى انه لم يبق في بيت بيت مالى درهم واحد ـ يعنى فتنة ابن شبث العامرى ، وأما اليمن فوالله ما أحببتها ولا أحبتنى قط ، وأما قضاعة فسادتها تنتظر السفيانى وخروجه فتكون من أشياعه ، وأما ربيعة فساخطة على والله منذ بعث نبيه من مضر ، ولم يخرج اثنان الا خرج احدهما شاريا »(١٢٦)

---

(١٢٦) الطبرى حـ ٩ ص ١٢٧ ، ١٤٨ ـ ٩ ، ١٥١ ـ ٢ ، ١٧٥ ـ ٦ رواية على بن محمد ، ٣١٩ عن الهيثم بن عدى ، حـ ١٠ ص ٢٩٦ ، ابن الأثير حـ ٥ ص ١٦٨ ، ١٨٢ ـ ٣ ، ١٨٤ ـ ٥ ، ٢٠٣ ـ ٤ ، حـ ٦ ص ٧ ، ١٥٩ ، اليعقوبى حـ ٣ ص ١٨٣ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ترجمة دكتور ابى ريدة ص ٥٠١ ·

يحق لديمومبين اذن أن يقول « لقد ظهر التغير فى الاتجاه المادى والمعنوى فى الخلافة بصورة واضحة منذ صارت الخلافة الى بنى العباس ، وتجلى ذلك بنقل العاصمة من دمشق الى العراق . لقد كان للخلافة الأموية ميل لشئون البحر المتوسط ، أما الخلافة العباسية فكان وجهها الى المشرق. واذا صح ما يقال من أن البرامكة فكروا فى فتح القسطنطينية فان هذا كان اتجاها سياسيا لم يقدر له من العمر أكثر مما للبرامكة . وابتداء من القرن التاسع الميلادى أصبح موقف الخلافة سلبيا دفاعيا فيما يختص بالامبراطورية البيزنطية ، من ذلك الحين كانت الخلافة العباسية آسيوية خالصة ، وسيتجه نشاطها التجارى نحو الخليج الفارسى وبحار الهند ، وسيكون توسعها فى أراضيها ناحية آسيا الوسطى ، ولكن حتى فى هذا الاتجاه لم توفق الامبراطورية الاسلامية الى الاحتفاظ بتوازنها أو تجانسها (١٢٧) » . على أن الأمور لم تجر يسيرة هينة أمام العباسيين فى خراسان ، فقد واجهت انتقاضات متعددة هناك ، ومن ذلك فتن بسام فى عهد السفاح سنة ١٣٤ هـ / ٧٥٢ م وجمهور بن مرار العجلى سنة ١٣٨ هـ ، وعبد الجبار سنة ١٤١هـ فى عهد المنصور . وكانت الفتنة الكبرى حين قتل المنصور ابا مسلم سنة ١٣٧ هـ ، فاضطربت خراسان وغيرها من الجبال . وخرج سنباذ من قرى نيسابور يطالب بدمه (١٢٨).

وقد استفاد العباسيون فى أول حركتهم من العناصر الخطرة التى كانت تتحول اثناء حكم الأمويين الى خراسان ــ من شيعة وخوارج. ولكن ما كادت تقوم دولتهم حتى صار عليهم أن يعانوا متاعب الاضطرابات الطائفية المذهبية : من المسلمية وهم «القائلون بأبى مسلم وامامته» وقد تنازعوا فى ذلك بعد وفاته فمنهم من رأى انه لم يمت حتى يظهر فينا عدلا ، وفرقة قطعت بموته وقالت بامامة ابنته فاطمة ... » والراوندية « من أهل خراسان على رأى ابى مسلم يقولون فيما زعم بتناسخ الأرواح ويزعمون أن روح آدم فى عثمان بن نهيك وأن ربهم الذى يطعمهم ويسقيهم وهو أبو جعفر المنصور ، وأن الهيثم بن معاوية جبرائيل » ، وقد اضطرب هؤلاء الأخيرون فى المدينة الهاشمية بالكوفة فى عهد المنصور وحبس منهم

(١٢٧) Gaudefroy-Demombynes, Platonov: Le Monde Musulm. et Byz. pp. 271-2.

(١٢٨) الطبرى حـ ٩ ص ١٤٨ ــ ٩ ، ١٥٩ وما بعدها ــ رواية على بن محمد ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ــ ٦ رواية على بن محمد ، ابن الأثير حـ ٥ ص ١٨٢ ــ ٣ ، ١٨٩ وما بعدها ، ١٩٥ ــ ١٩٦ ، ٢٠٣ ــ ٤ .

جماعة فثار الباقون • ويروى ابن العديم أن خطرهم امتد الى الشام والجزيرة « فخرجوا سنة ١٤١ بحلب وحران وكانوا يقولون قولا عظيما ، وزعموا انهم بمنزلة الملائكة وصعدوا تلا بحلب ولبسوا ثيابا من حرير وطاروا منه فتردوا وهلكوا » وخرج يوسف بن ابراهيم المسمى يوسف البرم بخراسان سنة ١٦٠ هـ في عهد المهدى وقيل انه كان حروريا وخرج فى نفس الوقت تقريبا حكيم المقنع بخراسان من قرى مرو وكان يقول بتناسخ الأرواح واتخذ وجها من ذهب وادعى الألوهية • وقد كلفت مقاومته الدولة جهودا متتابعة حتى هلك ووجهت راسه الى المهدى وهو بحلب (١٢٩) • وهكذا استنفدت كثيرا من طاقة الدولة هذه الأخطار التي أثارتها الحركات الطائفية فى خراسان حيث كان يسهل اتصال تخوم الدولة الاسلامية بالأفكار الدينية والقومية فى وسط آسيا وعند الفرس والهنود ، ولم توفق الدولة العباسية الى احراز نتائج حاسمة في حملاتها ضد البيزنطيين أو ضد الخزر الأتراك فى القوقاز أو ضد الديلم على الشاطىء الجنوبى لبحر قزوين او ضد الترك فيما وراء نهر سيحون Oxus أو ضد الهنود خاصة فى مبدأ قيام الدولة (١٣٠)

«لقد انصرفت الدولة العباسية الى آسيا والشرق ، ولم تعد وجهتها هى البحر المتوسط « ونحيت الشام جانبا ، ودعمت ظروف مصر الخاصة حكامها الى العمل على استقلالها ، اما فتح القسطنطينية فلم يعد بالنسبة للخلفاء العباسيين سوى مجرد حلم مبهم من أحلام المجد • ولم تعد أساطيل البحر المتوسط تعنى كثيرا حكام بغداد • وانشغلوا بمشاغلهم الاقليمية الداخلية ولم ترجع هذه الاهتمامات الا فى القرن العاشر تحت الفاطميين » (١٣١) • ويعلق على كلمات ديمومبين هذه الدكتور مؤنس « ان انتقال الخلافة من الأمويين الى العباسيين لم يكن مجرد انتقال السلطان من بيت الى بيت ، أو انتقال العاصمة من بلد الى بلد ، بل كان نقلا للدولة الاسلامية كلها من عالم الى عالم : من عالم البحر المتوسط الى عالم آسيوى يختلف عنه من كل ناحية وكان الذين فتحوا صقلية هم بنو الأغلب ، والذين فتحوا كريت جماعة من الأندلسيين ••• ونظرت

---

(١٢٩) الطبرى حـ ٩ ص ١٧٣ : ٥ رواية على بن محمد ، ٣٣١ ، ٣٣٨ ، ٣٤٢ . ابن الأثير حـ ٥ ص ٢٠٢ ــ ٣ ، حـ ٦ ص ١٤ ، ١٦ ، ١٨ ــ ١٩ ، المسعودى : مروج الذهب حـ ٢ ص ٢٣٦ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ترجمة دكتور ابى ريدة ص٢٧٤ـ٣

(١٣٠) Breckelmann : Hist. of the Isl. Peop. pp. 111-112.

(١٣١) Gaudefroy-Demombynes, Platonov: Le Monde Musulm et Byz. p. 320.

الدولة الاسلامية الى الشواطيء على انها حدود ونهايات ينبغى حمايتها ؛ لا أبواب وثغور يمكن الاعتماد عليها فى سيادة مياه البحر والقفز منها الى ما وراء البحر من بلدان ، وهذا حال بين المسلمين وبين الاستفادة الكاملة من سيطرتهم على شواطيء البحر المتوسط الغربيه والجنوبية والشرقية ومعظم جزائره (١٣٢) »٠ومن هنا نجد فازيلييف يخطط صورة سريعة للعلاقات العربية البيزنطية فى العهد العمورى فيفرق بين الجبهة الشرقية والجبهة الغربية فى النتائج ، فقد نجحت الامبراطورية فى فى حماية ممتلكاتها تماما تقريبا ، وما حدث من تعديلات طفيفه فى خط الحدود لا يؤثر على المجرى العام للأحداث ، وكانت جهود العموريين فى هذه الناحية ذات أهمية بالغة للامبراطورية اذ ظل الأباطرة العموريون خلال ٤٧ عاما قادرين على مقاومة هجمات العرب المشارقة والمحافظه على مجموع الممتلكات البيزنطيه فى آسيا الصغرى سليمة فى حين كان الامر بالنسبة للجبهة الغربية مختلفا تماما ، اذ تحملت بيزنطة خسارة كريت وصقلية : الأولى فقدتها حتى سنة ٩٦١م فقط ، والثانية فقدتها الى الأبد ٠ كما انتقل عدد من المراكز الهامة فى ايطاليا الجنوبية الى أيدى العرب ، وان كان الجزء الذى وقع فى أيديهم لم يكون منطقة ثابتة مستقرة الى منتصف القرن التاسع الميلادى (١٣٣) ٠

وجاءت عاصمة الدولة الجديدة ـ بغداد ـ اختيارا موفقا يعبر عن السياسة الجديدة فهى اقرب الى الوجهة الآسيوية المشرقية ، بقدر ماكانت أبعد عن البحر المتوسط ، وعن القسطنطينية مما أدى بها لرسم سياسة حربية جديدة اختلفت عن سياسة دمشق ، وقد خرجت هذه السياسة الى حيز التنفيذ بصورة واضحة فى عهد الرشيد ٠ ولم تستطع الدولة البيزنطية أن تستفيد كثيرا من فترة الانتقال بين العهدين الأموى والعباسى فى استعادة ما ضاع من أراضيها، اذ انشغلت هى الأخرى بحركة محاربة الأيقونات التى مضى فيها ليو الثالث (٧١٧ : ٧٤١ م) وخلفاؤه حتى وفاة ليو الرابع (٧٧٥ : ٧٨٠ م) وجاءت ايرين وصية على ابنها القاصر قسطنطين السادس (٧٨٠ : ٧٩٧ م) الدولة البيزنطية انهماكها فى المشكلة الدينية وأقبلت تشترى السلع عن طريق المال وتقنع بتحصين الحدود من غارات الرشيد الذى تولى سنة ٧٨٦ م ـ ١٧٠ هـ ٠ ويمكن

---

(١٣٢) دكتور مؤنس : المسلمون فى البحر المتوسط ٠ المجلة التاريخية المصرية م ٤ ع ١ مايو سنة ١٩٥١ ٠

(١٣٣) Vasiliev : l'Emp. Byz. Vol. I. pp. 369-370.



تقسيم مدة الصراع ضد الأيقونات الى فترتين منفصلتين : الأولى سنة ٧٢٦ : ٧٨٠ م وتنتهى بالمجمع المسكونى السابع ، والثانية سنة ٨١٣ : ٨٤٣ م وتنتهى بارجاع العقيدة الأرثوذكسية الى حالتها الأولى .
وقد استولى اللمبارد سنة ٧٥٠م على رافنا وجميع ممتلكات الدولة الرومانية الشرقية في وسط ايطاليا ، وطلب البابا (ستيفن) المساعدة من (ببن) ملك الفرنجة بدلا من الامبراطور ، وغدت البابوية تعتمد على الفرنجة فى المستقبل . ومع ذلك فقد سجل البيزنطيون انتصارات على المسلمين ، فانتصر قسطنطين الخامس (٧٤١ : ٧٧٥ م) على المسلمين والسلاف والبلغار ، كما انتصر ليو الرابع على المسلمين سنة ٧٧٦م .
أما ايرين فقد عملت على ايقاف اضطهاد أنصار الأيقونات وأخذت تعمل على زيادة نفوذها حتى ازاحت ابنها عن طريقها سنة٧٩٧ م ـ فانتهى حكم الاسرة الايسورية . وحكمت ايرين خمس سنوات تؤرقها الثورات والمؤامرات ، وفي عهدها برز الانفصال بين روما والقسطنطينية بتتويج البابا الثالث سنة ٨٠٠ م كارل ملك الفرنجة امبراطورا رومانيا ، بعد أن مهد الطريق للانفصال النزاع حول الأيقونات ، ثم جاء جلوس امرأة على العرش تكأة لهذه الخطوة الانفصالية (١٣٤) .

كان للبيزنطيين اذن مايكفيهم من مشاغلهم الداخلية ، كما كان للعباسيين مشاغلهم فى تأسيس دولتهم وتدعيم سلطانهم . واتسمت الفترة التي انصرف فيها مجهود الدولتين الاسلامية والبيزنطية الى حل مشاكلها الداخلية بوقوع بعض المصادمات الحربية على منطقة الحدود بين الدولتين دون أن تترامى الآمال الى مشروعات حربية كبرى مثل مشروعات الخلافة الأموية ، فاهتم المسلمون والبيزنطيون بتحصين مناطق الحدود بينهما للحد من نشاط الغارات . وقد استطاع قسطنطين الخامس أن يستفيد من متاعب الدولة الاسلامية في دفع الحدود البيزنطية صوب الشرق الى ما وراء حدود آسيا الصغرى وأرمينية ، وتراجع خط الحدود الاسلامية الذى كان ممتدا من الشام الى ارمينية نتيجة لتقدم الخط البيزنطى . ولكن المنصور وخلفاءه لم يفتهم تحصين ثغور الشام وساحله، وقام الرشيد بعد استقرار امر العباسيين بهجمات على الحدود (١٣٥) .

---

(١٣٤) اومان : الامبراطورية البيزنطية . ترجمة دكتور بدر ص ١٤٩ : ١٥٦ ، د. رستم ج ١ ص ٢٩٣ ــ ٤ ، ٢٩٧ ، ٣٠٢ وما بعدها .

(١٣٥) دكتور العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ص ٧٠ ، حتى : تاريخ العرب ترجمة نافع حـ ٣ ص ٣٧٠ ، Hist. of Syria. p. 540. الترجمة العربية ج ٢ ، ترجمة د. اليازجي ص ١٦٢ ــ ٤ .

واتخذ العداء البيزنطي العربي على الحدود الشرقية صورة معارك دورية تتكرر في كل سنة تقريبا ، ويتبعها تبادل الأسرى • ووقف في الجانب الاسلامي خط تحصينات الثغور والعواصم يواجه التحصينات البيزنطية الذي كون نوعا من حدود الروم المعروفة Limes ولم تعد هجمات المسلمين المتكررة تهدد وجود الامبراطورية البيزنطية في ذاته كما كان الحال في القرنين السابع والثامن الميلاديين ، وان كانت قد تابعت أحداث الخسائر في اقاليم الحدود والاضرار بممتلكات السكان وحياتهم • واخذت الخلافة تضعف تدريجيا نتيجة للاضطرابات الداخلية وسيادة الفرس ثم الأتراك ، حتى لم يعد من معارك الحدود في القرن التاسع الميلادي شيئا ذا أهمية باستثناء القليل ، على عكس الحال بالنسبة لما واجهته الدولة البيزنطية من عمليات بحرية للعرب المغاربة في البحر المتوسط مما انتهى باحتلال كريت وجزء كبير من صقلية وعدد من المراكز الهامة في ايطاليا الجنوبية (١٣٦) •

وقد زالت بسقوط الأمويين أهمية اقليم الشام الذي كان يحتل مركزا استراتيجيا في الدولة الاسلامية ، وجنى أهل الشام حصاد خذلانهم لمروان ، فأصبحت الصدارة للعراق « وانتهت سيادة العرب بالمعنى الحقيقي التي كان يمثلها بنو أمية وأهل الشام ، وخرب وطن العرب القديم حتى صار الحج غير آمن ، وفقدت القبائل العربية مكان الصدارة وتحرر الموالي • وتراجعت العروبة الى الميدان المدني المسالم ، وصالت حضارة عالمية يشترك فيها كل المسلمين أساسها الدين ••• وصار رجحان شأن أهل شأن خراسان كحزب وجيش في خدمة بني العباس رجحانا لأمتهم وبلادهم »(١٣٧)• ولقد ذكرت الروايات من أسباب غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح بن علي الهاشمي سنة ١٨٨ هـ « انه يؤهل نفسه للخلافة ، وانه يراسل رؤساء القبائل والعشائر بالشام والجزيرة » (١٣٨) •

الدولة الجديدة : ترسي قواعدها :

السفاح (١٣٢ : ٦ هـ ـ ٧٥٠ : ٤ م)
المنصور (١٣٦ : ١٥٨ هـ ـ ٧٥٤ : ٧٧٥ م)
المهدي (١٥٨ : ١٦٩ هـ ٧٧٥ : ٧٨٥)
الهادي (١٦٩ : ١٧٠ هـ ـ ٧٨٥ـ٦ م)

(١٣٦) Vasiliev : L'Emp. Byz. Vol. I pp. 360-1.

(١٣٧) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ترجمة دكتور ابي ريدة ص ٦٢٥ : ٨ ، Brockelmann : Hist. of the Isl. Peop. p. 106.

(١٣٨) اليعقوبي حـ ٣ ص ١٥٤ •

فتن بالشام والجزيرة :

تنبه أهل الشـــام بعد هزيمة الزاب الى أن مركز الثقـل فى دولة الاســلام قد تحول عن بلادهم فيإتجـاه شرقى ، فعقدوا رجاء اخيرا على سليل لمعاوية من البيت السفيانى توقعوا ان يعود لينجيهم ، ولم يتوانوا بعد ان فقـدت بلادهم مكانتهـا عن التعـبير عن معارضتهم الشـديدة ، وأحنقتهم مقتـــلة عبد الله بن على فى الامويين ، حنقت قيس على ذلك كمـا حنقت كلب ٠ فثارت **قيس فى قنسرين وعلى رأســهم ابرز رجـل فيهم أبو الورد مجزأة** بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابى من أصحاب مروان وقواده وفرسانه ، وانضمت الى قيس قبائل كلب فى تدمر كما انضم اليهم عرب حمص ٠ وكان ابو الورد بقنسرين عنـدما هزم مروان فبايع عبد الله بن على ، « وكان ولد مسـلمة بن عبد الملك مجاورين له ببالس والناعورة ، فقدم بالس قائد من قواد عبد الله بن على فى مائة وخمسين فارسـا فعبث بولد مسلمة ونسائهم ، فشـكا بعضهم ذلك الى ابى الورد فخرج من مزرعة له ـ يقال لهـا زراعة بنى زفر ويقال لهـا خساف ـ فى عدة من أهل بيته حتى هجم على ذلك القائد وهو نازل فى حصن مسلمه فقاتله ومن معه ، وأظهر التبييض والخلع لعبد الله بن على ودعا أهل قنسرين الى ذلك فبيضوا بأجمعهم ٠٠٠ وقد كان تجمع مع ابى الورد جماعة أهل قنسرين وكاتبوا من يليهم من أهل حمص وتدمر ، وقدمهم الوف عليهـم **أبو محمـد بن عبد الله يزيد بن معاوية بن ابى سفيان** ـ الذى كان مروان قد اطلقه ـ فرأسوا عليهم ابا محمـد ودعوا اليه وقالوا : هو السفيانى الذى كان يذكر ـ وهم فى نحو من أربعين ألفا » ٠ فلمـا دنا منهم عبد الله بن على وأبو محمد معسكر فى جمـاعته **بمرج الأخرم** (آخر سنة ١٣٢هـ ـ آخر يولية سنة ٧٥١م) ، وابو الورد المتولى لأمر العسكر والمدبر له وصاحب القتال والوقائع ، وجه عبد الله أخاه عبد الصمد بن على فى عشرة آلاف من فرسانه ، كما روى أن مقاتل ابن حكيم العكى هو الذى اتجه من الرقة فى خيل عظيمة مقتال السيفانى أولا ٠٠ وثبت أبو الورد على رأس جيشه لقتال عبد الصمد حتى انكشف كما ثبت لقتال عبد الله الذى أقبل يظاهر عبد الصمد ومعه حميد ابن قحطبة وغيره من القواد ، حتى بقى فى خمســمائة من أهل بيته وقومه « فقتلوا جميعا وهرب أبو محمد ومن معه من الكلبية حتى لحقوا بتدمر ، وأمن عبد الله أهل قنسرين وسودوا وبايعوا ودخلوا فى طاعته » ٠

ولكن لم تكن تلك الثورة هى الوحيدة فى الشام « فقد كان أهل

خمطص نقضوا وأرادوا ايثار أبي محمد فلما بلغهم هزيمته أقاموا » ، ولم يزل ابو محمد متغيبا هاربا حتى بلغ أرض الحجاز ، ولكنه أدرك وقتل واسر ابناه ثم أطلقا .

كذلك بيض حبيب بن مرة ولمرى بأرض البلقاء والبثنية وحوران وكان من قواد مروان وفرسانه ، وقد خشي على نفسه وقومه فبايعته قيس وغيرهم ممن يليهم من أهل تلك الكور فقاتله عبد الله ثم صالحه ، ولما مضى عبد الله بن علي للقاء ابي الورد خلف بدمشق ابا غانم عبد الحميد بن ربعي الطائي في أربعة آلاف من جنده ، فلما قدم عبد الله حمص انتقض عليه أهل دمشق فبيضوا وهزموا عامله وقتلوا أصحابه وانتبهوا متاع عبد الله ولم يعرضوا لأهله ، فلما فرغ عبد الله من أمر ابى الورد وعاد لدمشق تفرق الثائرون « ولم يكن بينهم وقعة وآمن عبد الله أهلها وبايعوه » .

ومما يستلفت النظر - على حد قول فلهوزن - «أن أهل الشام انصرفوا عن بني مروان الذين كانت فيهم الخلافة الى السفيانيين الذين كانوا قد أزيلوا عنها .. ولم يختف شأن أبي محمد السفياني بموته بل هو زاد فكان يعتبر في أول الأمر عند أهل الشام المهدى المنتظر ، وكان أهل الشام يعلقون آمالهم السياسية على عودته الى الظهور . وفي آخر الأمر لما آلت الرياسة الى أعداء أهل الشام صار يقال : ان السفياني هو الرجل الذي سيظهر قبل ظهور المسيح الدجال، وعلى هذا فان شبح بيت الأمويين قد بقي بعد سقوطهم أحد مظاهر اقتراب الدنيا » . ويقول كرد علي : « والغالب أن أنصار الأمويين وضعوا بعد سقوط دولتهم ملحمة من الملاحم، زعموا فيها أنهم يعرفون ما يحدث في المستقبل من الزمان ، من ظهور أمرهم ورجوع دولتهم وظهور السفياني في الوادى اليابس من أرض الشام في غسان وقضاعة ولخم وجذام وغاراته وحروبه ومسير الأمويين من بلاد الأندلس الى الشام وانهم أصحاب الخيل الشهباء والرايات الصفر ، وما يكون لهم من الوقائع والحروب - على ما نقله المسعودى . وفي (البدء والتاريخ) : ان الروايات بشأن السفياني فيها حشو كثير ومحالات مردودة ومسألة السفياني تدبير للأمويين حتى لا ينقطع الأمل من رجوع دولتهم ويخيفوا أعداءهم على الدوام ، وربما كانت دعوة قرب ظهور السفياني أيضا واسطة لفتك العباسيين بكل من توهموا فيه شيئا من الرائحة السيفانية ، ولم تنقطع هذه النغمة من الشام الا سنة ٢٩٤هـ » .
كذلك خرج بجبل لبنان قوم شكوا عامل خراج بعلبك ، فوجه صالح

أبقى على اليهم من قتل مقاتلتهم ، وأقر من بقي منهم على رتبهم وردهم الى قراهم ، وقد ذكر أن الفقيه الاوزاعي كتب الى صالح رسالة طويلة يستنكر أخذ البرىء بجريرة المذنب . على أن القتال بين جند المسلمين ونصارى تلك البلاد قد استمر ـ على ما في تواريخ الموارنة ـ مدة طويلة ، ونهب المقدم الياس البقاع سنة ١٣٥ هـ ثم عقد الصلح .

وبلغ **أهل الجزيرة** خروج ابى الورد وانتقاض أهل قنسرين ، فانتشرت اليهم عدوى الثورة فبيضوا ونقضوا « وساروا الى **حران** وبها يومئذ **موسى بن كعب في ثلاثة آلاف من الجند فتشبث بمدينتها وساروا اليه مبيضين من كل وجه وحاصروه ومن معه** ـ وأمرهم مشتت ليس عليهم رأس يجمعهم ـ وقدم **اسحاق بن مسلم من أرمينية** وكان شخص عنها حين بلغه هزيمة مروان فرأسه أهل الجزيرة عليهم ، وحاصر موسى بن كعب نحوا من شهرين » . ووجه السفاح ابا جعفر في الجنود التى كانت محاصرة لابن هبيرة بواسط « فمضى حتى مر بقرقيسيا وأهلها مبيضون وقد غلقوا أبوابها دونهم ، ثم قدم مدينة الرقة وهم على ذلك وبها بكار بن مسلم فمضى نحو حران ورحل اسحاق بن مسلم الى **الرها**، وذلك سنة ١٣٣ » وخرج موسى بن كعب والى حران فلقى ابا جعفر ، وتعاون بكار مع أخيه اسحق بن مسلم ومع جماعة ربيعة بدارا وماردين ـ ورئيس ربيعة يومئذ رجل من الحرورية يسمى بريكة . وبدأ أبو جعفر بقتال هؤلاء الأخيرين فقتل بريكة بعد قتال شديد ، وانصرف بكار الى أخيه اسحق بالرها. وهنا **أراد اسحق أن يفتح جبهة جديدة فاستخلف بكار على الرها ومضى في معظم الجند الى سميساط** وأقبل أبو جعفر للقاء بكار بالرها وكانت بينهما وقعات ، كما كتب السفاح الى عبد الله بن على في المسير بجنوده الى اسحق بسميساط « فأقبل من الشام حتى نزل بازاء اسحق بسميساط ، وهم في ستين الفا أهل الجزيرة جميعا وبينهما الفرات ، وأقبل أبوجعفر من الرها فكاتبهم اسحق وطلب اليهم الأمان فأجابوا الى ذلك ... فخرج اسحق الى أبى جعفر وتم الصلح بينهما ، وكان معه من آثر أصحابه عنده. **فاستقام أهل الجزيرة وأهل الشام وولى ابوالعباس أبا جعفر الجزيرة وأرمينية وأذربيجان فلم يزل على ذلك حتى استخلف** ». وقد ذكر أن اسحق لم يصالح حتى أيقن من قتل مروان . كذلك كان منصور ابن جعونة بن الحارث العامرى من قيس على أهل الرها حين امتنعوا في أول الدولة العباسية ، وينسب اليه حصن منصور اذ تولى

بناءه ومرمته ، وقد أمنه المنصور ثم قتله سنة ١٤١ هـ بتهمة التواطؤ مع خصوم الخليفة (١٣٩) .

وعصى **أهل الموصل** فى بداية حكم العباسيين ، فامتنعوا عن طاعة محمد بن صول « وقالوا يلى علينا مولى الخثعم ؟ وأخرجوه عنهم ، فكتب الى السفاح بذلك واستعمل عليهم اخاه يحيى بن محمد وسيره اليها فى اثنى عشر الف رجل ... ثم دعاهم فقتل منهم اثنى عشر رجلا ، فنفر أهل البلد وحملوا السلاح فأعطاهم الأمان ». الا أنه نقض أمانه وأقام الرجال على أبواب الجامع يقتلون الناس قتلا ذريعا حتى قيل انه قتل احد عشر ألفا كما قتل النساء والصبيان ثم قتل جنوده الزنج بعد ذلك ، « وقيل : كان السبب فى قتل أهل الموصل ما ظهر منهم من محبة بنى أمية وكراهة بنى العباس » . ، وقد استعان عليهم بجند من أهل خرسان وزنوج . وذكر اليعقوبى انه أفنى أهل الموصل «فجرت دماؤهم فغيرت ماء دجلة ، فلم يعرف لأهل الموصل وثوب الى هذه الغاية » . ، وفى سنة ١٣٣ هـ عزل يحيى بن محمد عن الموصل واستعمل مكانه اسماعيل بن على « وانما عزل يحيى لقتله أهل الموصل وسوء أثره فيهم (١٤٠) » .

وواجه العباسيون انتقاض رجالهم كما واجهوا عصيان أعدائهم ، فقد عقد أبو العباس السفاح لأخيه ابى جعفر الخلافة من بعده على أن يخلفه عيسى بن موسى بن محمد بن على ، فسخط لذلك عبد الله بن على. كما أن المنصور عمل على خلع عيسى بن موسى سنة١٤٧ هـ والمبايعة لابنه المهدى. كذلك تخلص العباسيون من وزيرهم الأول أبى سلمة حفص بن سليمان سنة١٣٢هـ ثم من ركنهم الركين ابىمسلم الخراسانى سنة ١٣٧هـ(١٤١) وقد شهدت أرض الشام والجزيرة خروج عبد الله الذى استعانت عليه

---

(١٣٩) الطبرى حـ ٩ ص ١٣٧ : ١٤٠ رواية احمد بن زهير عن عبد الوهاب بن ابراهيم عن مخلد بن محمد ، ورواية على بن محمد ، ابن الأثير حـ ٥ ص ١٧٥ : ٧ ، اليعقوبى حـ ٣ ص ٩١ : ٣ ، ١٠٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب حـ ١ ص ٥٤ ــ ٧ البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٦٩ ، ٢٠٠ ــ ١ ، فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ترجمة دكتور ابى ريدة ص ٥٢٥ ــ ٦ . Brockelmann : Hist. of the Isl. Peop. p. 106. كرد على : خطط الشام حـ ١ ص ١٧٦ ــ ٧ ، ١٧٩ ــ ٨٠ . Hitti. Hist. of Syria. p. 540. الترجمة العربية جـ ٢ ــ ترجمة د. اليازجى ص ١٦٤ ــ ٥

(١٤٠) اليعقوبى حـ ٣ ص ٩٤ ، ابن الأثير حـ ٥ ص ١٨٠ ، ١٨٢ ، الطبرى حـ ٩ ص١٤٨.

(١٤١) الطبرى حـ ٩ ص ١٤٠ وما بعدها ، ص ١٥٤ وما بعدها ، ص ١٥٩ وما بعدها ، ٢٢٦ وما بعدها ، ابن الأثير حـ٥ ص ١٧٧ وما بعدها ، ص١٨٦ ومابعدها ، ص١٨٩ وما بعدها ، ٢٣٣ وما بعدها

الدولة بأبي مسلم الخراساني ، كما شهدت بداية المنازعات الايجابية بين أبي مسلم والعباسيين . **وكان عبد الله بن علي** يعتبر نفسه صاحب الحق الشرعي في الخلافة ، مستندا الى ان أبا العباس عبد الله بن محمد السفاح كان قد أعلن أن من يسير لقتال مروان بن محمد فهو ولي عهده ، **فلما ورد على عبد الله بن علي سنة ١٣٦هـ/٧٥٤م نبأ تولية ابي جعفر المنصور – وكان على اهبة المسير لغزو الروم ، وادركه الرسول بدلوك جمع الجند** فقرأ عليهم الكتاب بوفاة ابي العباس ودعا الناس الى نفسه ، وروى لهم واقعة العهد لمن يقاتل مروان قائلا « فعلى هذا خرجت من عنده ، وقتلت من قتلت . فقام أبو غانم الطائي وخفاف المرورودي في عدة من قواد أهل خراسان فشهدوا له بذلك » فبايعه القواد من اهل خراسان والشام والجزيرة وفيهم حميد بن قحطبة . ثم ارتحل عبد الله بن علي فنزل حران وبها مقاتل العكي الذي كان أبو جعفر استخلفه هناك ، فرفض مبايعة عبد الله وانتهى امره الى القتل . غير ان مركز عبد الله كان حرجا ، فأهل الشام لا ينسون ما فعله فيهم وفي الأمويين ، وأهل خراسان لم يكونوا له أكثر ولاء «وكان عبد الله بن على خشي الا يناصحه أهل خراسان، فقتل منهم نحوا من سبعة عشر ألفا – أمر صاحب شرطه فقتلهم . وكتب لحميد بن قحطبة ووجهه الى **حلب** وعليها زفربن عاصم ، وفي الكتاب : اذا قدم عليك حميد فاضرب عنقه ... وقرأ حميد الكتاب في الطريق ، فاتجه الى رصافة الشام وأخذ طريق العراق مع نفر من أصحابه ، وانضم هو وأخوه الحسن – وكان خليفة ابي جعفر بارمينية – الى أبي مسلم . وبينما نزل عبد الله نصيبين وخندق عليه ، اتجه أبومسلم من الانبار الى الموصل واخذ طريق الشام دون أن يعرض لعبد الله وكتب اليه : انى لم أومر بقتالك ولكن أمير المؤمنين ولاني الشام وانما أريدها » . وهنا أراد أهل الشام الذين مع عبد الله أن يخرجوا الى بلادهم فيمنعوها ، وحاول عبد الله اقناعهم بأن المعركة المحتومة مع أبي مسلم ستدور حيث يعسكرون بالجزيرة فهو ما وجه الا لقتالهم ، ولكنهم لم يقتنعوا . « وأقبل أبو مسلم فعسكر قريبا منهم ، وارتحل عبد الله من عسكره متوجها نحو الشام ، وتحول أبو مسلم حتى نزل في معسكر عبد الله بن علي في موضعه وعور ما كان حوله من المياه والقى فيها الجيف ، وبلغ عبد الله بن علي نزول أبي مسلم معسكره فقال لأصحابه من أهل الشام : الم أقل لكم ، وأقبل فوجد ابا مسلم قد سبقه الى معسكره فنزل في موضع عسكر ابي مسلم الذي كان فيه فاقتتلوا شهرا خمسة أو ستة ، وأهل الشام أكثر فرسانا وأكمل عدة » . وكان على ميمنة عبد الله بن علي بكار بن مسلم العقيلي

الذي ظاهر أخاه اسحق في ثورة الجزيرة ضد العباسيين • ثم اقتتل الفريقان قتالا شديدا ، ولجا أبو مسلم الى المكيدة فتظاهر بكشف ميمنته فلما رأى ذلك أهل الشام أعروا ميسرتهم فحمل أهل القلب مع من بقى فى الميمنة من جيش ابى مسلم على ميسرة أهل الشام « وركبهم أهل خراسان فكانت الهزيمة » • وانسحب عبد الله وعبد الصمد بن على الى رصافة هشام ، وهناك قبض على عبد الصمد ثم أطلق ، وأما عبد الله فقد سار ليلا الى البصرة وتوارى عند عاملها سليمان بن على ، وقد دخل سليمان وأخوه عيسى على المنصور بعد ذلك سنة ١٣٩هـ فأعلماه حضور عبد الله بن على وسألاه الاذن له لكن حبسه المنصور ، ثم ارتأى أن يسلمه الى عيسى بن موسى بعد أن خلع نفسه ، وعمد الى ضرب أحدهما بالآخر فأوحى الى عبد الله بقتل عيسى ثم أنكر عليه ذلك •

ثم جاء خروج **أبى مسلم** على المنصور بعد قتال عبد الله بن على ، فقد أرسل المنصور أبا الخطيب مولاه يحصى ما أصابه أبو مسلم فى عسكر عبد الله بن على ، فغضب من ذلك أبو مسلم وقال : أؤتمن على الدماء ولا أؤتمن على الأموال ! » وسار أبو مسلم الى **الجزيرة** وقد أجمع على خلاف المنصور» (١٤٢).وقد خشى المنصور أن يمضى أبو مسلم الى خراسان، فكتب اليه بولاية مصر والشام بدلا من خراسان . فرفض أبو مسلم وخرج يريد خراسان ، وكتب الى المنصور وقد نزل الزاب « انه لم يبق لأمير المؤمنين عدو الا أمكنه الله منه ، وقد كنا نرى عن ملوك آل ساسان أن اخوف ما يكون الوزراء اذا سكنت الدهماء ، فنحن نافرون من قربك حريصون على الوفاء بعهدك ما وفيت » . فما زال يحتال عليه المنصور ويلين له القول حتى استقدمه فقتله سنة ١٣٧ هـ وكان متخوفا منه وسبق له ان نصح سلفه السفاح بالتخلص منه (١٤٣).

وقد حرص العباسيون على تولية الشام والمراكز الهامة فى دولتهم رجالا من أسرتهم ، فعهدوا بالشام الى قاهر مروان عبد الله بن على ثم

---

(١٤٢) الطبرى جـ ٩ ص ١٥٦ : ٩ ، ١٧٢ ، ٢٦٤ ـ ٥ ، ابن الاثير جـ ٥ ص ١٨٧ : ٩ ، ٢٠٠ ـ ٢٠١ ، ٢٣٤ ـ ٥ ، اليعقوبى جـ ٣ ص ١٠١ ـ ٢ ، المسعودى مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٣٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١ ص ١٥٧ ـ ٨ •

(١٤٣) الطبرى جـ ٩ ص ١٥٣ ـ ٤ رواية على بن محمد ، ١٥٩ وما بعدها ، ابن الاثير جـ ٥ ص ١٨٥ ـ ٦ ، ١٨٩ وما بعدها . اليعقوبى جـ ٣ ص ١٠٢ وما بعدها ، المسعودى مروج الذهب جـ ٢ ص ١٣٤ وما بعدها •

أعقبوه بصالح بن علي، « وولى أبو جعفر أهل بيته البلدان : فولى اسماعيل ابن علي فارس وسليمان بن علي البصرة وعيسى بن موسى الكوفة ، **وصالح ابن علي قنسرين والعواصم والعباس بن محمد الجـزيرة ، وعبد الله ابن صالح حمص** ، والفضل بن صالح دمشق ، ومحمد بن ابراهيم الأردن ، وعبد الوهاب بن ابراهيم فلسطين ويحيى بن محمد الموصل ثم صرفه وولى ابنه جعفر وصير معه هشام بن عمرو » . ثم ما لبث غضب المنصور أن أدرك صالح بن علي أيضا ، اذ بلغه كثرة عدده ومواليه فخافه، فاستقدمته فاعتذر بمرضه لكن المنصور أصر على حضوره ، فلما رآه صرفه ولم يأمر له بصلة وقد توفي في طريقه عند عانات من كور الفرات . وقد تولى حلب وقنسرين بعد وفاته الفضل بن صالح لكن عزل بعد ذلك وكتب المنصور باخراج عمال صالح من الشام . **وولى أبو جعفر أخاه العباس بن محمد الجزيرة والثغور** ، وضم اليه عدة من القواد سنة ١٤٢ هـ ، فلم يزل بها حينا حتى لحقه غضب السفاح . (١٤٤) .

ولم تخل الجزيرة من فتن الخوارج وخاصة بين بني شيبان ، وقد ظهر خارجي شديد البأس سنة ١٣٧هـ/٧٥٥م هو **ملبد بن حرملة الشيباني** الذي هزم **روابط الجزيرة ثم روابط الموصل** وانتصر على ما سير اليه من حملات تتابع على قيادتها يزيد بن حاتم المهلبي والمهلهل بن صفوان مولى أبي جعفر ونزار من قواد خراسان وزياد بن مشكان وصالح بن صبيح وحميد بن قحطبة . ثم وجه اليه خازم بن خزيمة في نحو ٨٠٠٠ جندي من المروروذية ، فنزل الموصل وبعث الى الملبد بعض أصحابه وبعث معهم الفعلة وسار الى (بلد) فخندقوا . وبلغ ذلك الملبد فخرج حتى نزل ببلد في خندق خازم ، فلما بلغ ذلك خازما خرج الى مكان من أطراف الموصل حرين فعسكر به . فعبر الملبد دجلة وتوجه الى خازم يريد الموصل من ذلك الجانب ، فعقد خازم جسرا وعبر الى الملبد وظل يسايره يوما بعد يوم . وتظاهر الملبد بالهرب فاقتفى أثره خازم وأصحابه وتركوا خندقهم فكر عليهم الملبد وأصحابه . ثم نزلوا وقاتلوا على الأرض بالسيوف فلما ثار الغبار رمي جند خازم بالنشاب فقتل الملبد وكثير من أصحابه وهرب الباقون (١٤٥) .

---

(١٤٤) اليعقوبي جـ ٣ ص ١١٧ ـ ٨ ، الطبري جـ ٩ ص ١٧٩ رواية الواقدي . ابن الاثير جـ ٥ ص ٢٠٦ ، جـ ٦ ص ٢ ـ ٣ ، ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١ ص ٥٩ ، كرد علي : خطط الشام جـ ١ ص ١٨١

(١٤٥) الطبري جـ ٩ ص ١٦٩ ، ١٧٠ ـ ١ ، ابن الاثير جـ ٥ ص ١٩٥ ، ٥٩٦ .

وفي سنة ١٤٨هـ/٧٦٥م خرج **حسان بن مجاهد** بن يحيى بن مالك ابن الاجدع الهمداني بقرية بافخارى قرب الموصل ، هزم عسكر الموصل ثم سار الى الرقة ، وحاول الاتصال بخوارج عمان. واستغرب المنصور أن يدخل همداني في زمرة الخوارج لان عامة همدان شيعة علويون وقد فارق حسانا بعض أصحابه اذ سخطوا على بعض تصرفاته . واستعمل المنصور على الموصل خالد بن برمك بعد أن بلغه انتشار **الأكراد** بولايتها وافسادهم « فأحسن الى الناس وقهر المفسدين وكفهم ، وهابه أهل البلد هيبة شديدة مع احسانه اليهم » . كما عقد المنصور ليحيى ابن خالد على اذربيجان (١٤٦) .

وفى سنة ١٦٢ هـ/٧٧٩ م خرج بالجزيرة عبد السلام بن هاشم اليشكرى « وكثر اتباعه واشتدت شوكته فنكب غير واحد من القواد » . ويروى خروج عبد السلام سنة ١٦٠ هـ بالموصل . وقد خرج شبيب بن واج المروروذى مؤيدا بالفرسان فى اثر عبد السلام ، فهرب لكنه ادرك فى قنسرين حيث قتل سنة ١٦٢ هـ (١٤٧) .

وفى ١٦٨هـ/٧٨٤م خرج بأرض الموصل خارجي اسمه **ياسين من بني** تميم وهزم عسكر الموصل وغلب على أكثر ديار ربيعة والجزيرة . وكان يميل الى مقالة صالح بن مسرح الخارجى . فوجه اليه المهدى محمد بن فروخ وهرثمة بن أعين ، فحارباه حتى قتل وانهزم أصحابه . وقد خرج بالجزيرة فى السنة التالية **حمزة بن مالك الخزاعى** ، فسار اليه جيش انتصر عليه الخارجي فى **باعر بايا** من بلد الموصل وغنم الأموال وقوى أمره لكن صحبه رجلان ثم اغتالاه (١٤٨) .

وقد كانت مدينة الموصل وربوع الجزيرة وماحولها من أكثر الاقاليم اضطرابا وفتنا وثورات على الدولة منذ العهد الأموى، وظل حالها كذلك خلال العصر العباسي ايضا. **ويقرر متزهذه الحقيقة فيقول: ((كانت الجزيرة أكبر مركز تحتشد اليه الثوار على اختلاف أصنافهم، حيث يكونون على الاستعداد دائما لاتباع قائد يسير بهم الى أراضي الفلاحين الخصبة - يقتلون وينهبون » ! ويرجع ذلك الى عاملين: أولهما وجود بعض القبائل**

---

(١٤٦) ابن الاثير جـ ٥ ص ٢٣٥ - ٦ ، جـ ٦ ص ٥ - ٦ ، الطبرى جـ ٩ ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(١٤٧) الطبرى جـ ٩ ص ٣٣٦ ، ٣٤١ - ٢ ، ابن الاثير جـ ٦ ص ١٨ ، ٢١ ، ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١ ص ٦٠ .

(١٤٨) ابن الاثير جـ ٦ ص ٢٨ ، ٣٤ .

العربية المسلحة قوية الشكيمة أمثال بكر وتغلب وغيرها ، وثانيهما موقع هذه المنطقة الجغرافى بين شعوب وعناصر مختلفة من العرب والكرد والأرمن والروم والفرس « فكان طبيعيا أن يخلق فيها جو مضطرب النزعات والعقائد والآراء ، يتقبل كل فكرة تدعوة الى التمرد والعصيان والانتقاض ضد نظام الحكم ايا كان . واكثر ما يلاحظ فى تاريخ هذه البقعة من الأرض انتشار المذهب الخارجى الداعى الى الثورة على كل سلطان لا يدين به » . وقد انتشر الخوارج فى لبلاد لعربية منذ نشوب النزاع على اثر التحكيم فى حرب صفين ، وكانت أكثر القبائل البدوية المخيمة حول الموصل عددا وقوة بنو شيبان الذين انتشروا فى أطرافها وخاصة فى شرقيها (١٤٩) . ولاقرار الأمن فى هذه المنطقة المضطربة ، **اقيم حرب ابن عبد الله الراوندى — الذى تنسب اليه الحربية ببغداد — بالموصل** « **فى الفين من الجند لمكان الخوارج الذين بالجزيرة (١٥٠)** » .

وأقلقت الدولة العباسية فتن الخوارج فى نواح أخرى غير الجزيرة ، كما تتابعت ثورات **العلويين** الذين خاب أملهم فى أولاد عمومتهم بنى العباس . ففى سنة ١٤٥ هـ ٧٦٢ م خرج محمد بن عبد الله بن حسن ابن على بن أبى طالب بالمدينة ، وخرج أخوه ابراهيم بن عبد الله بالبصرة . **وكان ابراهيم قد نزل بالحيار من أرض الشام على آل القعقاع بن خليد العبسى ، فكتب الفضل بن صالح بن على وكان على قنسرين الى المنصور** « يخبره خبر ابراهيم ، وانه طلب فوجده قد سبقه منحدرا الى البصرة مارا بالموصل » . فأمر أبو جعفر باذكاء العيون ووضع المراصد والمسالح وقد ندب المنصور لحرب محمد وابراهيم عمه عيسى بن موسى « فلا يبالى أيهما قتل صاحبه » وقتل محمد بالمدينة ، وانهزم جند ابراهيم بالبصرة بعد أن كادوا ينتصرون ، وقتل ابراهيم أيضا وفى سنة ١٦٩ هـ خرج الحسين بن على حفيد الحسن بن على بن أبى طالب . وقتل بفخ فى طريق مكة (١٥١) .

وجد المهدى فى طلب **الزنادقة** وولى أمرهم واليا خاصا . **وفى اثناء**

---

(١٤٩) متز : الحضارة الاسلامية ـ ترجمة دكتور أبى ريدة جـ ٢ ص ٤٦ ، دكتور جومرد : هارون الرشيد جـ ٢ ص ٤٠٠ ، صائغ : تاريخ الموصل جـ ١ ص ٧٣ .

(١٥٠) الطبرى جـ ٩ ص ٢٦٤ ، ابن الاثير جـ ٥ ص ٢٣٢ .

(١٥١) الطبرى جـ ٩ ص ١٨٠ وما بعدها ، ٢٤٣ وما بعدها ، ابن الاثير جـ ٥ ص ٢٠٦ وما بعدها ، ص ٣٢٦ وما بعدها .

مسيره لغزو الروم سنة ١٦٣ هـ بعث عبد الجبار المحتسب لجلب من بناحية حلب من الزنادقة ، فقتلهم بدابق وقطع كتبهم (١٥٢)

وامتدت الاضطرابات الى الجناح الغربى من الدولة الاسلامية ، وهو جناح يواجه الروم فى البحر المتوسط . فقتل الاغلب بن سالم بن عقال ابن خفاجي التميمى عامل المنصور سنة ١٥٠ هـ فى فتن **المغرب** « وكان ممن قام مع أبى مسلم الخراسانى » كما قتل الخوارج عامل المنصور عمر ابن حفص سنة ١٥٣ هـ ، فوجه المنصور يزيد بن حاتم الى افريقية فى العام التالى فافتتحها وقتل بعض زعمـاء الخوارج « واستقامت بلاد المغرب ، ودخل يزيد بن حاتم القيروان » . (١٥٣)

ولكن ظروف المغرب الجغرافية والبشرية قد اضطرت الرشيد بعد ذلك الى التخلص من مشـكلاته باطلاق أيدى الأغالبـة . كذلك أتاحت الاضطرابات فى **الاندلس** الفرصة لتجدد حكم الأمويين هناك ، رغم قيام بعض امرائها مثل عامر العبدرى والحباب بن رواحة بن عبد الله الزهرى بالدعوة لبنى العباس لسخطهما على الصميل بن حاتم بن شمر بن ذى الجوشن . واستطاع عبد الرحمن بن معاوية بن هشام أن يهرب بعد نكبة أبى فطرس حتى وصل المغرب ، فظل يتنقل فى أرجائها « وأخذ فى تدبير المكاتبة الى الأمويين من أهل الأندلس يعلمهم بقدومه ويدعوهم الى نفسه ، ووجه بدرا مولاه اليهم وأمير الأندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهرى فسار بدر اليهم واعلمهم حال عبد الرحمن ودعاهم اليه ، فأجابوه ووجهوا له مركبا وأخذوه ورجعوا الى الأندلس سـنة ١٣٨هـ » (١٥٤) . وأخذ عبد الرحمن يتلقى البيعة من نواحى الأندلس ويوطد الأمور لنفسه هناك ، فلما استقر له الامر أخذ يباشر الغزو على حدود بلاده .

معاقل الحدود وقتال الروم :

انشغل العباسيون أول أمرهم بتوطيد دولتهم والقضـاء على معارضيهم ، لكنهم لم يغفلوا مع ذلك **تحصـين حدودهم وثغـورهم** . وكانت البعوث تخرج لتعمير الثغور وشحنها بالمقـاتلة ، وقد ذكر ابن

(١٥٢) الطبرى جـ ٩ ص ٣٤٥ ، ابن الاثير جـ ٦ ص ٢٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١ ص ٦١ .

(١٥٣) الطبرى جـ ٩ ص ٢٨٤ ـ ٥ ، ابن الاثير جـ ٥ ص ٢٣٦ ، ٢٤٦ ، جـ ٦ ص ٢
Brockelmann : Hist. of the Isl. Peop., p. 112.

(١٥٤) الطبرى جـ ٩ ص ١٧١ ، ابن الاثير جـ ٥ ص ١٨٧ ، ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

المنصور أمر بعمران **المصيصة سنة** ١٣٩هـ وأسكنت سنة١٤٠هـ وسميت (المعمورة) ونقل اليها الذين كان أسكنهم مروان الحصوص من فرس وصقالبة وأنباط ونصارى ، وكانت تاتيها **(الطوالع)** من انطاكية فى كل عام ثم خصص لها المقاتلون فىخلافة المهدى٠وقد تعرضت المصيصة لهجوم الروم فى أول أيام الدولة العباسية ، فوجه اليها صالح بن على جبريل ابن يحيى البجلى لتحصينها وشحنها ٠

وبنيت **اذنة** فى سنة ١٤١ هـ أو سنة ١٤٢ هـ ، والجنود من أهل خراسان معسكرون عليها مع مسلمة بن يحيى البجلى ومن أهل الشام مع مالك بن ادهم الباهلى ، وكان قد وجههما صالح بن على .

وفى سنة ١٤٩ هـ نزل المنصور حديثـــة الموصـــل ، ثم أغزى منها الحسن بن قحطبة وبعده محمد بن الأشعث وجعل عليهما العباس ابن محمد وأمره أن يغزو بهم **كمخ** ، فمات محمد بآمد وسار العبـــاس والحسن الى ملطية فحملا منها الميرة ثم اناخا على كمخ ، واستعملت المجانيق فى الحصار ثم اتخذت الدبابات واشـــتد القتال حتى تم الفتح ٠ ويذكر اليعقوبى ان المنصور على أثر هجمات الخزر « اخرج سبعة آلاف من أهل السجون ، وبعث فجمع من كل بلد خلقا عظيما ووجه بهم وبفعلة وبنائين، فبنى مدينة كمخ ومدينة المحمدية ومدينـــة باب واق ، وجعلهـــا ردءا للمسلمين وأنزلها المقاتلة ، وقوى المسلمين بتلك المدن » ٠

وقد اهتم المنصور ببناء **ملطية** وتحصينهـــا فوجه عبد الوهاب بن ابراهيم الامام واليا على الجزيرة وثغورها سنة ١٤٠ هـ ومعه الحسن بن قحطبة في جنود أهل خراسان ، وجمع الفعلة من كل بلد وقطعت البعوث على أهل الشـــام والجزيرة حتى فرغ من بناء ملطية ومسجدها فى ســـتة أشهر ، وأسكنها المنصور أربعة آلاف مقاتل من اهل الجزيرة لأنهـــا من ثغورهم على زيادة فى العطاء واقطعت لهـــم قطائع ، وبنى حصن قلوذية واقبل قسطنطين يريد الغزو فأحجم لكثرة العرب ، وفى سنة ١٤١ هـ رابط المسلمون بملطية لئلا يطمع فيها العدو ورجع اليها بقية أهلها ٠

كذلك بنى صالح بن على **مرعش** فىخلافة المنصور وحصنها وشحنها وفى عهد المنصور بنى أيضا **حصن زبطرة** ٠

ويذكر أن من المميزات التى رعاها المنصور فى **اختيار موضـــع بغداد موقعها بالنسبة للجزيرة وارمينية والشام والرقة** وفى ســـنة ١٥٤ هـ عزم المنصور على بناء **الرافقة فى مواجهـــة الرقة** ، فغضب أهل

الرقة خشية على أسواقهم « واختطها على شط الفرات ، وهندسها له أدهم ابن محرز » وقد أرسل المنصور ابنه المهدى للاشراف على البنـــاء الذى احتذى تخطيط بغداد « وسور سورها وخندقها » .

وعلى أثر غزو ميخائيل عمق مرعش سنة ١٦١ هـ وجه المهدى الحسن بن قحطبة الذى دخل بلاد الروم من درب الحدث ، فنظر الى موضع مدينتها فأخبر ان ميخائيل خرج منه ، فارتاد موضع مدينته هنـــاك ، ثم كلم المهدى فى بنائهـا وبناء طرســوس فأمر بتقديم مدينة الحدث فأنشـأها سليمان بن على وهو على الجزيرة وقنسرين وسميت (المحمدية) و (المهدية) وتوفى المهدى عند فراغهم من بنائها زاد المهدى من حامية مرعش ، وتم فى عهده تحصين **حصن منصور** على يد ابنه هارون . واســتخلف **الهادى** محمد بن ابراهيم بن محمد بن على ففرض للحدث فرضا من أهل الشام والجزيرة وخراسان وأقطعهم . وقيل أن بناء الحدث لم يتحمل الامطار والثلوج فشرع الهادى فى احكام بنائها فمات قبل أن ينفذ بعثة . (١٥٤)

وقد اختلف فى أول غزوة قام بها العباسيون ضد الروم . فاليعقوبى يقول« وغزا بالناس فى أيام المنصور سنة١٣٨(هـ) صالح بن على **على جند الشام** ، والعباس بن محمد بن على **على خراسان** ، ولم تغز بلاد الروم منذ غزا الغمر بن يزيد سنة ١٢٥ (هـ) الى هذه الغاية وأقام صالح بن على واليا على الشام والثغور وهو يغزى بلاد الروم أمراء من قبله عليهم ابنه الفضل ابن صالح وغيره » . وابن العديم يعطى السنة التالية تاريخـــا لبدء الغزو « وأغزى الصائفة مع ابنه الفضل سنة١٣٩(هـ) بأهل الشام، وهى أول صائفة غزيت فى خلافة بنى العباس وكانت انقطعت الصوائف أيام بنى أمية قبل ذلك بسنين » . غير أن الطبرى يذكر فى أخبـــار سنة ١٣٣هـ « وجه صالح بن على سعيد بن عبد الله لغزو الصائفة وراء الدروب » ، كما يذكر غزو قسطنطين ملطية ، ولكن ابن الأثير لا يتابعه فى ذلك ويكتفى بأن يذكر فى أخبار سنة ١٣٣هـ ما ينقله عن البلاذرى من هجوم قسطنطين على كمخ وملطية منتهزا فرصة الاضـطرابات التى حدثت فى الجزيرة فى بداية حكم العباسيين ، ونصبه المجـانيق عليها واجلاء أهلها وتفرقهم فى بلاد الجزيرة ، كما يذكر هدم الروم حصن قلوذية ومهاجمتهم مرعش والحدث ، ويذكر ايضا ان كوشـــان الارمنى أناخ

---

(١٥٤) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧٣ : ٦ ، ١٩٢ : ٢٠١ ، الطبرى حـ ٩ ص ١٧٠ ـ ١ ، ١٧٦ ، ٢٣٩ ، ٢٨٥ ، ابن الأثير حـ ٥ ص ١٩٦ ـ ٧ ، ٢٢٤ ـ ٥ ، ٢٤٦ ، اليعقوبى حـ ٣ ص ٩٥ ، ص ١٠٧ ، ص ١٢٠ ، ١٢٩

على **قاليقلا** وأعانه اخوان من الارمن على دخولها من نقطة ضعيفة في سورها وقد فادى المنصور سنة ١٣٩هـ من كان حيا من أساراها وبناها وندب اليها جندا من أهل الجزيرة وغيرهم . ويتعذر قبول ما ذكره الطبري من تاريخ مبكر لاستئناف ارسال الحملات ضد الروم ، اذ كانت الدولة العباسية وقتذاك في شغل شاغل باقرار الامور في داخلها ، وقد يكون العباسيون سمعوا بحملات قسطنطين فسيروا بعوثا لمهام استطلاعية أو دفاعية لحماية أطراف الدولة الاسلامية دون الولوج الى داخل أراضي الروم . على أن اليعقوبي يذكر أن موسى بن كعب التميمي زحف الى قسطنطين حين اناخ على ملطية سنة ١٣٣هـ « فلم يكن بينهما لقاء وكتب أبو العباس الى عبد الله بن علي يعلمه أن العدو قد كلب بالغفلة عنه ، وأمره أن ينفذ بالجيوش التي معه فيبث جيوشه في نواحي الثغور ، وزحف حتى قطع الدرب . ولم يزل يعبي حتى أتاه خبر وفاة أبي العباس فانصرف » (١٥٥) . وشروع عبدالله ابن علي في غزو الروم ووصوله الى أفواه الدروب محل اجماع بين المصادر المختلفة على أن التاريخ الذي يعطى لذلك هو سنة ١٣٦ هـ حين قدم عبد الله ابن علي الانبار فعقد له الخليفة أبو العباس على الصائفة في أهل خراسان وأهل الشام والجزيرة والموصل « فسار فبلغ دلوك ولم يدرب حتى أتته وفاة أبي العباس .. وقدم أبو غسان يزيد بن زياد حاجب أبي العباس ببيعة أبي جعفر وعبدالله بأفواه الدروب يريد الروم » (١٥٦) . وهكذا لم تنفذ سنة ١٣٦ هـ هذه الحملة التي كانت طليعة حملات العباسيين الى بلاد الروم ، وجاء العام التالي عام ١٣٧ هـ حافلا بالمتاعب فقد شغل المنصور بقتال عبد الله بن علي ، ثم أثار مقتل أبي مسلم بعد ذلك اضطرابات منها خروج سنباذ بخراسان ، كما خرج في العام نفسه أو في العام التالي ملبد بن حرملة الشيباني الخارجي بالجزيرة . ومن هنا لا عجب ان تقرر الحوليات الاسلامية « **لم يكن للناس في هذه السنة صائفة لشغل السلطان بحرب سنباذ** » . (١٥٧)

فالحملة الأولى للمسلمين ضد الروم كانت اذن سنة ١٣٨ او سنة ١٣٩هـ على اختلاف الروايات ، وقد كانت لعلاج آثار هجوم قسطنطين على

---

(١٥٥) اليعقوبي حـ ٣ ص ٩٩ ، ١٢٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب حـ ١ ص ٥٩ ، الطبري حـ ٩ ص ١٤٨ ، ١٧٠ ، ابن الأثير حـ ٥ ص ١٨١ ، البلاذري : فتوح البلدان ص ١٩٤ : ٨ ، ٢٠٧

(١٥٦) الطبري حـ ٩ ص ١٥٥ ــ ٦ ، ابن الأثير حـ ٥ ص ١٨٧ ، اليعقوبي حـ ٣ ص ١٠١ ، ابن العديم : زبدة الحلب حـ ١ ص ٥٧ .

(١٥٧) الطبري حـ ٩ ص ١٦٩ ، ابن الأثير حـ ٥ ص ١٩٥

ملطية أولا ، فقد أقام صالح بن علي والعباس بن محمد « حتى استتما بناءها ، ثم غزوا الصائفة من درب الحدث فوغلا في الروم ، وغزا مع صالح أختاه أم عيسى ولبابه ابنتا علي ، وكانتا نذرتا ان زال ملك بني أمية أن تجاهدا في سبيل الله » • وقد أفاض البلاذري في الحديث عن نشاط المسلمين في بناء ملطية سنة ١٤٠ هـ ، فذكر أنه رابط فيها سنة١٤١ هـ محمد بن ابراهيم في جند أهل خراسان ، كما ذكر ان قسطنطين عاد لمهاجمتها في أكثر من مائة الف فنزل جيحان فبلغته كثرة العرب فأحجم عنها ، وذكر أيضا حملة لجعفر بن حنظلة البهراني من درب ملطية سنة ١٣٩ هـ • وعلى أية حال يبدو من الحوليات الاسلامية أن طليعة الحملات العباسية ضد الروم كانت منصرفة قبل كل شيء الى تحصين حدود المسلمين أكثر من اتجاهها الى مهاجمة الروم • ثم حدث**الفداء بين المنصور والروم** لاستنقاذ أسرى المسلمين سنة ١٣٩ هـ « **ولم يكن بعد ذلك فيما قيل للمسلمين صائفة الى سنة ١٤٦ هـ لاشتغال أبي جعفر بأمر ابني عبد الله الحسن** • الا أن بعضهم ذكر أن الحسن بن قحطبة غزا الصائفة مع عبد الوهاب بن ابراهيم الامام سنة ١٤٠ هـ » على هذه الصائفة كانت لترميم ملطية وتحصينها وحمايتها من أيهجوم مستقبل للروم كما يروى البلاذري (١٥٨) • لكن اليعقوبي لا يقطع غزوات الروم في تلك الفترة بل يذكر غزوة للعباس بن محمد في العامين المتواليين سنة ١٤٢ ، ١٤٣ هـ ، ثم يذكر غزوة لحميد بن قحطبة سنة ١٤٥ هـ (١٥٩) •

وواجه العباسيون خطر **هجمات الترك والخزر** على حدودهم في **ارمينية** وقتلهم كثيرا من المسلمين ، فكتب يزيد بن أسيد السلمي والي المنصور على ارمينيه الى الخليفة يخبره بهذا الهجوم الخزري الكبير ومقتل حرب بن عبد الله الراوندي قائد روابط الموصل سنة ١٤٧ هـ ، فوجه المنصور جبريل بن يحيى البجلي في عشرين الفا من أهل الشام والجزيرة والموصل ، ولكن هزم الخزر هذه الحملة ، فاهتم المنصور بتحصينات الحدود هناك • ثم تحركت**الصنارية بارمينية**فوجه اليهم الحسن بن قطحبة ثم عامر بن اسماعيل الحارثي ، فانتصر المسلمون بعد قتال شديد • واهتم المنصور بارمينية فولاها واضحا مولاه فلم يزل عليها وعلى اذربيجان خلافة المنصور كلها ، وان كان الطبري يذكر تولية بكار بن مسلم العقيلي ارمينية

---

(١٥٨) الطبري حـ ٩ ص ١٧١ ، ابن الأثير حـ ٥ ص ١٩٧ ، ٢٠٢ ، البلاذري : فتوح البلدان ص ١٩٥ ــ ٩٦ ، ٢٠٧

(١٥٩) اليعقوبي حـ ٣ ص ١٢٤ •

سنة ١٥٣ هـ (١٦٠) . ولا شك أن الروم استفادوا كثيرا من مهاجمة الخزريين لأطراف الدولة الاسلامية ، ولعل الحملات المتتالية التي يتحدث عنها اليعقوبي من سنة ١٤٥ هـ الى سنة ١٤٩ هـ (١٦١) كانت ضد هؤلاء الخزريين أكثر مما كانت ضد الروم . ويذكر الطبري في احداث سنة ١٤٨هـ غزو حميد بن قحطبة للترك بعد أن عاثوا بتفليس ، في حين يذكر أن صالح بن علي قد عسكر بدابق في هذا العام ولم يغز ويؤيد ذلك ابن الأثير (١٦٢). وفي سنة ١٤٩هـ غزا العباس بن محمد الصائفة ومعه الحسن بن قحطبة ومحمد بن الأشعث فمات ابن الأشعث بالطريق . والبلاذري يجعل هذه الحملة موجهة ضد كمخ ، واليعقوبي يذكر للحسن ابن قحطبة معارك في الجبهة الارمينية ضد الخزر (١٦٣) وفي سنة ١٥٠هـ لم تكن للناس صائفة . وقيل ان أبا جعفر ولى أسيدا الصائفة فلم يدخل بالناس أرض العدو ونزل مرج دابق . وفي سنة ١٥٢ هـ غزا الصائفة عبد الوهاب بن ابراهيم وقيل محمد بن ابراهيم فلم يدرب ، على أن ابن الأثير يذكر غزوة لعبد الوهاب بن ابراهيم سنة ١٥١ هـ أيضا (١٦٤)

يمكن القول **اذن أن أعمال المسلمين الحربية في بداية حكم العباسيين كانت مقصورة حتى عام ١٥٢ هـ على تحصين مواقع الحدود وصد هجمات الخزر فالحوليات تذكر أن المسلمين لم يدربوا في سنوات عدة ، وقد شغلتهم الفتن الداخلية المختلفة** . وأول صائفة تتحدث عن **هجوم حقيقي** على الروم في عهد بني العباس يعود تاريخها الى سنة ١٥٣ هـ ـ ٧٧٠م حين غزا الصائفة معيوف بن يحيى الحجوري « فسار الى حصن للروم ليلا وأهله نيام ، فسبى وأسر من كان فيه من المقاتلة ، ثم صار الى اللاذقية المحترقة ففتحها وأخرج منها ستة آلاف رأس من السبي سوى الرجال البالغين» (١٦٥) . واللاذقية المحترقة Loadicea Combusta هي Katakehaumena وتقع شمال قونية (١٦٦) . ثم تتوالى الصوائف دون اشارة الى وقائع

---

(١٦٠) الطبري حـ ٩ ص ٢٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢٧٦ ، ٢٨٤ ، ابن الأثير حـ ٥ ص ٢٣٠ ، ٢٣٢ ـ ٣ ، اليعقوبي حـ ٣ ص ١٠٧ ـ ٨ ، البلاذري : فتوح البلدان ص ٢١٦ ـ ٢١٧ .

(١٦١) اليعقوبي حـ ٣ ص ١٢٤

(١٦٢) الطبري حـ ٩ ص ١٧٦ ، ابن الأثير حـ ٥ ص ٢٣٧

(١٦٣) الطبري حـ ٩ ص ٢٧٦ ، أبن الأثير حـ ٥ ص ٢٣٧ ـ ٨ ، البلاذري : فتوح البلدان ص ١٩٢ ـ ٣ ، اليعقوبي حـ ٣ ص ١٠٧

(١٦٤) الطبري حـ ٩ ص ٢٨٧ ، ٢٨٣ ، ابن الأثير حـ ٥ ص ٢٤٥

(١٦٥) الطبري حـ ٩ ٢٨٤ ، ابن الأثير حـ ٥ ص ٢٤٦

(١٦٦) لي سترينج : بلدان الخلافة الشرقية ترجمة فرنسيس وعواد ص ١٨٢

حامة ما بين سنة ١٥٤ ،سنة ١٥٨ هـ ،ويظهر فيها من القادة زفر بن عاصم الهلالى ويزيد بن أسيد السلمى ومعيوف بن يحيى • كما تذكر الحوليات الاسلامية أن صاحب الروم طلب الصلح من المنصور على أن يؤدى اليه الجزية وذلك سنة ١٥٥ هـ ـ سنة ٧٧٢م (١٦٧) ، فى حين أن ضغط الهجمات الاسلامية على الجبهة البيزنطية لا يكفى لبلوغ هذه النتيجة •

لم تحدث اذن حملات جدية ضد الروم طوال عهد المنصور ، على أنه قد أوصى ابنه المهدى بشحن الثغور وضبط الاطراف اذ قال له «وليكن أهم أمورك اليك أن تحفظ أطرافك وتسد ثغورك •• وارغب الى الله فى الجهاد والمحاماة عن دينك واهلاك عدوك بما يفتح الله على المسلمين ويمكن لهم فى الدين ، وابذل فى ذلك مهجتك ونجدتك ومالك وتفقد جيوشك ليلك ونهارك واعرف مراكز خيلك ومواطن رحلك ، وبالله فليكن عصمتك وحولك وقوتك » (١٦٨) •

وفى عهد المهدى أغار الروم على الحدود الاسلامية ، فيذكر اليعقوبى أن الروم جاءوا الى سميسطا سنة ١٥٩ هـ فسبوا خلقا كثيرا • على أن الطبرى يروى خبر غزو العباس بن محمد الصائفة حتى أنقرة سنة ١٥٩ هـ « وعلى مقدمته الحسن الوصيف فى الموالى ، وضم المهدى اليه جماعة من قواد أهل خراسان وغيرهم • وخرج المهدى فعسكر بالبردان وأقام فيه حتىأنفذ العباس ، ولم يجعل العباس علىالحسن الوصيف ولاية فى عزل أو غيره ففتح فى غزاته مدينة للروم ومطمورة وانصرفوا سالمين » •

ويذكر الطبرى والبلاذرى وابن الاثير هجوما للروم سنة ١٦١ هـ عند مرعش بعد أن اجتازوا درب الحدث ، وقد حاول أهل المدينة المقاومة وكان واليها عيسى بن على خرج الى الغزو فحاصرهم الروم ثم انصرفوا حتى نزلوا جيحان • وبلغ الخبر ثمامة بن الوليد العبسى وهو بدابق يتأهب لغزو الصائفة « فأتته طلائعه وعيونه بذلك فلم يحفل ، وخرج الى الروم وعليها ميخائيل بسرعان الناس فأصيب من المسلمين عدة » على أن الطبرى يذكر أن عيسى بن على كان مرابطا بحصن مرعش ولم يغز • وانشغل المسلمون بعبء الدفاع عن حدودهم « **فلم يكن للمسلمين فى ذلك العام صائفة من أجل ذلك** » • **وقد بدأت الحدود الاسلامية تشهد**

---

(١٦٧) الطبرى حـ ٩ ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ـ ٩ ، ٢٩١ ، ابن الأثير حـ ٥ ص ٢٤٦ ، حـ ٦ ص ٢ ، ٤ ، ٥ ، ١٣ ، اليعقوبى حـ ٣ ص ١٢٤

(١٦٨) الطبرى حـ ٩ ص ٣٢١ ، ابن الأثير حـ ٦ ص ٧ ، اليعقوبى حـ ٣ ص ١٢٦ ـ ٧

الموالى ـ وهم عماد الدولة العباسية ـ فى مقدمة الحملات ضد الروم مثل الحسن الوصيف كما رأينا قوات المسلمين على قسمين : أهل الشام وأهل خراسان · وبدأت **الحملات البحرية** تعود الى الظهور فى الحوليات العربية ، فيذكر أن الغمر بن العباس غزا فى سنة ١٦١ هـ وقد اهتم المهدى فى العام التالى بالثأر من الروم لمهاجمتهم مرعش ، فولى ثمامة بن الوليد العبسى الصائفة سنة ١٦٢ هـ ولكن لم يتم خروجه الى الروم · وخرجت الى الروم الى الحدث فهدموا سورها ، ثم وجه المهدى الحسن بن قحطبة فى ثلاثين الف مرتزق سوى المطوعة « فبلغ حمة ادرولية فأكثر التخريب والتحريق فى بلاد الروم من غير أن يفتح حصنا ويلقى جماعة وسمته الروم التنين » « وثقلت وطأته على أهلها حتى صوروة فى كنائسهم» وقد رأى الحسن بن قحطبة بناء طرسوس والحدث على أثر هذه الحملة · وعزز هذا الهجوم بحملة يزيد ابن أسيد السلمى فى الجبهة الارمينية من باب قاليقلا ، وقد غنم وفتح ثلاثة حصون وأسر وسبى · (١٦٩)

وأخذ اسم هرون يلمع فى حملات الصوائف فى حياة أبيه المهدى سنة ١٦٣ هـ وكان ما زال حديث السن « فكان يضرب بالصوالجة ، وموسى بن عيسى وعبد الملك بن صالح يتضاحكان منه » · وكان المهدى قد قطع **البعوث للصائفة** على جميع الاجناد من أهل خراسان وغيرهم ، وخرج فعسكر بالبردان نحو شهرين يتعبأ ويتهيأ ويعطى الجنود ، وأخرج بها صلات لأهل بيته الذين شخصوا معه · ولما وجه هرون خرج يشيعه ، فلما حاذى قصر مسلمة بن عبد الملك قال له العباس بن محمد وكان معهما : يا أمير المؤمنين ان لمسلمة فى اعناقنا منة ـ كان محمد بن على مر به فأعطاه أربعة ألف دينار وقال له : يا ابن عم هذان الفان لدينك والفان لمعونتك فاذا نفدت فلا تحتشمنا ، فأمر المهدى باحضار الموجودين من ولد مسلمة ومواليه فأمر لهم بعشرين الف دينار وأن تجرى عليهم الأرزاق· وقد ضم المهدى الى هارون كبار القواد ، فوجه الربيع الحاجب وخالد ابن برمك ومعه الحسن وسليمان ابنا برمك ويحيى بن خالد على أمر العسكر ونفقاته وكتابته واستعفى الحسن بن قحطبة ، «وكان أمر هرون كله الى يحيى وصير الربيع الحاجب معه يغزو عن المهدى ـ وكان الذى بين الربيع ويحيى على حسب ذلك ـ وكان يشاورهما ويعمل برأيهما ، ففتح الله عليهم فتوحا كثيرة وأبلاهم فى ذلك الوجه بلاء جميلا ، وكان لخالد فى ذلك

---

(١٦٩) الطبرى حـ ٩ ص ٣٢٦ ، ٣٣٤ ، ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ابن الأثير حـ ٦ ص ١٥ ، ٢٠ ، ٢١ ، اليعقوبى حـ ٣ ص ١٣٥ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧٦ ، ١٩٧ ـ ٨

بسمالو أثر جميل لم يكن لاحد » • ذلك أن هرون بعد أن قطع الدرب وبلغ جيحان ودع اباه وسار حتى نزل سمالو فأقام عليها ٣٨ ليلة نصب عليها المجانيق حتى فتحت بعد تخريبها وتجويعها وبعد خسائر فى جانب المسلمين « وكان فتحها على شروط شرطوها لأنفسهم : لا يقتلوا ولا يرحلوا ولا يفرق بينهم ـ فأعطوا ذلك » • وأنزل أهل سمالو ببغداد على باب الشماسية فسمي موضعهم بنفس الاسم • أما المهدى فقد أتته بحلب حيث نزل بقصر بطياس فى ظاهرها بشرى قتل المقنع الثائر فى خراسان الذى كان يقلق الدولة ، كما تولى قتل الزنادقة الذين جيء بهم من هذه المنطقة في دابق ، وارتاد المدينة التى تسمى المهدية ثم سار الى بيت المقدس وصلى فيه • وكان للمهدى اجراءات ادارية خلال رحلته هذه فولى ابنه هرون المغرب كله واذربيجان وأرمينية وجعل كاتبه على الخراج ثابت بن موسى وعلى رسائوله يحيى بن خالد ، كما عزل المهدى عند مقدمة عبد الصمد بن على عن ولاية الجزيرة لأنه لم يتلقه ولم يهيىء له نزلا أو قناطر اثر مشادة بينهما عند حصن مسلمة وولى زفر بن عاصم ، ثم عزله وولى عبد الله بن صالح بن على وقيل على بن سليمان ابن على • (١٧٠)

على أن الحملة الكبرى التي برز فيها هارون فى عهد أبيه المهدى كانت سنة ١٦٥ هـ سنة٧٨٢م وان كان اليعقوبى يقدمتاريخها عاما وكان عبد الكبير بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قد غزا من درب الحدث ، فأقبل اليه ميخائيل البطريق فى نحو تسعين الفا فيهم طازاذ الأرمنى البطريق ، ففشل عنه عبد الكبير ومنع المسلمين من القتال، نغضب لذلك المهدى واراد قتله فكلم فيه فاكتفى بحبسه . فانفذالمهدى هارون ومعه الربيع مولاه على رأس جيش ضخم مزودا بأموال طائلة « فوغل فى بلاد الروم ، فافتتح ماجدة • ولقته خيول (نقيطا) قومس القمامسة فبارزه يزيد بن مزيد فضربه يزيد حتى أثخنه ، وانهزمت الروم وغلب يزيد على عسكرهم وسار **الى الدمستق بنقمودية وهو صاحب المسالح** ، وسار هرون حتى بلغ خليج البحر الذى على القسطنطينية ، وصاحب الروم يومئذ اغسطة امرأة اليون ـ وذلك أن ابنها كان صغيرا قد هلك أبوه وهو فى حجرها فجرت بينها وبين هرون الرسل والسفراء فى طلب الصلح والموادعة واعطاء الفدية • فقبل ذلك منها هرون ، وشرط

---

(١٧٠) الطبرى حـ ٩ ص ٣٤٢ : ٥ ، ابن الأثير حـ ٦ ص ٢٢ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧٨ ، اليعقوبى حـ ٣ ص ١٢٩ ، ١٣٥ ، ابن العديم : زبدة الحلب ص ٦٠ ـ ١
Gaudefroy-Demombynes, Platenov: Le Monde Musulm. et Byz., pp. 279-280, 322-3.

عليها الوفاء بما أعطت له ، وأن تقدم له الادلاء والاسواق فى طريقه ـ وذلك أنه دخل مدخلا صعبا مخوفا على المسلمين ، فأجابته الى ماسال » ٠ وهكذا عاد هرون بعد أن وصلت قواته الى البسفور ـ خرسوبوليس Chrysopolis (اسكدار) كما يذكر تيوفانيس ، وأجبرت ايرين التى كانت تحكم باسم ابنها قسطنطين السادس (٧٨٠ : ٧٩٧ م) على **طلب الصلح بمعاهدة فى غاية الاذلال لبيزنطة** « والذى وقع عليه الصلح بينه وبينها تسعون أو سبعون الف دينار تؤديها فى نيسان الأول فى كل سنة وفى حزيران ٠٠ ووجهت معهم رسولا الى المهدى بما بذلت على أن تؤدي ما تيسر من الذهب والفضة والعرض ، وكتبوا كتاب الهدنة الى ثلاث سنين ، وسلمت الأسارى » ٠ وتدل الاحصاءات العديدة التى يقدمها الطبرى على ضخامة هذه الحملة ، فعدد الأسرى ٥٦٤٣ ، والقتلى ٥٤٫٠٠٠ ، وقد قتل من الأسرى ٢٠٩٠ ، وغنمت ٢٠٫٠٠٠ دابة بأدواتها وذبح ١٠٫٠٠٠ رأس من البقر والغنم ٠ وبلغت المرتزقة ـ سوى المطوعة وأهل الأسواق ـ ١٠٠٫٠٠٠ وبيع البرذون بدرهم ، والبغل بأقل من عشرة دراهم ، والدرع بأقل من درهم ، و ٢٠ سيفا بدرهم ٠

وقد سجل مروان بن أبى حفصة ذكرى هذه الغزوة فخاطب الرشيد بقوله :

أطفت بقسطنطينية الروم مسندا	اليها القنا حتى اكتسى الذل سورها
ومارمتها حتى أتتك ملوكها	بجزيتها والحرب تغلى قدورها

وقفل هارون فى أوائل سنة ١٦٦هـ ، وقدمت الروم بالجزية «وذلك فيما قيل أربعة وستون الف دينار عدد الرومية ، والفان وخمسمائة دينار عربية وثلاثون الف رطل مرعزى » ٠

يقول الدكتور حتى « هذه الحملة هى التى رفعت ذكر هارون ، وكانت آخر مرة وقف فيها جيش عربى أمام أسوار العاصمة المتكبرة » وكانت جملة الحملات التى وجهت الى بيزنطة أربع : ثلاث منها فى عهد الأمويين ايام معاوية وسليمان وحملة هارون هى الرابعة ، لكن الروايات التركية تجعل الحصارات بين سبعة وتسعة اثنين منها لهارون ٠ وصارت هذه الحملات الاسلامية على القسطنطينية موضوعا لقصص الفروسية العربية خاصة فى فترة الحروب الصليبية ٠

وقد أعقبت هذه الحملة فترة سكون عامى ١٦٦ ، ١٦٧ هـ فلم يكن صائفة للهدنة بين المسلمين والروم » على أنه فى سنة ١٦٨ هـ نقض

الروم الصلح « فكان بين أول الصلح وغدر الروم ٣٢ شهرا ، فوجه على ابن سليمان وهو على الجزيرة وقنسرين يزيد بن بدر البطال فى سرية الى الروم ، فغنموا وظفروا » • على أن اليعقوبى يذكر غزوة لثمامة بن الوليد سنة ١٦٦ هـ وللفضل بن صالح سنة ١٦٧ هـ كما يذكر غزوة لمحمد بن ابراهيم سنة ١٦٨ هـ • وغزو الصائفة سنة ١٦٩ هـ فى عهد **الهادى** معيوف بن يحيى من درب الراهب « وكانت الروم أقبلت مع البطريق الى الحدث فهرب الوالى والجند وأهل الأسواق فدخلها العدو ، ودخل أرض العدو معيوف بن يحيى فبلغ مدينة أشنة فغنم وسبى » • (١٧١)

الجهاد العباسي ضد الروم في ذروته :

الرشيد (١٧٠ : ١٩٣ هـ ـ ٧٨٦ : ٨٠٩م)
الامين (١٩٣ : ١٩٨ هـ ـ ٨٠٩ : ٨١٣م)
المأمون (١٩٨ : ٢١٨ هـ ـ ٨١٣ : ٨٣٣م)
المعتصم (٢١٨ : ٢٢٧ هـ ـ ٨٣٣ : ٨٤٢م)

تزايدت كراهية الناس **لا يرين** بعد أن أزاحت عن طريقها قسطنطين السادس ، وامتلأت سنوات حكمها الخمسة التي حكمتها منفردة (٧٩٧ : ٨٠٢ م) بالمؤامرات • فاستغل الفرصة **نقفور** Nicephorus واستولى على منصب الامبراطورية في سهولة ويسر (٨٠٢ : ٨١١ م) وكان سامى الأصل ان لم يكن عربيا • ويقول المسعودى : « نقفور بن استبراق ملك سبع سنين وثلاثة أشهر في أيام الرشيد ، وهلك أول خلافة الامين •• وقيل انه كان من ولد جفنة من غسان ممن تنصر آباؤه ، وقيل بل من ولد متنصره اياد الذين دخلوا فى أرض الروم من بلاد الجزيرة في خلافة عمر ••• وبايع لابنه استبراق بالملك بعده ، ولم يعهد هذا فيمن سلف من ملوك الروم ، وكانت كتبه تصدر من نقفور واستبراق ملكى الروم ، وكانت ملوك الروم قبله تحلق لحاها فأبى ذلك نقفور •• وكانت مرتبته قبل ان **يلي الملك (لغثيط) وهى ولاية ديوان الخراج**• وكانت ملوك الروم تكتب على كتبها من فلان ملك النصرانيـــة ، فغير ذلك نقفور وكتب ملك الروم •• وأنكر على الروم تسميتهم العرب (ساراقينوس) تفسير ذلك عبيد سارة طعنا منهم على هاجر وابنها اسماعيل •• وكان مقتل نقفور فى حرب كانت بينه وبين برجان فى سنة ١٩٣ هـ » وقد ذكر الطبرى

---

(١٧١) الطبرى حـ ٩ ص ٣٤٥ : ٧ ، حـ ١٠ ص ٢ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ابن الأثير حـ ٦ ص ٢٣ ـ ٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، اليعقوبى : حـ ٣ ص ١٢٩ ، ١٣٥ ، حتى تاريخ العرب ـ ترجمة نافع حـ ٢ ص ٢٧٠ ـ ١ ، History of Syria, p. 447. ، الترجمة العربية حـ ٢ ترجمة د . اليازجى ص ٥١

مقتل نقفور في هذا العام أيضا وهو يقابل سنة ٨٠٩م ، على أن مقتل نقفور كان سنة ٨١١ م في قتال البلغار • وكانت أسرته تسكن في آسيا الصغرى ، ويذكر بعض المؤرخين الشرقيين انه من سلالة جبلة الغساني الذى هرب الى كبادوكيا وتنصر . وولد نقفور في بيسيديا Pisidia وقد استخدم خبرته اعتباره رجل المالية في عهد ايرين لاصلاح الأوضاع المالية عندما صار امبراطورا ، أما بالنسبة للمسألة الأيقونية فانه لم يتخذ لنفسه موقفا محددا في التأييد أو المعارضة • وقد كان نقفور مثار انتقاد كثيرين • غير أن بيورى يحاول أن ينصفه فيذكر انه كان رجلا قويا نزاعا للسيادة نابضا بالحيوية ازاء مصاعب الحكم ، وان كان يبدو في المواربة وما اليها من فنون السياسة والدبلوماسية • وقد كان متحمسا في الدفاع عن امبراطوريته ضد أعدائها في الجبهتين الاسلامية والبلغارية ولكن لم تكن لديه مزايا القائد الماهر ، وأدى نقص كفاءاته الى تعجيل نهايته • وقد كان نقفور سيء الحظ في حملاته الخارجية ، وان كان موفقا في اخماد عدد من الثورات الداخلية ، « وقد الحق الرشيد كثيرا من الأذى بالولايات الآسيوية « وخرب البلاد كلها حتى أنقرة ، ولم يستطع نقفور ان يتخلص منه دون صلح مهين . » وقد غزا نقفور بلغاريا سنة ٨١م ليعاقب ملكها على تخريبه تراقية ، وبعد معركة انتصر فيها الجيش البيزنطى أتاح نقفور فرصة لعدوه يباغته فيها بهجوم ليلى على معسكره . اسقط الامبراطور واتخذ البلغار من رأسه كأسا وتابعوا السير حتى ادرنه ، وجرح ابنه **ستوراكيوس** Stauracius (استبراق المراجع العربية) جرحا شديدا اعجزه عن الاستمرار في الحكم بعد ابيه، والمسعودى يذكر انه ملك شهرين .

وتولى العرش ميشيل الأول زوج اكبر بنات الامبراطور (٨١١ : ٨١٣ م) ٦ وكان ضعيفا ، مال لانصار الايقونات وسمح باضطهاد المهاجرين الشرقيين الذين نقلوا من الحدود البيزنطية لتعمير العاصمة وتراقية ، ولم يوفق في الحرب البلغارية • وتذكر المراجع الاسلامية تولية ميخائيل بن جورجس بعد استبراق بن نقفور ، وتشير الى أنه ختنه على اخته وقد ملك سنتين في أيام الأمين ، ثم وثبت عليه الروم سنة ١٩٤هـ فهرب وترهب ، وهذا العام يقابل سنة ٨١٠م في حين أن عزل ميشيل الأول وقع سنة ٨١٣م •

فنودى بليو الأرمنى (٨١٣ : ٨٢٠م) وكان ضابطا كفئا ، فاقسم يمين الولاء للكنيسة وعني بأسوار العاصمة للصمود في وجه البلغار، وعقد

بالصلح بين الفريقين ، فاستمر السلم ٣٠ سنة وهنا وجد الامبراطور فرصة لمتابعه سياسة محاربة الايقونات باعتدال فأطلق عليه وصف (الحرباء) ، وأشرك ابنه في الحكم لكن لم يرض رفاقه في السلاح عن سياسته ، وهاجمه ميشيل العموري في قداس عيد الميلاد ، ويذكر المسعودى « اليون المعروف بالبطريق ملك سبع سنين وثلاثة أشهر ، وذلك بقية أيام الامين وصدرا من خلافة المأمون ، فاحتال صنائع ميخائيل فاستخلصوه فوثب باليون وهو مفتر فقتله وعاد الملك اليه » • ويذكر الطبرى أن مقتل ليو كان سنة ٢٠٠ هـ وهي تقابل سنة ٨١٥ م في حين أن المعروف أن مقتله كان سنة ٨٢٠م • والطبرى والمسعودى يذكران عودة ميشيل الاول للحكم بعد ليو ، في حين أن الحكم صار الى ميشيل الثاني ويقول المسعودى « ملك تسع سنين في أيام المأمون وقيل أكثر من ذلك ، وقد أتينا على خبره وما كان من أمره وعوده الى الملك ثانية •• » • وتروى الحوليات الاسلامية وفاة ميشيل (ميخائيل) سنة ٢٠٩ هـ وتولية توفيل ، وهي تقابل سنة ٨٢٤م في حين أن التاريخ الصحيح هو ٨٢٩م ، ويكر المسعودى أن توفيل « ملك اربع عشرة سنة بقية أيام المأمون وأيام المعتصم وصدرا من أيام الواثق (١٧٢) » .

ولم تكد الأسرة العمورية تستقر في الحكم حتى واجهت ثورة خطيرة أشعلها توماس في قلب الدولة البيزنطية ، وثورة أخرى أشعلها يوفيموس في صقلية •

ولم تكن الخلافة العباسية أكثر استقرارا ، فان الخلافات استعرت في داخل البيت الحاكم نفسه • وقد تولى الرشيد الخلافة بعد أن مات أخوه الهادى في ظروف مريبة على اثر محاولته العهد بالخلافة الى ابنه من بعده بدلا من أخيه ، ثم ثار النزاع بين ابني الرشيد الأمين والمأمون من بعده، كما تعددت الثورات في المشرق وديار الجزيرة والشام وبلاد المغرب غير أن هذه الفترة تتميز بحملات لامعة ضد الروم خاصة معركة هرقلة أيام الرشيد ، ومعركة عمورية أيام المعتصم • لكن مشاغل العباسيين الداخلية

---

(١٧٢) الطبرى حـ ١٠ ص ١٢٩ ، ١٣٨ ، ٢٣٨ ، ٢٦٩ ، ابن الأثير حـ ٦ ص ٨١ ، ٨٥ ، ١١٨ ، ١٤٣ ، المسعودى : التنبيه والاشراف ص ١٤٣ ـ ٤ ، فازيلييف : العرب والروم ـ ترجمة دكتور شعيرة ـ ذيل اقتباسات من مؤرخى العرب ص ٢٤٤ ـ ٥
Bury, Hist. of the Eastern Rom. Emp. pp. 8-9.
الومان : الامبراطورية البيزنطية ترجمة دكتور بدر ص ١٥٨ : ١٦١ ، رستم : الروم ص ٣١٤ : ٩١ .

ووجهتهم الآسيوية لم تدع لهم فرصة للمضى قدما فى هذا السبيل والاتجاه الى احراز نصر رئيسى حاسم على البيزنطيين ٠

العباسيون يحاربون فى الداخل والخارج :

يمكن اعتبار لرشيد صاحب الحملات الحقيقية ضد الروم منذ تولى العباسيون الخلافة ، وقد تقدمت الاشارة الى حملته فى أواخر أيام المهدى، وهى التى انتهت بصلحه مع ايرين ٠ واستهل عهده سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م **بعزل الثغور عن الجزيرة وقنسرين وجعلها حيزا واحدا وتسميتها العواصم**، كما توالت أخبار **تعمير الثغور وتحصينها واستحداث الجديد منها فى** الحوليات الاسلامية ، فقد بنى **كفر ابيا** بجوار المصيصة ، وقيل ابتدأ بناؤها فى خلافة المهدى وأجرى عليه الرشيد تعديلات وحصنها بخندق وسور ٠ كذلك جرت عمارة **طرسوس** وأشخص اليها السكان : من أهل خراسان (٣٠٠٠) والمصيصة (٢٠٠٠) وانطاكية (١٠٠٠) ، وذلك بعد اتمام بنائها سنة ١٧٢هـ على أيدى أبى سليم فرج الخادم التركى مع زيادة فى العطاء والاقطاع ٠ وفى سنة ١٨٠هـ أمر الرشيد ببناء **عين زربى** (أو عين زربة) وتحصينها وندب اليها ندبة من أهل خراسان ٠ وفى سنة ١٨٣هـ أمر ببناء **الهارونية** وشحنها ـ وقيل بدأ ذلك فى خلافة المهدى ٠ وكانت **الكنيسة السوداء** ذات حصن رومى قديم فأعاد الرشيد بناء المدينة وتحصينها وشحنها بعد اغارة الروم عليها ، كما جرى تعمير مدينة الحدث بعد أن اضرت بها الثلوج والأمطار وبنى حصن زبطرة(١٧٣)٠ وكان الرشيد يشخص من بغداد للاقامة فى بلدان الجزيرة ، خرج سنة ١٧٤هـ الى باقردى وبازبدى وبنى بباقردى قصرا سنة ١٧٤هـ ، كما كان يذهب الى الرقة كثيرا واتخذها وطنا (١٧٤) ٠

وكانت الحروب بين الامبراطورية والخلافة حملات دورية متتابعة ، لا تعدو الاحداث الرئيسية فيها احتلال القلاع القائمة على ممرات طوروس وطورس الداخلية أو معاودة احتلالها اثر التخلى عنها ، وبين وقت وآخر قد تستطيع حمله أوسع نطاقا أن تدمر مدينة هامة ٠ وتسجيل هذه العمليات الحربية التى تجرى على وتيرة واحدة يبدو بشكل أوفى فى

---

(١٧٣) الطبرى حـ ١٠ ص ٥٠ ، ابن الأثير حـ ٦ ص ٤٠ ، ٥٥ ، ٤٧ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧٣ ، ١٧٦ ـ ٧ ، ١٧٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، اليعقوبى حـ ٢ ص ١٥٣

(١٧٤) الطبرى حـ ١٠ ص ٥٢ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ابن الأثير حـ ٦ ص ٤٣ ، ٥٥ ، ٦٠

الحوليات العربية منه فى اليونانية. ومن العبث والاملال أن تعاد تفاصيل هذه الحملات السنوية وتكفى متابعة التغيرات الهامة فى سير الأمور .

لقد سكن القتال فى خلال السنوات الأخيرة القليلة من حكم ايرين، ويبدو ان الامبراطورية توخت السلامة بدفع الجزية السنوية للخليفة. **وتتميز هذه الفترة من عهد العباسيين بخروج الخلفاء بانفسهم للغزو بجانب قوادهم** . وفى الغزوات المتتابعة ما بين سنة ١٧٠هـ ، و ١٨٦ هـ (٧٨٦ : ٨٠٢م) ظهر من القواد سليمان بن عبد الله البكائى، واسحق ابن سليمان بن على ، ومحمد بن ابراهيم وعبد الملك بن صالح وابناه عبد الرحمن والفضل ، وعبد الرزاق بن عبد الحميد التغلبى ، ومعاوية ابن زفر بن عاصم ، وتختلف القائمة التى يقدمها الطبرى وابن الأثير لقواد الحملات الدروية عن قائمة اليعقوبى ، هذا ويظهر أن القواد كانوا يورثون أبنائهم مهام الغزو . وقد روى ان الرشيد غزا بنفسه سنة١٧٠هـ، كما أنه غزا سنة ١٨١ هـ فافتتح حصن الصفصاف وبلغ عبد الملك بن صالح فى نفس السنة أنقرة وافتتح مطمورة ، وتلاه ابنه فى العام التالى فبلغ افسوس . وفى سنة ١٨٦ هـ **بايع الرشيد للقاسم ابنه وسماه المؤتمن وولاه الجزيرة والثغور والعواصم واشخصه الى منبج فأنزله اياها بما انضم اليه من القواد والجند ، واغزاه الصائفة فى العام التالى « فوهبه لله وجعله قربانا ووسيلة »** .

وقد كان المسلمون يعانون من الظروف الطبيعية القاسية فى منطقة الحدود الاسلامية البيزنطية . ومن ذلك شدة البرد حتى يقال انه قطع أيديهم وأرجلهم فى حملة سنة ١٧٥ هـ ، ومن أجل ذلك نجد أن الغزوات كانت فى غالبها صائفة ، وان كانت شاتية فى بعض الأحيان . كذلك كانت منطقة الثغور والعواصم معرضة للزلازل ، ومن ذلك حدث سنة ١٨٧ هـ اذ « زلزلت المصيصة ، فانهدم بعض سورها ونضب ماؤهم ساعة من الليل » . هذا وقد كان العباسيون يولون أولاد عمومتهم منطقة الثغور والعواصم أو الجزيرة أو الشام ، ولكن الخلافات بين الخلفاء وأقاربهم كثيرا ماكانت تؤدى الى عدم الاستقرار الادارى فى المنطقة وكثرة التولية والعزل ، فقد غضب المنصور على صالح بن على الذى تولى الشام بعد عبد الله بن على وعلى غيره من ولد على بن عبد الله بن عباس ، كما عزل آخاه العباس بن محمد عن الجزيرة وغرمه مالا وحبسه سنة ١٥٥هـ اذ كان قد اصطدم بيزيد بن اسيد - وغضب المهدى على عبد الصمد بن على الذى كان على الجزيرة سنة ١٦٣هـ . وولى الرشيد

عبد الملك بن صالح الثغور والعواصم فى أوائل خلافته وكان مقره منبج ثم عزله ، ولكن أعاده بعد ذلك ثم عزله مرة أخرى بسعاية ابنه وكاتبه ٠ فظل محبوسا منذ سنة ١٨٧ هـ حتى أطلقه الأمين ، وعقد له على الشام ، فكانت ولايته الثالثة ، ولم يزل بالرقة حتى مات ٠

ويتحدث ابن الأثير **عن فداء بين الروم والمسلمين سنة ١٨١ هـ** وهو العام الذى غزا فيه الرشيد « وهو أول فداء كان فى أيام بنى العباس ، وكان القاسم بن الرشيد هو المتولى له ، وكان الملك نقفور ٠ ففرح بذلك الناس ٠ ففودى بكل أسير فى بلاد الروم ، وكان الفداء باللامس على جانب البحر بينه وبين طرسوس ١٢ فرسخا ٠ وحضر ثلاثون ألفا من المرتزقة مع ابى سليمان فرج الخادم متولى طرسوس ، وخلق كثير من أهل الثغور وغيرهم من العلماء والأعيان ، وكان عدة الأسرى ثلاثة آلاف وسبعمائة وقيل أكثر » ٠ ولكن ابن الأثير مع ذلك يتابع الطبرى فى ذكر فداء سابق على هذا جرى فى عهد المنصور سة ١٣٩ هـ ٠ وربما قصد أن فداء سنة ١٨١ هـ كان أول فداء جرى باللامس وفق نظام معين موضوع لتبادل الأسرى بين المسلمين والروم ٠

وتسجل الحوليات الاسلامية احداثا خطيرة فى سنة ١٨٧ هـ فى سنة ٨٠٣ م ، اذ دخل القاسم ابن الرشيد أرض الروم فاناخ على قرة وحاصرها ووجه العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث فاناخ على حصن سنان وواصل الحصار فبعثت اليه الروم تبذل له ٣٢٠ أسيرا من المسلمين على أن يرحل عنهم فأجابهم ٠ ولكن الحدث الأكبر هذا العام هو **نقض صاحب الروم الصلح الذى كان قد عقد ايام ايرين ، وذلك بعد خلعها وتولية الروم نقفور** « والروم تذكر ان نقفور هذا من أولاد جفنة من غسان ، وأنه قبل الملك كان يلى ديوان الخراج ٠٠٠٠ فذكر ان نقفور لما ملك واستوثقت له الروم بالطاعة كتب الى الرشيد : من نقفور ملك الروم الى هرون ملك العرب أما بعد ، فان الملكة التى كانت قبلى اقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق ، فحملت اليك من أموالها ما كنت حقيقا بحمل أمثالها اليها ، لكن ذاك ضعف النساء وحمقهن ٠ فاذا قرأت كتابى فاردد ماحصل قبلك من أموالها ، وافتد نفسك بما يقع به المصادرة لك ، والا فالسيف بيننا وبينك ٠ فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزه الغضب حتى لم يمكن أحدا أن ينظر اليه دون أن يخاطبه ، وتفرق جلساؤه خوفا من زيادة قول او فعل يكون منهم ، واستعجم الرأى على الوزير من أن يشير عليه او يتركه يستبد برأيه دونه ـ فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب : بسم الله

الرحمن الرحيم : من هرون أمير المؤمنين الى نقفور كلب الروم ـ قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ماتراه دون أن تسمعه وسار الرشيد من يومه حتى هاجم هرقلة ، ففتح وغنم وخرب وحرق لتأديب امبراطور الروم، وكان نقفور وقتها مشغولا باخماد ثورة داخلية هى ثورة باردنسBardanes فلم يكن مهيئا للقائه • فعرض دفع الجزية سنويا اذا ما انسحب الجيش المتقدم من الأبواب القيليقية الى هرقلة ، ووافق الرشيد مكتفيا بما أحدثه فى أرض عدوه من تخريب وما كبده اياه من خسائر • وما كاد الرشيد يرجع ادراجه الى الفرات ويصل الرقة حتى أتت الأنباء بنقض نقفور العهد « وكان البرد شديدا ، فيئس نقفور من رجعته اليه » واحتال وزراء الرشيد على ابلاغه الخبر « اشفاقا عليه وعلى أنفسهم من الكرة فى مثل تلك الأيام » ، فدسوا له شاعرا يقول :

نقض الذى أعطيته نقفور — وعليه دائرة البوار تدور
نقفور انك حين تغدر ان نأى — عنك الامام لجاهل مغرور
ان الامام على اقتسارك قادر — قربت ديارك ام نأت بك دور
ملك تجرد للجهاد بنفسه — فعدوه ابدا به مقهور

فلما فرغ الشاعر من انشاده قال الرشيد : أوقد فعل نقفور ذلك ؟ « فكر راجعا فى أشد محنة وأغلظ كلفة ، حتى أناخ بفنائه فلم يبرح حتى رضى » • وقال فى ذلك أبو العتاهية :

الا نادت هرقلة بالخراب — من الملك الموفق بالصواب
غدا هرون يرعد بالمنايا — ويبرق بالمذكرة القضاب

وذكر ان نقفور خرج فى العام التالى للقاء صائفة ابراهيم بن جبريل سنة ١٨٨ هـ سنة ٨٠٤م وكان قد دخل أرض الروم من درب الصفصاف وقتل كثيرا من الروم وغنم دوابهم • على أن نقفور « ورد عليه من ورائه امر صرفه عن لقائه ، فجرح ثلاث جراحات ، وانهزم • وقتل من الروم اربعون الفا وسبعمائة وأخذ أربعة آلاف دابة » • وكان القاسم بن الرشيد مرابطا بدابق • وجرى فداء للأسرى فى سنة ١٨٩ هـ « فلم يبق بأرض الروم مسلم الا فودى به » وقال فى ذلك مروان بن أبى حفصة •

وفكت بك الأسرى التى شيدت لها — محابس مافيها حميم يزورها
على حين اعيى المسلمين فكاكها — وقالوا سجون المشركين قبورها

على أن الروم استعادوا نشاطهم وخرجوا سنة ١٩٠ هـ سنة ٨٠٦ م فاغاروا على عين زربة والكنيسة السوداء ، وأسروا بعض المسلمين

واستاقوا مواشيهم لكن نجح أهل المصيصة فى انجاد اخوانهم واستنقاذ ما بأيدي الروم • وخرج الرشيد ليشفى نفسه من نقفور وغدره فى حملة تصور ضخامتها الحوليات الاسلامية « وبث الجيوش والسرايا بأرض الروم ، وكان دخلها فيما قبل فى ١٣٥ الف مرتزق ـ سوى الأتباع والمطوعة ومن لاديوان له • واناخ عبد الله بن مالك على **ذى الكلاع** ، ووجه داود بن عيسى بن موسى سائحا فى أرض الروم فى ٧٠ الفا • وافتتح شراحيل بن معن بن زائدة **حصن الصقالية ودبسة** ، وافتتح يزيد بن مخلد **الصفصاف وملقوبية** • وكان فتح الرشيد هرقلة فى شوال ، وأخربها وسبى أهلها بعد مقام ثلاثين يوما عليها • ثم سار الرشيد الى الطوانة ، فعسكر بها ثم رحل عنها وخلف عليها عقبة بن جعفر وأمره ببناء فنزل هنالك » • **وهكذا استولى الرشيد على عدد من القلاع الهامة ، وهرقلة ، وطوانة الى الشمال من لؤلؤة على الطريق الى قيصرية ، وقد حولها الى مركز احتلال دائم** • وقد ابلى المسلمون بلاء حسنا فى حصار هرقلة واستعملوا النار فى المنجنيقات • ويروى المسعودى أن الرشيد كان قد نصحه ناصح بأن هرقلة نقطة عسكرية لا غنيمة ترجى من ورائها وقيل له « هذا حصن بنته الروم فى نحر الدروب ، وجعلته ثغرا ـ وليس بالآهل ، فان انت فتحته لم يكن فيه ما يعم المسلمين من الغنائم » • على ان الرشيد قد سمع رأيا آخر يقول ان « هذا أول حصن لقيت من حصون الروم ، وهو فى نهاية المنعة ، فان نزلت عليه وسهل الله فتحه لم يتعذر عليك فتح حصن بعده » • وقد انتهت حملات الرشيد باتفاق مع نقفور « وكان نقفور اشترط الا يخرب ذا الكلاع ولا صملة ولا حصن سنان واشترط الرشيد عليه الا يعمر هرقلة ، وعلى أن يحمل نقفور ثلاثمائة الف دينار» •

وقد اتخذ الرشيد قلنسوة مكتوبا عليها (غاز حاج) وتعتبر جملته هذه أقصى ما وصل اليه النفوذ العباسى ، وقد اثنى على الرشيد ابو المعالى الكلابى بقوله :

فمن يطلب لقاءك أو يرده   فبالحرمين او أقصى الثغور

ومن طريف مايروى ان نقفور كتب مع بطريقين من عظماء بطارقته رسالة الى الرشيد فى جارية لابنه من سبى هرقلة واستهداه طيبا وسرادقا فأمر الرشيد بارسال الجارية والهدايا ، ورد نقفور بهدايا أخرى •

وظهرت أخبار **النشاط البحرى الاسلامى** أيضا فى ذلك العام ، فقد ولى الرشيد حميد بن معيوف سواحل بحر الشام الى مصر « فبلغ قبرس ـ وكان أهلها قد نقضوا العهد ، فهدم وحرق وسبى من أهلها ستة عشر

الفا ، فأقدمهم الرافقة فتولى بيعهم ابو البختري القاضي فبلغ اسقف قبرص الفي دينار » • وازاء هذا النجاح في حملات البر والبحر ، يعقب مؤرخو الحوليات على حوادث العام بأن نقفور بعث الى الرشيد « بالخراج والجزية عن رأسه وولى عهده وبطارقته وسائر أهل بلده خمسين الف دينار » •

وفي العام التالي سنة ١٩١ هـ سنة ٨٠٧ م غزا يزيد بن مخلد الهبيري أرض الروم « فأخذت الروم عليه المضيق فقتلوه على مرحلتين من طرسوس في خمسين رجلا ، ورجع بقية الجيش وكان عشرة آلاف • فاغزى الرشيد الصائفة هرثمة بن اعين في ثلاثين الفا من جند خراسان ومعه مسرور الخادم ـ اليه النفقات وجميع الأمور خلا الرئاسة « ومضى الرشيد الى درب الحدث ، فرتب هنالك عبد الله بن مالك ، ورتب بسعيد بن مسلم بن قتيبة بمرعش فأغارت الروم عليها وأصابوا من المسلمين ، وبعث محمد بن يزيد بن مزيد الى طرسوس ، ثم انصرف الرشيد الى الرقة » •

ولم يجد الرشيد فرصة لمتابعة حملاته ضد الروم ، اذ منعته الفتن في ممتلكاته الشرقية وبخاصة خلال العامين الأخيرين من حكمه سنة ١٩٢ ـ ٣ هـ سنة ٨٠٨ ـ ٩ م حين خالف رافع بن ليث بن نصر بن سيار بسمرقند من مواصلة جهاده ضد الروم بنفس النشاط • فلا نجد في الحوليات الاسلامية خلال تلك الفترةسوى أنباء **الفداء بين المسلمين والروم** على يدى ثابت بن نصر بن مالك ، وقد ولى الثغور فغزا فافتتح مطموره • وجرى الفداء بالبدندون ، وكان عدد أسرى المسلمين ٢٥٠٠ أسير . ثم جاءت أحداث الصراع بين الأمين والمأمون ، فأمنت الامبراطورية البيزنطية طيلة عدة سنوات من أى هجوم خطير ، حتى ذكر الطبري في آخر اخبار سنة ١٩١ هـ « **ولم يكن للمسلمين بعد هذه السنة صائفة الى سنة ٢١٥ هـ (١٧٥)** » •

وكانت الجبهة الارمينية المتاخمة للجبهة البيزنطية مثار متاعب للمسلمين « وكانت ارمينية قد انتقضت بعد وفاة المهدى ، فلم تزل

---

(١٧٥) الطبري حـ ١٠ ص ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ـ ٤ ، ٦٢ ، ٥٦ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢ ٣ ، ٨٩ : ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٧ : ١٠٠ ، ١٠٨ ـ ٩ ، ابن الأثير حـ ٦ ص٤٠ ، ٤٣ ، ٥٢، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٤ ـ ٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ـ ٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٣ ـ ٧٤ ، ٧٥ ، اليعقوبي حـ ٣ ص١٦١ ، البلاذري : فتوح البلدان ص ١٨٧ ، ابن العديم : زبدة الحلب حـ١ ص ٦٢ : ٤ ، المسعودي : مروج الذهب حـ ٢ ص ٢٠٤ : ٨ ، دكتور جومرد : هرون الرشيد حـ ٢ ص ٥٢١ : ٥ ، حتى : تاريخ العرب حـ ٢ ص ٣٧١ ـ ٢

Bury : Hist. of the Eastern Rom. Emp., pp. 24z-251.
Brockelmann : Hist. of the Islamic Peoples, pp. 115-6.

منتقضة أيام موسى ، فلما ولى الرشيد خزيمة بن خازم التميمى ارمينية اقام بها سنة وشهرين وضبطها وصلحت البلاد واعطى أهلها الطاعة ... ثم وليها يزيد بن مزيد الشيبانى فضبطها اشد ضبط ، حتى لم يكن أحد يتحرك » لكن الولاة الذين تتابعوا على أرمينية قد تفاوت حظهم من النجاح ، فالفضل بن يحيى البرمكى قد هزم هناك ، ولم تفلح شدة يحيى الحرشى فى قمع الاضطرابات « فولى الرشيد سعيد بن مسلم بن قتيبة الباهلى فلما قدم البلد تلاءمت الناس شهورا ، ثم تعبث بالبطارقة فخالف عليه الباب والابواب ووثبوا بعاملة فقتل سعيد بن مسلم صاحب الباب والابواب ، فوثب ابنه وكشف رأسه للمعصية وكتب الى خاقان ملك الخزر ، فزحف اليه ملك الخزر فى خلق عظيم فأغار على المسلمين ، فقتل وسبى خلقا عظيما وحرق البلاد وقتل النساء والصبيان » . وقد دخل الخزر ارمينية (من الثلمة) كما يذكر الطبرى . وفى سنة ١٨٣ هـ ولى الرشيد يزيد بن مزيد ارمينية مع اذربيجان وقواه بالجند ، وأنزل خزيمة بن خازم نصيبين ردءا لأهل ارمينية لمواجهة هذا الخطر الداهم الذى بلغ من شدته أن قيل ان الخزر قد سبوا أكثر من مائة الف « فانتهكوا امرا عظيما لم يسمع فى الاسلام بمثله » كما يقول الطبرى وقد حاول يزيد بن مزيد أن يصلح ما افسده سعيد ويخرج الخزر ويسد الثلمة التى نفذوا منها « فلما قدم تلاءمت الناس ، واصلح البلاد وساوى بين النزارية واليمانية ، وكتب الى أبناء الملوك والبطارقة يبسط آمالهم فاستوى البلد » ـ كما يذكر اليعقوبى . على أن ارمينية بقيت مع ذلك مثارا للاضطرابات الدائمة ويعبر عن ذلك البلاذرى بقوله : « ولم يزل بطارقة أرمينية مقيمين فى بلادهم يحمى كل واحد منهم ناحيته ، فاذا قدم الثغر عامل من عماله داروه ، فان رأوا منه عفة وصرامة وكان فى قوة وعدة أدوا اليه الخراج واذعنوا له بالطاعة ، والا اغتمزوا فيه واستخفوا بأمره » (١٧٦) .

وقد ثارت **العصبية بين اليمانية والقيسية** من جديد فى عهد العباسيين ، وظهرت فى اذربيجان وارمينية « وولى المنصور اذربيجان يزيد بن حاتم المهلبى فنقل اليمانية من البصرة اليها وكان أول من نقلهم ... وفرق قبائل اليمن ... ثم ولى الرشيد يوسف بن راشد السلمى فنقل الى البلد جماعة من النزارية وكان الغالب على ارمينية

---

(١٧٦) اليعقوبى حـ ٣ ص ١٥٦ : ٩ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢١٧ ـ ٨ ، الطبرى حـ ١٠ ص ٧٠ ، ابن الأثير حـ ٦ ص ٥٨ .

اليمانية ، ثم ولى يزيد بن مزيد الشيباني فنقل اليها ربيعة من كل ناحية حتى هم اليوم الغالبون عليها (١٧٧) » ٠

وقد روى فى أخبار بناء الرصافة فى الجانب الشرقى من بغداد أن قثم بن العباس استثار اليمن على مضر بتفضيله مضر ليتخذ ذلك ذريعة لاقامة ابن الخليفة بجانب من الجيش فى الرصافة وذلك سنة ١٥١هـ « فنفر الحيان ٠٠٠٠ وافترق الجند فصارت مضر فرقة واليمن فرقة والخراسانية فرقة وربيعة فرقة ، فقال قثم لأبى جعفر : قد فرقت بين جندك ، وجعلتهم أحزابا ـ كل حزب منهم يخاف أن يحدث عليك حدثا فتضربه بالحزب الآخر (١٧٨) » ٠

كذلك تجدد النزاع بين القيسية واليمانية فى الشام أيام الرشيد ، وكانت بداية ذلك سنة ١٧٤ هـ ، ثم تكرر ذلك سنة ١٧٦ هـ **فهاجت الفتنة بدمشق وكان راس المضرية ابو الهيذام** عامر بن عمارة ابن خزيم ٠ وكان سبب الفتنة ان عاملا للرشيد بسجستان قتل أخاه ، كما كانت تستثير المنازعات أسباب تافهة حتى قيل ان منازعة قامت من أجل بطيخة فى بستان لرجل من لخم أو جذام أخذها رجل من بنى القين ٠ وعزل عبد الصمد عن دمشق واستعمل عليها ابراهيم ابن صالح بن على وكان ميله مع اليمانية ، فاستمر النزاع واستشرى حتى استولى أبو الهيذام على دمشق واستمد المضرية ، كما تجمعت اليمانية ودار القتال بين الفريقين ٠ وانهزمت اليمانية مرة بعد اخرى وانتصرت المضرية على جند اسحاق بن الوالى ابراهيم بن صالح ٠ **وامتد النزاع الى حمص** حيث أغار أهلها على قرية لأبى الهيذام ، فأرسل اليهم طائفة من أصحابه فانتصروا عليهم ٠ فأرسل الرشيد جيشا عليه السندى فأخبره ابو الهيذام انه على الطاعة فصولح ابو الهيذام ، ولكن تجدد القتال حين قدم موسى بن عيسى واليا على دمشق وأراد أن يباغت ابا الهيذام وكان قد قصد بصرى ٠ وأخيرا سكنت الفتنة لتتجدد سنة ١٨٠ هـ ، فولى الرشيد جعفر بن يحيى الشام ليعالج هذه الخلافات العصبية « فأصلح بينهم وقتل زواقيلهم والمتلصصة منهم ، ولم يدع بها رمحا ولا فرسا فعادوا الى الأمن والطمأنينة فأطفأ تلك الثائرة » ٠ ومات ابو الهيذام سنة ١٨٢ هـ ولكن تجددت المنازعات سنة ١٨٧ هـ والوالى على دمشق شعيب بن خازم بن خزيمة وذكروا منه تعصبا ، فوجه الرشيد

---

(١٧٧) اليعقوبى جـ ٣ ص ١٠٧ ، ١٥٦ ٠

(١٧٨) الطبرى جـ ٩ ص ٢٨٢ ، ابن الأثير جـ ٥ ص ٢٤٣ ٠

محمد بن منصور ابن زياد وأمره بدعاء الفريقين الى الرجوع • وفي سنة ١٩٠ هـ وثب أهل حمص بواليهم فخرج الرشيد نحوهم « فلما صار بمنبج لقيه وفدهم يعطون بأيديهم ويسألون ، فعفا عنهم » • كما أرسل الرشيد يحيى بن معاذ لقمع فتنة بالشام فى العام التالى •

وتجدد خلاف أهل حمص فى عهد الأمين سنة ١٩٤ هـ وكان عهدا مضطربا انتهز فرصته كل راغب فى الخروج ، فصرف الأمين اسـحق ابن سليمان عن حمص وولى عبد الله بن سعيد الحرشى « فحسبس عدة من وجوههم ، وضرب مدينتهم من نواحيها بالنار » • على أن الفتنة الخطيرة **بالشام كانت فتنة السفيانى سنة ١٩٥ هـ** وهو على بن عبد الله بن خالد ابن يزيد بن معاوية الملقب بالعميطر ، وكان يقول : أنا ابن شيخى صفين، لأنه كان ينتسب لبنى أمية من جهة أبيه ، ولآل أبى طالب من جهة أمه • وكان أكثر أصحابه من كلب ، **وتعصب له اليمانية وهاجم القيسية** ،وطارد عامل الأمين على دمشق وعاونه المتغلب على صيدا ، لكن **تصدى له محمد بن صالح بن بيهس الكلابى** ، وانتصر عليه • فكتب ابو العميطر الى **السواحل والبقـاع البعلبك وحمص** فأتاه خلق عظيـم • ولكن مرض ابن بيهس فاجتمعت نمير على اموى آخر هو مسلمة بن يعقوب من سلالة مسـلمة ابن عبد الملك ، فتغلب على السفيانى وأدنى القيسية • ثم استأنف ابن بيهس القتال حتى هرب مسلمة والسفيانى من وجهه بعد أن استولى على دمشق سنة ١٩٨ هـ ، وظل حتى قدم عبد الله بن طاهر بعد انتصـار المأمون فدخل دمشق سنة ٢٠٨ هـ وحمله معه الى العراق سنة ٢١٦ هـ •

وقد امتدت نيران العصبية الى شمال العراق فحدثت **وقعة الميدان بالموصل** بين اليمانية والنزارية سنة ١٩٨ هـ ، وهزم النزارية •

وبينما كان زمام الشام يفلت من يد الامين على هذا النحو فى دمشق وحمص ، **اذا بعبد الملك بن صالح الذى كان قد حبسه الرشيد وأطلقه الامين سنة ١٩٣ هـ يقنعه بورقيام بمحاولة للانتصار بأهل الشـام فى حربه ضد المأمون** قائلا ان « أهل الشام قوم قد ضرستهم الحروب وأدبتهم الشدائد ، وجدهم منقاد الى مسارع الى طاعتى » فولاه الامين الشـام والجزيرة ، فلما بلغ الرقة أنفذ رسله الى القواد والوجوه « فلم يبق أحد ممن يرجى ويذكر بأسه وغناؤه الا وعده وبسـط له فى أمله • فقدموا رئيسا بعد رئيس وجماعة بعد جماعة ـ فكان لايدخل عليه أحد الا أجازة وخلع عليه فأتاه **أهل الشام والزواقيل والاعراب** من كل فج » • ثم نشب احتكاك بين جند من أهل خراسان وبين الزواقيل ،وأخذ الفريقـان

يتجمعان . ولكن تخوف أهل الشام مغبة الصراع « فقـال **رجل من أهل حمص** : ... انكم بعدتم عن بلادكم وخرجتم من أقاليمكم ترجون الكثرة بعد القلة والعز بعد الذلة... النفير النفير، قبل أن ينقطع السبيل!» وقال **رجل من كلب** « انكم لتعرفون مواقع سيوف أهل خراسان فى رقابكم . اعتزلوا الشر قبل أن يعظم ،وتخطوه قبل أن يضطرم شأمكم . داركم داركم، الموت الفلسطينى خير من العيش الجزرى » . واستنهض **رجل من تغلب فقال** « والله ما أنا من قيسها ولا يمنها ، ولا كنت فى أول هذا الأمر لأشهد آخره » **فانهزم أهل الشام أمام أهل خراســـان ، وكان من بين المنهزمين نصر بن شبث الذى سيقود ثورة فى عهد المأمون** ، وعمرو السلمى والعباس بن زفر . وفى هذا الوقت المضطرب **اراد عرب حاضر** حلب من تنوخ وغيرهم اخراج اهل حلب ، فاستنجد الهاشميون من أهلها بقبائل العرب حولهم فانجدهم العباس بن زفر بن عاصم الهلالى ويعقوب بن صالح الهاشمي وتم اجلاء أهل الحاضر الى قنسرين ، فلما أرادوا التغلب عليهـا أخرجهم أهلها عنها « فتفرقوا فى البلاد ، فمنهم قوم قدم بتكريت وقوم بارمينية وفي بلدان كثيرة متباينة » .

ثم قامت فتنة أموية جديدة فى أول عهد المأمون ، اذ خرج **سعيد بن خالد الأموى وتعصب لليمن وادعى الخلافة ، فتصدى له يحيى بن صالح** ابن بيهس حتى فر ، وهدم حصنه بالفدين فى **حوران** ثم تفرق عند اصحابه. واستمرت فتن الشام فى عهد المأمون ، وقدم عبد الله بن طاهر بن الحسين بغداد « بالمتغلبين على الشام كأبى السرج وابن أبى الجبل وابن ابى الصقر » . حتى اذا كان عهد المعتصم اجتمعت يمن وقيس على خلاف والى دمشق سنة ٢٢٤ هـ ، وفى سنة ٢٢٧ هـ **خرج ابو حرب المبرقع اليمانى بفلسطين** وكان يقعد على الجبال بالنهار متبرقعا ويزعم أنه أموى وقيل انه السفيانى واستجاب له بعض الحراثين « فلما كثرت غاشـيته وأتباعه من هذه الطبقة من الناس دعا أهل البيوتات منهم جماعـة من رؤساء اليمانية » . غير أنه لم يستطع أن يقاوم جيشا عباسيا انتهز فرصة انصراف الزارعين الى زراعتهم .كذلك عصى **أهل حمص** أيام المعتصم وشغبوا على عاملهم الفضل بن قارن، فأمر بقلع الصخر الذى يفرش المدينة، لكنهم أعادوه وحاربوا واليهم « حتى قدروا عليه وأنهبوا ماله ونساءه، وأخذوه وقتلوه وصلبوه » فأرسل الخليفة اليهم موسى بن بغا الكبير مولاه فى حملة تأديبية ، فتصدى له أهل حمص ، « وفيهم خلق من نصـارى المدينة ويهودها فقتل منهم مقتلة عظيمة وهزم باقيهم حتى الحقهم بالمدينة ودخلها جنده ــ وذلك فى سنة ٢٥٠هـ » .

وعلى هذا النحو عاشت الشام هذه الحياة المضـــــطربة فى عهد العباسيين ، ويصور كرد على هذه الفتن والقلاقل فيقول « وهكذا لم يخل عهد السفاح والمنصور والمهدى والهادي والرشيد والامين والمـــأمون من خلفاء بني العباس من فتن مشئومة بالشام ، وبقيت نار العصبيـــــات تتأرجج ، واليمانيون مع الامويين والقيسيون مع العباســـــيين والدعوة للسفياني الذى وعد بارجاع ملك بنى أميـــــة تهب وتنـــــام ۰۰۰۰ حتى ان ابراهيم بن المهـــدى حين ولى دمشق أمر بتصيير أعلى الناس من الجانب الأيمن مضريا وعن شماله يمانيا ومن دون اليمانى مضرى ومن دون المضرى يمانى حتى لايلتصق مضرى بمضرى ولا يمانى بيمانى ،وكانت الحاجة تعرض لبعض الحيين فيسأل قبل أن يقضيها : هل لآحد من الحى الآخر حاجة تشبه حاجة السائل ؟ فاذا عرفها قضى الحاجتين (١٧٩) » !!

وتتابعت الفتن بالموصل والجزيرة خاصة من الخوارج ففى عهـــد الرشيد **خرج الصحصح الخارجى** سنة ١٧١ هـ فانتصر على عسكر محمد بن فروخ وغلب على ديار ربيعة ثم قتل بدورين • **وقتلت تغلب** روح بن صالح الهمدانى من قواد الموصل ، فسار اليهم حاتم بن صالح فهزمهم • وفى سنة ١٧٦ هـ **خرج الفضل الخارجى** بنواحى نصيبين ، وسار الى دارا وآمد وارزن وخلاط فكان يأخذ الأموال وهزم عسكر الموصل عند الزاب ، وقتل أخيرا • وخرج سنة ١٧٧ هـ : ٧٩٣ م **العطاف بن سفيان الأزدى** ، فاجتمع عليه أربعة آلاف مقاتل وغلب على الموصل وجبى خراجها سنتين رغم وجود عامل الرشيد ، وبقى متمردا باطراف الموصل والجزيرة حتى مشى اليه الرشيد بنفسه فهرب الى أرمينية • وهدم الرشيد ســـور الموصل سنة ١٨٢ هـ ، وعزم على قتل أهلها فلم يفتة بذلك ابو يوسف ، فعين عليها يحيى بن سعيد الحرشى الذى اشتط فى كبح جماحها • وفى سنة ١٧٨ هـ خرج **الوليد بن طريف الشارى** بالجزيرة ، ففتك بابراهيم بن خازم بن خزيمة بنصيبين ، ثم مضى الى ارمينية وأذربيجان والناس يفتدون انفسهم بالمال ، ثم رجع الى الجزيرة فى العام التالى واشتدت شوكته وكثر اتباعه • فسير اليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيبانى فكان

---

(١٧٩) الطبرى حـ ١٠ ص ٥٢ ، ٥٩ ــ ٦٠ ، ٦٦ : ٨ ، ١٠٠ ١٣٠ ، ١٥٥ ، ١٦١ ، : ٢، ٢٧٨ ، حـ ١١ ص ٥ ــ ٦ ، ابن الأثير حـ ٦ ص ٤٥ : ٨ ٥٤ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٨١ ، ٨٩ ــ ٩٠ ، ٩٣ ، ١١١ ، اليعقوبى حـ ٣ ص ١٠٦ ، ١٤١ ــ ٢ ، ١٥٩ ، ١٦٨ ، ١٧٤ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٤٠ ــ ١ ، ص ١٥٢ ــ ٣ ، ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١ ص ٦٢ ، كرد على خطط الشام جـ ١ ص ١٨١ ــ ١٦٦ ، ١٨٩ : ١٩٣
Hitti : History of Syria, pp. 540:2.
الترجمة العربية جـ ٢ ترجمة د . اليازجى ص ١٦٥ ــ ٦

بطاوله ، فدس له البرامكة عند الرشيد لقرابة بينه وبين الثائر فكتب اليه غاضبا ، على أن يزيد استطاع فى النهاية أن يقتل الوليد ويهزم اتباعه سنة ١٧٩ هـ • وخرج **خراشة الشيبانى** بالجزيرة سنة ١٨٠ هـ فقتله مسلم بن بكار العقيلى • وخرج **عبد السلام الخارجى** بآمد سنة ١٨٧ هـ ، فقتله يحيى بن سعيد العقيلى •

ولم تقتصر الفتن بالجزيرة على الخوارج ، فقد عصى من **مقدمى الاكراد** سنة ٢٢٤ هـ جعفر بن فهرجس وتبعه كثير من الاكراد ، فاستعمل المعتصم عبد الله بن السيد بن أنس الازدى على الموصل لقتاله «فقصد جبل داسن ، وامتنع بموضع عال فيه لالميرام والطريق اليه ضيق ، فاستظهر جعفر ومن معه من الاكراد على عبد الله لمعرفتهم بتلك المواضع » • فيسير المعتصم ايتاخ فهلك جعفر وكثير من الاكراد ، ونقل كثير منهم الى تكويت وقيل أن حملة ايتاخ كانت سنة ١٢٦ هـ (١٨) •

وكانت أخطر ثورات الجزيرة : ثورة **نصر بن شبث العقيلى** فى وجه المأمون ، وهو الذى كان قد اشترك فى القتال بين عرب الشام وأهـل خراسان بالجزيرة اثناء ولاية عبد الملك بن صالح للأمين على الشـــام والجزيرة • **وكان نصر يتحصن فى كيسوم وسروج** ،ومضت سنوات متتابعة وهو متغلب على منطقته • وخرج عبد الله بن طاهر لقتاله سنة ٢٠٦ هـ سنة ٨٢١ م بعد أن تولى الرقة وديار ربيعة وكتب له أبوه فى أمور السياسة والادارة كتابا شهيرا ، ولما مات طاهر سنة ٢٠٧ هـ صير المأمون عبد الله بن طاهر على عمله فى الجزيرة والمشرق وجمع له الشام وكان مقيما بالرقة يواصل قتال نصر بن شبث وقد أوفد اليه المأمون رجلا من أهل الجزيرة يعطى نصر الأمان ، فاشترط شروطا منها « الا يطأ للمأمون بساطا » ولكن المأمون لم يرض بهذا الشرط ، وكان نصر بن شبث يخشى الغدر « ولم تكن له يد قط يحمل عليها ولا لمن مضى من سلفه ، انما كانوا من جند بنى أمية »

وأصر نصر على القتال مادام لم يقبل شرطة ، وقال عن المأمون « لم يقو على أربعمائة ضفدع تحت جناحه ــ يعنى فتنة الزط ــ يقوى على حلبة العرب ؟ » • وقد أنبىء المأمون أن عبد الله بن طاهر يخرج الى نصر بن

---

(١٨٠) ابن الاثير جـ ٦ ص ٤١ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ــ ٢ ، ٥٥ ، ٦٧ ، ١٨٧ ، الطبرى جـ ١٠ ص ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٨٩ ، جـ ١١ ص ٦ ، اليعقوبى جـ ٣ ص ١٤٢ ، صائغ : تاريخ الموصل جـ١ ص ٧٣ : ٩ •

شبت فيجتمعان ويتحدثان ، فأرسل اليه معنفا • وجد عبد الله في قتال نصر وحصره ويقال أن نصرا لما علم عزم المأمون على القدوم الى بغداد أملى على كاتبه خطابا للبطريق مانويل كما كان يريد التحالف مع الروم ، فلما علم الامبراطور ميشيل بذلك بعث رسله فوصلوا الى كيسوم فوجدوه قد خرج الى سروج ، وأنكر عليه انصاره اتصاله برسل الروم حتى ملأوا نفسه حقدا « فأرسل من قتل رسل الروم » •

ويبدو أن الملحمة الرومية حفظتذكرى ثورة نصر لأن منطقتها كانت منطقة البطل الرومي ديجنيسDigenis (اقليم سميساط) ، وكان نصر يرأس القيسية ، وقد ذكر ميشيل السورى انه كان يعامل المسيحيين برفق ويقول : ليس لى عندكم الا الجزية ، وكل فرد بعد ذلك حر فى اختيار عقيدته ،ويرجح فازيلييف أن نصر هو الذى يسميه الروم تيوفوبوس Theophobos . على أن هناك نصرا آخر يسميه الروم تيوفوب هو قائد الخرمية اللاجئين لبلاد الروم • ويذكر جريجوار أن « تيوفوب التاريخى كان من رجال بابك ، ثم لجأ الى أرض الروم بعد هزيمة بابك الأولى سنة ٨٣٤ م • وكان اسمه فى الحقيقة نصرا وقد دخل فى النصرانية وسمى عند التعميد باسم تيوفوب ، وعهد اليه بقيادة جيش من الحلفاء الخرمية اللاجئين الى الروم ، وقد اذاع الروم كذلك انه ينتمى الى أصل فارسى ملكى ليزيدوا من نفوذه » • ويذكر بيورى (تيوفوبوس) فحسب على ان رواية رومية تجعل تيوفوبوس (نصر) لاجئا ارمينيا • وقد أشارت تعليقات الناشر على كتاب فازيلييف الى أن **بيورى** « **يخلط بين شخصين اسمهما نصر احدهما ثائر عربى وثانيهما قائد بابك**» ومن هنا شك فى ان يكون نصر هو تيوفوبوس • واخيرا أرسل المأمون الى نصر يؤمنه ويحذره عاقبة المعصية قائلا « لأطأن بمن معى من انصار الدولة كواهل رعاع أصحابك ، ومن تأشب اليك من أدانى البلدان وأقاصيها وطغامها وأوباشها •**فخرج نصر الى عبد الله بالأمان سنة ٢٠٩هـ ٨٢٥ م ، بعد أن أقام عبد الله على حربه خمس سنين ، وخرجت كيسوم، ووجه نصر مع أنصاره الى بغداد** • وكتب عبد الله الى سائر المتغلبين فى الجزيرة والشامات فطلبوا الأمان « وسار عبد الله ليستقرى الشام بلدا بلدا ، لا يمر ببلد الا أخذ من رؤساء القبائل والعشائر والصعاليك والزواقيل ، وهدم الحصون وحيطان المدن ، وبسط الأمان للأسود والأبيض والأحمر وضمهم جميعا • ونظر فى مصالح البلدان وحط عن بعضها الخراج ـ فلم يبق مخالف ولا خالع الا خرج من قلعته وحصنه ، وسار عبد الله بالقوم جميعا الى مصر » • وقد نجح فى القضاء على الفتن

بمصر واستأمن اليه على بن عبد العزيز الجروى وعبد الله بن السرى بن الحكم ،وأقام مصر سنة ٢١١ هـ واليا عليها وعلى الشام والجزيرة • واتهم بالتشييع للعلويين لكن المأمون كان مستوثقا من طاعته • فى سنة ٢١٣هـ ولى المأمون أخاه أبا اسحق الشام ومصر ، وولى ابنه العباس بن المأمون الجزيرة والثغور والعواصم ، وأمر لكل واحد منهما ولعبد الله ابن طاهر بخمسمائة الف دينار (١٨١) •

ولم تكن هذه الفتن لتجد سبيلها الى الشام والجزيرة على هـــذا النحو الفظيع الا **لأن قلب الدولة نفسه يغلى بالاضطرابات** • ويذكر الطبرى فى صدد عهد الرشيد الى **ابنيه الأمين فالمأمون سنة١٨٢ هـ ثم اضافته ابنه القــاسم** وتســميته المؤتمن سنة ١٨٦ هـ « ولمــا قسم الأرض بين أولاده الثلاثة ــ قال بعض العامة : قد أحكم أمر الملك ، وقال بعضهم : بل قد القى بأسهم بينهم وعاقبه ماصنع مخوفة على الرعية » • واما ابن الأثير فيقول :«وهذا من العجائب، فان الرشيد قد رأى ماصنع ابوه وجده المنصور بعيسى بن موسى حتى خلع نفسه من ولاية العهد ، وما صنع أخوه الهادى ليخلع نفسه من العهد ــ فلو لم يعاجله الموت لخلعه ــ ثم هو يبايع للمأمون بعد الامين ، وحبك للشىء يعمى ويصم » • وبيد الرشيد نفسه غرست جرثومة الخلاف بين الاخوين اذ « اشهد الرشيد من معه من القواد وسائر الناس وغيرهم أن جميع من معه من الجند مضمومون الى المأمون ، وأن جميع ما معه من مال وسلاح وآلة وغير ذلك للمأمون » فعظم ذكر على الأمين ، وأراد أن يحتاط لنفسه بمتابعة أخبار مرض أبيه والمبادرة الى العمل ، فلما اعتلى عرش الخلافة **عزل اخاه القاسم سنة ١٩٤ هـ عما كان ابوه ولاه من الشام وقنسرين والعواصم والثغور** ، كما أمر بالدعاء لابنه موسى بالامرة ، فظهر الفساد بين الأخوين وتبودلت بينهما الكتب دون طائل • واخذ طاهر بن الحسين قائد المأمون يتقدم نحو العاصـــمة ، وحاصر مع هرثمة بن أعين الأمين ســـنة ١٩٧ هـ • وعلى الرغم من انتصـــارات جند الأمين أول الأمر فى واقعتى درب الحجـــارة وباب الشماسية ، فقد استعمل طاهر المكر والدسيسة بجانب الحرب حتى فرق اتباع الأمين عنه • ورجحت كفة المأمون ، **وكان الاقتراح الاخير الذى نصح**

---

(١٨١) الطبرى جـ ١٠ ص ٢٥٧ وما بعدها حتى ١٧٩ ، ابن الاثير جـ ٦ ص ١٣٤ ، ومابعدها حتى ١٥٠ ، اليعقوبى جـ ٣ ص ١٨٣ ، وما بعدها حتى ١٨٨ ، ١٩٨ ، ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١ ص ٦٥ : ٧ ، فازيليف : العرب والروم ــ ترجمة دكتور شعيرة ص ٨٧ ، ١١٣ ، والهامش ، تعليق هنرى جريجوار عن منويل ص ٢٦٢ ــ ٣ ، صائغ : تاريخ الموصل جـ ١ ص ٧٤ ــ ٥ Bury : Hist. of Eastern Rom. Emp. p. 253

به الأمين ان يلحق **بالجزيرة والشام** « فتفرض الفروج وتجبى الخراج وتصير فى مملكة واسعة وملك جديد ، فيسارع اليك الناس وينقطع عن طلبك الجنود » وكان عبد الملك بن صالح قد وجه نظره الى هذه الوجهة ايضا وطلب الاعتماد عليه فى ذلك ، ولكن اضطراب الأمور فى معسكر الأمين منع من تنفيذ هذا الاقتراح ، كما أن طاهر بن الحسين دس لأنصاره أن يصرفوه عن ذلك ٠

وتولى المأمون بعد قتل أخيه فواجه الاضطرابات فى كل ناحية : فقد وثب جند طاهر بقائدهم ، وسخط الناس على تزايد نفوذ **آل سهل**، وقد تسبب الحسن بن سهل وزير المأمون فى مقتل قائد المأمون المخلص هرثمة بن أعين ، كما أبعد طاهر بن الحسين وزاد الاضطرابات بيعة المأمون لعلى الرضا من بعده ، اذ غضب العباسيون لخروج الخلافة من بينهم فبايعوا لابراهيم **بن المهدى** فى بغداد ٠ وأخيرا استمع المأمون لنصيحة الناصحين فشخص من مرو الى بغداد ، واختفى ابراهيم ابن المهدى الذى ظل يحكم بغداد حوالى العامين ٠ وانقطعت الفتن سنة ٢٠٤ هـ وطرح المأمون لباس الخضرة وولى طاهر بن الحسين عمل المشرق ٠

وتتابعت ثورات **العلويين** منذ عهد الرشيد ، فمضى يحيى العلوى الى الديلم واستطاع ادريس أخوه أن يذهب الى المغرب حيث قامت دولة الادارسة بعده ٠ وفى عهد المأمون خرج بالكوفة محمد ابن ابراهيم سنة ١٩٩ هـ المعروف بابن طباطبا وكان قائده أبو السرايا ٠ وفى العام التالى خرج زيد بن موسى بن جعفر بالبصرة وابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق باليمن كما خرج هناك من بعد عبد الرحمن العلوى سنة ٢٠٧ هـ ٠ وفى سنة ٢٠٢ هـ كان العباس بن موسى بن جعفر العلوى يعمل لحساب المأمون بالكوفة بعد أن ولى أخاه عليا عهده ضد ابراهيم بن المهدى الذى تغلب فى بغداد ٠ واقتتل أهل الكوفة وفيهم أبو عبد الله أخو ابى السرايا وعلى بن محمد بن جعفر العلوى وعليهم الخضرة مع العباسيين من أنصار ابراهيم بن المهدى وعليهم السواد ٠ واخيرا تغلب المأمون على ابراهيم بن محمد بن عبد الوهاب الامام المسمى بابن عائشة سنة ٢١٠ هـ كما قبض على ابراهيم بن المهدى فى نفس العام ٠

واضطربت **الزط** ـ واصلهم من الهند (جط) ـ فى أسفل العراق مغتنمين فرصة الفتن المتلاحقة وحرب الأمين والمأمون ، وقد كانوا يقطعون الطريق واضطر العباسيون الى مواجهة هذا الخطر ٠ ففى سنة ٢٠٦ هـ ولى المأمون داود بن ماسجور محاربة الزط وأعمال البصرة والبحرين ،

واستطاع عجيف بن عنبسة سنة ٢١٩ هـ أن يلحق بهم هزيمة ساحقة واستعرض الأسرى فى بغداد يوم عاشوراء سنة ٢٢٠ هـ سنة ٨٣٥ م أمام المعتصم ، « **ثم نقلوا الى الثغر عين زربى فاغارت عليهم الروم فاجتاحوهم** فلم يفلت منهم أحد (١٨٢) » .

وبعد أن فرغ المأمون من معالجة مشكلاته الداخلية أقبل على الالتفات الى شئونه مع الدولة البيزنطية وقد توقف الجهاد ضدها منذ أواخر عهد الرشيد . وقد يكون من دوافع الاهتمام بالجبهة البيزنطية ما كان من تشجيع الروم لاحدى الفتن الداخلية فى الدولة الاسلامية التى أثارها بابك فى ارمينية واذربيجان (١٨٣) . على ان العرب لم يتوانوا بدورهم فى تشجيع الفتن الداخلية فى الدولة البيزنطية .

العرب يستغلون ثورة توماس :

لا تتحدث المراجع العربية عن الثورة الخطيرة التى واجهها ميشيل الثانى ولا عن موقف المسلمين من هذه الثورة ، ولكن مؤرخى التاريخ البيزنطى وبعض المؤرخين الشرقيين غير العرب مثل ميشيل السورى يتكلمون كثيرا عن ثورة توماس وتأييد العباسيين لهذه الثورة . فبعد أن كف العرب عن حملاتهم السنوية ، وذكر الطبرى فى آخر أخبار سنة ١٩١ هـ « ولم يكن للمسلمين بعد هذه السنة صائفة الى سنة ٢١٥ هـ » وفى الوقت الذى كان الأباطرة البيزنطيون أيضا منصرفين عن الافادة من مصاعب الدولة الاسلامية ـ بعد هذه الفترة الطويلة من السكون **ابدى المأمون نواياه العدائية ضد الروم بتاييد ثورة تعرض لها مؤسس الأسرة العمورية ، وكان لدى الامبراطور البيزنطى فرصة مماثلة فى تاييد فتنة بابك فى الدولة الاسلامية** . وميشيل السورى يقول ان المأمون استدعى الثائر توماس واعانه بقوات عربية ليفتح آسيا الصغرى ويسلمها له أو يوقع الاضطراب فيها بالحرب ، وبناء على ذلك يقول فازيلييف « اننا نلاحظ حلفا حقيقيا كاملا بين توماس والعرب ، فلم يكن

---

(١٨٢) الطبرى جـ ١٠ ص ٥٤ وما بعدها ، ص ٦٩ وما بعدها ، ١٢٤ وما بعدها ، ٢٠٦ ـ ٨ ، ٢٢٧ وما بعدها ، ٢٣٢ وما بعدها ، ٢٣٦ وما بعدها حتى ٢٥٨ ، ٢٦٤ ـ ٥ ، ٣٠٦ ، ابن الاثير جـ ٦ ص ٤٤ وما بعدها ، ص ٥٧ وما بعدها ، ٧٩ وما بعدها ، ١٠٩ ، ١١١ وما بعدها حتى ١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٦٤ ، اليعقوبى جـ ٣ ص ١٧٣ ، المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٣٠٧ ، فازيلييف : العرب والروم ترجمة دكتور شعيرة ص ١٩٦ ـ ٧

(١٨٣) Brockelmann : Hist. of the Islamic Peoples, p 124.

وجود الفرق العربية فى جيش توماس اتفاقا ولم يكن دخولهم فيه رغبة فى السلم والغنيمة ، وانما كان المأمون فى ذلك متبعا خطة دقيقة التحديد عدائية للروم. اما بعد هزيمة توماس ، فان الخليفة حقا أجل خطته بسبب الفتن الداخلية الخطيرة الناشبة فى داخل الامبراطورية ، ولكنه عاد مرة أخرى الى الحرب الجدية مع جيرانه الغربيين فى السنين الأربعة الأخيرة من خلافته » • ويقول بيورى : ان الخليفة المأمون فوض أشخاصا مسئولين لمقابلة الثائر ، وانعقد تحالف بين الجانبين اعترف فيه المأمون بتوماس امبراطورا على الروم بمساعدته لتنحية خصمه عن العرش ، وفى مقابل هذا قيل أن توماس وافق لا على تسليم أقاليم معينة عند الحدود فحسب بل على أن يكون تابعا للخليفة ولعل المقصود بذلك دفع الجزية له •

وتعد هذه الثورة التى استمرت ثلاث سنوات حادثا رئيسيا فى حكم ميشيل الثانى : **فهى التى فرضت على الامبراطورية سياستها الدينية ، ثم ان فقد كريت وصقلية ربما كان من نتائجها ، وهى ليست ثورة مطامع شخصية فحسب كغيرها بل تداخلت فيها اتجاهات سياسية ودينية واجتماعية فاستفاد توماس من العرب ومن عباد الصور ومن طوائف المستضعفين الساخطين على تحكم سادة الروم وحكامهم** « فرفع الخادم يده فى وجه سيده ، والجندى فى وجه قائده ، والقائد فى وجه أميره » ـ كما يقول صاحب (صلة تيوفانيس) • ويتواتر وصف توماس بأنه صقلبى الأصل ، وكان الأباطرة الصقالبة slavs بالألوف الى آسيا الصغرى ، ومن هنا تحدث أوسبنسكى Ouspenski عن الدوافع القومية الصقلبية فى حركة توماس ، على أن هناك قولا بأنه ارمنى الأصل • ويصعب تبين المراحل الأولى من ثورة توماس • ويخلص فازيلييف من مناقشة المصادر المختلفة الى أن توماس لجأ الى العرب بالشام سنة ٧٩٧ م حيث ادعى أنه قسطنطين ابن ايرين وذلك أثناء وصاية ايرين على قسطنطين السادس ، أما بيورى فيرى أن توماس هرب مرة أخرى بعد ذلك فى عهد نقفور • وبدأ توماس أعماله العدائية ضد الدولة منذ آخر حكم ليو الأرمنى فأخضع ارمينية ، وكلديا فى بنطس الشرقية Chaldia in Eastern Pontus ومراكز منيعة فى البند الأرمنى (الأرمنياق) • وكان يتجه بصفة خاصة للأقاليم الشرقية ، غير انه ما لبث أن مد نفوذه صوب الغرب حتى شمل معظم آسيا الصغرى من حدود أرمينية الى شواطىء بحر ايجة وقد آزره البيالقة Paulicians الذين كانوا مضطهدين • واحتجز الثائرون الضرائب الواجب سدادها الى القسطنطينية لانفاقها على اغراضهم • وتوالت المدن المختلفة على تأييد الثائر توماس رغبا ورهبا • ولما قتل ليو الأرمنى سنة ٨٢٠ م وتولى

ميشيل الثاني ، استغل توماس هذه الظروف فنشط فى الاتجاه الى العاصمة ، وقد كان من حقه أن يتيه بأنه لم يتخلف عن متابعته فى آسيا الصغرى سوى بندين : الأرمنى والأبسيق • وكان فى جند توماس أمداد من الشعوب القوقازية التى أخضعها من الفرس ومن الايبرين أو الجورجيين ومن الارمن والاباج (الانجاذ) ويقدر مجموع قوات توماس بثمـــانين ألفا •

وتأتى بعض الروايات بأخبار **تحالف توماس مع المأمون** الذى كان ينوى مهاجمة القسطنطينية كما يقــال •• وتقــول الروايات أن توماس استعرض عضلاته فى حملة قوية الى الشام لم تعبر مثلها من قوات الروم جبال طوروس منذ غدت الشام اقليما عربيا على حد تعبير بيورى • وكان قصد الحملة لا ينصرف الى القتال ، وانما يتجه الى اثارة مخاوف العرب ودهشتهم توطئة للتحالف معهم • وقد حققت هذه العمليــة أغراضها ، فأرسل المأمون مفوضين من قبله لمقابلة توماس ، وتم الاتفاق على امداده على أن كلام صاحب (صلة تيوفانيس) يفهم منه أن مهاجمة توماس للشام كان استرضاء للذين اتهموه بأنه يفتح بثورته آسيا الصغرى للمسلمين بينما تهاجم قوات عربية أخرى الجزر الرومية الشرقية وشواطىء آســيا الصغرى • وتوج توماس امبراطورا على يد بطريرك انطاكية • وقديما توج ليونتيوس الثائر على الامبراطور زينو فى القــرن الخامس هنــاك ، ويتساءل بيورى عن دواعى تتويج توماس على هذا النحو ما دام ينتحل شخصية قسطنطين السادس ويدعى انه سبق تتويجه فى القسطنطينية على يد البطريرك الأعظم ، ويرجح أخيرا بعد مناقشة الفروض المختلفة ان هذا التتويج كان برغبة المأمون لا توماس ، اذ أن تسلم توماس لرمز سلطته من أحد رعايا الخليفة الاسلامى قد يعبر عن اعتراف رمزى بسيادة الخليفة وتبعية توماس •

واستغل المسلمون خلو أرض الروم من الجنود النظاميين نتيجــة لتوجيه الدولة كل قواها ضد توماس فأغاروا عليها ، واستفاد توماس فى تمويل قواته من انضمام جباة الضرائب الامبراطوريين بآسيا الصغرى الى حركته **ويرى فازيليف ان حلف توماس مع العرب ان كان قد أمده بالقوة المادية الا انه « ابعد عنه الحزب الارثوذكسى الذى ايده** على أنه حامى الصور ، ولم يكن يرتضى تحالفه مع الكفار » • واخطأ ميشيل الثانى فى تقدير قوة خصمه فى أول الأمر ، فأرسل للقائه جيشا صغيرا انتصر عليه توماس • أما أساطيل البنود الســاحلية Aegean Themes فقد انحازت الى توماس وتجمعت فى لســبوس Lesbos بجانب ما أعده توماس من

سفن النقل والقتال منتظرة أوامره ، بينما تقدم هو نحو الهلسبونت واستولى على أبيدوس Abydos وقد بقى الأسطول الامبراطورى على ولائه لميشيل • وأدرك الامبراطور البيزنطى أخيرا انه يواجه زعيما لأنصار الايقونات ، ففكر فى عقد مؤتمر دينى سنة ٨٢١ م ولكنه فشل • وفى هذه الاثناء ارتكب توماس خطأ عسكريا بقصده القسطنطينية ، فى حين كان يهدد مؤخرته بآسيا الصغرى بندان مخلصان للامبراطور هما : البند الأرمنى على رأسه البيانوس Albianos وبند الابسيق وعلى راسه كاتاكيلاس Katakylas فاحتل توماس بنفسه اقليم هلسبونت وأسند الدفاع عن آسيا الصغرى والمؤخرة الى ابنه ، ومن هنا أتت الفرصة السانحة لالبيانوس قائد البند الأرمنى ، فان قواته المحدودة لم تكن لتستطيع مواجهة جيش توماس الضخم لولا انقسام قواته • فهوجم الابن من الخلف وقتل واستمر الاتصال بين الامبراطور وقواده الأوفياء فى آسيا الصغرى رغم قيام توماس بينهم •وبذل توماس كل جهده لاستمالة سكان تراقية فتابعوه ، كما حالفه الصقالبة المقدونيون ، أما البلغار فانهم ظلوا على الحياد ثم تدخلوا ضده أخيرا • وحاصر توماس القسطنطينية فى أواخر سنة ٨٢١ م بجيشه وأسطوله الذى صدرت له الأوامر بالتحرك عن لسبوس فوصل فى نفس الوقت ، وكان ميشيل قد استعد للدفاع فى حين تفرق بعض انصار توماس لتحالفه مع العرب او تركه آسيا الصغرى واتجاهه الى تراقية • وتوقع توماس ان تفتح القسطنطينية ابوابها له بمجرد اقترابه منها ، ولكن صدمته مقاومتها الشديدة ورفع ميشيل علم الحرب على سطح كنيسة بيكرن ، ورأس ابنه تيوفيل موكبا رفع رداء العذراء ملتمسا الحماية الالهية ، وجاء هذا من امبراطور لا يعتقد فى الصور !! وفشل هجوم توماس على العاصمة برا وبحرا رغم استخدام كل آلات الحصار، فتركها فى الشتاء ثم استأنف حصارها فى ربيع سنة ٨٨٢م، فهزم توماس فى البر والبحر ورفض بعض أسطوله القتال وانضم البعض الآخر للامبراطور ، لكن توماس انتصر على أحد أنصار الامبراطور كان قد هدد مؤخرته بعد أن اجتاز تراقية ، ولم يتمتع بثمار انتصاره هذه كثيرا اذ أوقع الأسطول الامبراطورى بسفنه هزيمة حاسمة • وأخيرا اضطر توماس لرفع الحصار حين أتاه خبر الحملة البلغارية ضده وقد كانت ذات أثر حاسم على الثورة ، اذ تفرقت جهود الثائر بين محاربة البلغار والروم وسخط جيشه لتطاول الحرب ثلاث سنين ، فانهزم فى ديابازيس عند مصب النهر الأسود غربى القسطنطينية • وعندما انسحب الى اركاديوبولس بتراقية لجأ الى تدابير اغضبت أهلها ، فهوجم توماس هناك

وسلم الى ميشيل فى منتصف أكتوبر سنة ٨٢٣ م ، وقد تغنت بهجوه بعض الآثار الأدبية والرومية . واستمرت المقاومة بعض الوقت فى مواقع قليلة بتراقية وآسيا الصغرى ولكن دون طائل ، فانتهت الثورة وقتل ميشيل توماس ، أما بقية الأسرى - ومنهم عرب كما يروى - فقد اكتفى باستعراضهم ونفي بعضهم . ويذكر ميشيل السورى وابو الفرج ان الامبراطور أحرز نصره الحاسم باعتماده على بعض الأسرى العرب مقابل وعدهم باطلاق سراحهم ولكن لم يف بوعده . وقد تسببت حركة توماس فى افلاس عدد كبير من الملاك الصغار ، فباعوا ممتلكاتهم لجيرانهم الأغنياء الذين تزايد نفوذهم . أما بالنسبة للعلاقات الاسلامية البيزنطية ، فيذكر فازيلييف ان « **الخليفة المأمون انهزم فى شخص توماس خاصة وقد اضطر بعد ذلك ان يوجه كل اهتمامه لمشاكل الخلافة الداخلية .. لكن نتيجة ثورة توماس كانت ضررا على الامبراطورية ، فان امرها لم يقف عند تخريب اكثر اقاليم الامبراطورية غنى ولا عند ايقاف التيار السياسى العام ، بل تجاوز ذلك الى اصداء تجاوب بها الغرب البعيد - وذلك ان عرب الأندلس وافريقية استغلوا المشاكل الرومية الداخلية فافتتحوا كريت وصقلية** » (١٨٤) .

* * *

واذا كان المأمون قد خاب أمله فى اكتساب نصر هين على عدوه لو انتصر توماس فقد صار عليه أن يعتمد على سواعد جنده فى مواجهة خصمه . وكانت نيران الفتنة بين الأمين والمأمون قد أصابت الثغور والعواصم والجزيرة فاليعقوبى يعرض لوفاة عبد الملك بن صالح فيقول : « واضطرب البلد بعد وفاته ، وتغلب كل رئيس قوم عليهم ، وصار الناس حزبين : حزب يظاهر بمحمد وحزب يظاهر بالمأمون . فلم يبق بلد الا وبه قوم يتحاربون لا سلطان يمنعهم ولا يدفعهم » (١٨٥) . وبعد استقرار الأمور للمأمون عادت الحملات الاسلامية الى بلاد الروم . ويذكر البلاذرى تاريخا متقدما للنشاط الاسلامى فى الجبهة البيزنطية يسبق ما ذكرته الحوليات العربية ، ويروى أن المأمون أمر بترميم زبطرة وتحصينها وكانت قد تعرضت لغارة رومية « وقدم وفد طاغية الروم سنة ٢١٠ هـ سنة (٨٢٥ م) يسأل الصلح فلم يجبه اليه ، وكتب الى عمال الثغور فساحوا

---

(١٨٤) فازيلييف : العرب والروم - ترجمة دكتور شعيرة ص ٢٨ : ٥١ ، رستم : الروم جـ ١ ص ٣٢٠ : ٢
Vasiliev : L'Emp. Byz., Vol. I, pp. 301 :4.
Bury : Hist. of the Eastern Rom. Emp., pp. 84 :108.

(١٨٥) اليعقوبى جـ ٣ ص ١٦٩

فى بلاد الروم . فاكثروا فيها القتل ودوخوها وظفروا ظفرا حسنا ، الا ان يقظان بن عبد الأعلى بن أحمد بن يزيد بن أسيد السلمى أصيب ».
ويناقش فازيليف علاقة هذا النشاط الاسلامى المبكر بثورة توماس : « **فبينما كان الروم يقاومون توماس أمام القسطنطينية ، كانوا يحاربون حلفاءه العرب في آسيا الصغرى في نفس الوقت** . وذكروا في هذا الموقف بالذات هجوما موفقا على حصن زبطرة فى اقليم الثغور .. ولكن الواقعة ليست ثابتة ، فان تاريخها عند البلاذرى متأخر عن ثورة توماس ، ومن الجائز ان يكون هذا المصدر العربى وميشيل السورى قد كررا اخذ المدينة على يد تيوفيل » . على ان فازيلييف يقبل واقعة طلب الروم للصلح ، اذ اراد ميشيل فى عام ٨٢٥ م أن يصلح ما سببته الحرب الداخلية من خسائر لسكان الامبراطورية ، لكن رفض الخليفة ذلك وتتابعت غارات العرب على أرض الروم (١٨٦) .

وتجعل الحوليات الاسلامية بداية نشاط المأمون فى غزو الروم سنة ٢١٥ هـ ـ ٨٣٠ م بعد أن تخففت الدولة من أعباء الفتن ، وفى ذلك الوقت كانت حرب صقلية تحول انتباه الامبراطورية وقواتها نحو الغرب وكان قد تولى العرش تيوفيل (٨٢٩ ـ ٨٤٢ م) فانتهز المأمون هذه الفرصة ، وابتدأ العمليات الحربية فى آسيا الصغرى . وشخص المأمون بنفسه فى مستهل سنة ٢١٥ هـ ، ثم سلك طريق الموصل الى منبج ثم دابق فانطاكية فالمصيصة وخرج منها الى طرسوس فدخل الى بلاد الروم فى جمادى الأولى وقد مر المأمون فى طريقه بالصابئة فى شمالى الجزيرة ، وهذا أول ذكر لهذه الطائفة فى الوقائع التاريخية . ويصادفنا فى أنباء هذه الحملة ذكر اللاجىء الرومى **مانويل** الذى يذكر الطبرى انه كان فى صحبة العباس بن المأمون قبل دخول العرب أرض الروم ، ويذكر أن الاثنين لقيا المأمون عند رأس العين . اما اليعقوبى فيذكر أن المأمون عندما أخذ أنقرة ـ وصحتها قره ـ هرب منها مانويل ، ويرى كنار M. Canard ان المقصود هروب مانويل من صفوف العرب الى الروم بعد أن صحب ابن الخليفة الى حدود الروم ، فان صح ذلك كانت المصادر العربية متفقة تقريبا مع المصادر الرومية التى تجعل هذا الهرب عند احدى ضواحى الحدث .
ويذكر ابن طيفور ان العباس حين انتهى من حملته فى رمضان ورجع الى أرض الاسلام من درب الحدث خلف مانويل على ما أخذه من الحصون ـ وكان يصحبه طول غزوه ، ولكن مانويل خدعه وطرد المسلمين وأخذ

---

(١٨٦) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٠٠ . فازيليف : العرب والروم . ترجمة دكتور شعيرة ص ٤٤ ـ ٥ ، ٥١

خزائن سلاحهم وصالح الامبراطور . وكان مجال عمليات العباس اقليم ملطية ـ الحدث ، بينما دخل المأمون من درب قيليقية الى أرض الروم فوقعت المصادمات في كبادوكيا ، **وخاصة في الهند المتاخم لقيليقية حيث تكثر الكهوف الأرضية التي كانت ملجأ لأهالي الاقليم ويسمها العرب (مطامير)** واستسلمت الحصون الرومية الضعيفة وأولها **ماجدة** في اقليم المطامير فلم يؤذ المأمون أهلها . ويقول المسعودي : ان ماجدة مطمورة في أول بند القباذق مما يلي الثغور الشامية على عشرين ميلا تقريبا من لؤلؤة. ثم فتح المأمون حصن قره ولعله **حصن قورن** في كبادوكيا عند كتاب الروم ـ وكان افتتاح هذا الحصن عنوة وهدمه المأمون ، ويظهر أن المأمون أمن أهل قرة بعد ذلك ، فاليعقوبي يذكر انه فتح نصفا بالصلح ونصفا بالسيف . ووجه الخليفة أشناس الى **حصن سندس** ـ وسوندا أوسوندس عند الروم في كبادوكيا على مفترق الطريق الى قيصرية والطريق من جستنيانوبوليس موكيزوس الى طوانة ودرب كيليكيا جنوبا ـ وقد أتى اشناس بقائد الحصن . ووجه المأمون عجيفا وجعفر الخياط الى صاحب **حصن سنان** قرب هرقلة وطوانة فسمع واطاع . ثم وجه المأمون الأفشين الى **مصر** للقضاء على فتنتها .

وكان تيوفيل قد أراد الثأر لهزيمته ، **فاغتنم ابتعاد عدوه واجتاز جبال طوروس وقتل عددا من سكان طرسوس والمصيصة** يبلغ حوالي الف وستمائة . ويقال ان فرقا أخرى من جيش تيوفيل سارت نحو الشمال الشرقي من كبادوكيا في الوقت نفسه ، وهزمت العرب قرب حصن **خرشنة** مقر قائد البند المسمى بنفس الاسم وأسرت خمسة وعشرين الفا على قول صاحب (صلة تيوفانيس) . وفي كتاب (المراسم) الذي ألفه قسطنطين بورفيروجنيتوس Porphyrogennetus لم يستحق مواكب الظفر من حملات تيوفيل الا حملتان ، احداهما تلك الحملة ، والأخرى حملة زبطرة أيام المعتصم . وهكذا احتفل تيوفيل بغاراته على طرسوس والمصيصة احتفالا رائعا ، وعلم المأمون بالخبر **فكر الى أرض الروم سنة ٢١٦ هـ ـ سنة ٨٣١ م .**

ووقعت حركات هذه الحملة في المنطقة نفسها التي وقعت فيها حملة العام السابق ، وقد قصدت الى ذلك الموقع الهام من كبادوكيا الذي سبق أن احتله الرشيد سنة ٨٠٥ م ثم استرده الروم وهو هرقلة كيبسترا غير بعيدة عن جبال طوروس ، وقد أخذت صلحا . **ثم وجه المأمون أخاه أبا اسحق فافتتح ثلاثين حصنا ومطمورة** وخربها ولم يعرض لأهلها ، كما وفق يحيي بن أكثم في غارته من **طوانة** . وذكر اليعقوبي

أن المأمون فتح ١٢ حصنا وعدة مطامير . **ووجه العباس ابنه فلقى طاغية الروم وهزمه ، وفتح حصونا فى كبادوكيا** منها انطغوة (وهناك رأى أنه الطوانة) وحصن الاخرب أو الاجرب (ويسميه الروم كاسن غير بعيد من ساسيما وملقوبية ـ اسم تورما من كبادوكيا تابعـــة لبند خرشـنة) . وقد جاءت المأمون رسل تيوفيل تعرض الصلح ، ولقيته باذنة مع خمسمائة من أسرى المسلمين ، ويرى البعض أن رسول الامبراطور كان يوحنا النحوى . ويروى اليعقوبى : « ووجه اليه تيوفيل ملك الروم بالإسقف صاحبه ، وكتب اليه كتابا بدأ فيه باسمه ، فقال المأمون : لا اقرأ له كتابا بدأ فيه باسمه ، ورده . فكتب اليه توفيل بن ميخائيل : لعبد الله ملك العرب من توفيل بن ميخائيل ملك الروم من قبل .. وسأل أن يقبل منه ألف دينار ، والأسرى الذين عنده وهم وسبعة آلاف أسير ، وأن يدع لهم ما افتتحه من مدائن الروم وحصونهم ، ويكف عنهم الحرب خمس سنين . فلم يجبه الى ذلك ، وانصرف الى كيسوم من أرض الجزيرة من ديار مضر » ، وغنم كثيرا من الغنائم . والراجح أن الشتاء كان قد تقدم فى ذلك الوقت .

وعلى أثر ذلك شخص المأمون الى مصر ، وكان قائده الأفشين قد ســـبقه اليها نجح فى اخماد ثورتهـا . **وفى سنة ٢١٧ هـ / ٨٣٢م** أسرع المأمون الى الحدود الرومية ، فنزل اذنة معسكرا بها . ثم غزا بلاد الروم ، فاناخ على **لؤلؤة** وكانت موقعا حصـــينا هاما على الطريق المار بالأبواب القيليقية بين طرسوس والطوانة شمال البدندون وعلى مسافة قريبة من الطوانة وهى مكان فاوستينوبوليس ، ويشرف هذا الحصن على مدخل الدرب . واذا كان سرد العمليات الحربية فى حملة العام السابق الى هرقلة والطوانة لم يذكر لؤلؤة ، فلعل ذلك لأن العرب استطاعوا اجتناب المرور بها عن طريق فرعى آخر . وقد حاصر المأمون لؤلؤة مائة يوم ، ولم يستطع المأمون أخذها عنوة . ويذكر الطبرى أن المأمون خلف عليها عجيفا ورحل عنها ، أما اليعقوبى فيذكر بناء حصنين للاحاطة بها . وقد خلف المأمون على حصنه أحمد بن بسطام وخلف أبو اسحق على حصنه محمد بن الفرج بن أبى الليث بن الفضل ، وصير المأمون عند هؤلاء زاد سنة ، ثم سار متوجها الى **سلغوس** حصن فى الثغـــور وراء طرسوس وهى غير سلغوس من اقليم الرهـا ، وقد أفلح الروم فى أسر عجيف . وأبلغوا الامبراطور ذلك فتقـــدم الى لؤلؤة . ويذكر اليعقوبى أنه هزم بغير قتال « وظفر من كان بالحصنين من المسلمين بمعسكره فحووا كل ما كان فيه . فلما رأى ذلك أهل لؤلؤة واضربهم الحصار طلب رئيسهم

الحيلة فقال لعجيف : اخل سبيلك على ان تطلب لى الامان من المأمون ، فضمن له ذلك ، فقال : أريد رهينة ، فقال : أنا أحضرك ابنى » فوجه الى الروم جماعة من النصارى فى زى المسلمين ، ولما خرج أعلمهم بخدعته فناشدوه الوفاء ، فأخذ لهم عجيف الأمان وفتحها وأسكنهـــا المسلمين ، ويذكر الطبرى ان المأمون أرسل المدد لمواجهة تيوفيل ولكن هذا سبق بالرحيل ، وهو يورد فى أخبار هذه الحملة سنة ٢١٧ هـ خبر كتاب الصلح الذى بدأ فيه تيوفيل بنفسه ، فى حين يذكر اليعقوبى رواية مشابهة فى أخبار العام السابق ، وقد جاء فى كتاب تيوفيل الذى قدم به وزيره : « أما بعد ، فان اجتماع المختلفين على حظهما أولى بهما فى الرأى مما عاد بالضرر عليهما ، وقد كنت كتبت اليك داعيا الى المسألة لنضع أوزار الحرب عنا مع اتصال المرافق والفســح فى المتاجر وفك المســتأسر وأمن الطرق والبيضـــة ، فان أبيت فانى لخائض اليـك غمارهـــا ، وان افعل فبعد أن قدمت المعذرة » ، وكتب اليه المأمون : « فقد بلغنى كتابك فيما ســـألت من الهـــدنة وخلطت فيــه من اللين والشدة ، فلولا ما رجعت اليـــه من أعمـــال التؤدة لجعلت جواب كتابك خيلا تحمل رجالا من أهل البأس والنجدة والبصيرة ، هم أظمأ الى موارد المنايا منكم الى السلامة بالمخوف معرتهم عليكم » ، ثم خيره المأمون بين الاسلام أو الجزية أو القتال ، **ويرى بيورى ان هذه الخطابات ان كانت صحيحة فهى توضح أن نجاح الأعوام الثلاثة الماضية قد شـــجع المأمون على العزوف عن انهاء القتال ، وقد يكون دفعه الى التفكير فى اخضاع الامبراطورية نهائيا ، وقد اورد اليعقوبى أن المأمون فى حملته سنة ٢١٨ هـ « استعد لحصار عمورية ، وقال أوجه الى العرب فآتى بهم من البوادى ثم انزلهم كل مدينة افتتحها حتى اضرب الى القسطنطينية ،** فأتاه رسول ملك الروم يدعوه الى الصلح والمهادنة ودفع الأسرى الذين قبله ، فلم يقبل » ،

أقام المأمون بسلغوس وقتا ، ثم أمضى الصيف فى الرقة ودمشق وجدد مســيره الى الحدود البيزنطية ســـنة ٢١٨ هـ ـ ٨٣٣ م فوجه ابنه العباس الى **الطوانة** لبنائها وكانت الحملات الســـابقة قد أضرت بهـــا ، « فبناها ميلا فى ميل ، وجعل سورها ثلاث فراسخ ولها أربعة أبواب ، وبنى على كل باب حصنا ، وكتب الى أخيه أبى اسحق : انه قد فرض على جند دمشق وحمص والأردن وفلسطين أربعة آلاف رجل يجرى على الفارس مائة درهم وعلى الراجل أربعين درهما ، وفرض على مصر فرضا ، وكتب الى العباس بمن فرض على قنسرين والجزيرة، والى اسحق بن ابراهيم

يمن فرض على أهل بغداد وهم ألفا رجل • وخرج بعضهم حتى وافى طوانة ونزلها مع العباس » • وتروى المراجع الاسلامية هنا أيضا أخبارا عن طلب الروم للصلح، فجاء رسولهم الى المأمون بالبدندون وقال: «ان الملك يخيرك بين ان يرد عليك نفقتك التى أنفقتها فى طريقك من بلدك الى هذا الموضع، وبين أن يخرج كل أسير من المسلمين فى بلد الروم بغير فداء ولا درهم ولا دينار ، وبين أن يعمر لك كل بلد للمسلمين مما خربت النصرانية ويرده كما كان وترجع عن غزاته »• ففكر المأمون ثم كان جوابه: « أما قولك ترد على نفقتى فانى سمعت الله تعالى يقول (••• فلما جاء سليمان قال اتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم ، بل أنتم بهديتكم تفرحون) ، وأما قولك انك تخرج كل أسير من المسلمين فى بلد الروم فما فى يدك الا أحد رجلين : أما رجل طلب الله عز وجل والدار الآخرة ، فقد صار الى ما أراد ، واما رجل يطلب الدنيا فلا فك الله أسره ، واما قولك انك تعمر كل بلد للمسلمين قد خربته الروم فلو انى قلعت أقصى حجر فى بلاد الروم ما اعتضت بامرأة عثرت فى حال أسرها فقالت وامحمداه » • ويذكر المسعودى أن المأمون فتح فى غزاته هذه خمسة عشر حصنا ، خير اصحابها بين الاسلام والجزية والسيف ، فأجابه بعض الروم الى الجزية ، وقد شهدت منطقة الثغور فى ذلك العام كتب المأمون الى اسحق بن ابراهيم خليفته فى بغداد بامتحان القضاة والمحدثين وأشخاص المخالفين لرأى المعتزلة فى خلق القرآن ، كما نفذت كتب المأمون الى جميع عماله بتولية أخيه أبى اسحق من بعده • ولم يفسح الأجل للمأمون فى تحقيق آماله الفكرية والحربية فقد أصابته الحمى فى البدندون من أكلة رطب • وتوفى ودفن فى طرسوس سنة ٢١٨ هـ ـ ٨٣٣ م (١٨٧) •

جزر البحر المتوسط :

لم ينل البحر المتوسط من عناية العباسيين سابق حظه فى عهد الأمويين ، فلا تتحدث الحوليات الاسلامية الا عن غزوات متفرقة ف البحر • فقد قام ثمامة بن وقاص ـ باناكيس Banaces فى تاريخ تيوفانيس ـ بحملة برية بحرية سنة ١٥٧ هـ ـ ٧٧٣ م على شواطىء اقليم ايسوريا

(١٨٧) الطبرى جـ ١٠ ص ٢٨٠ ـ ١ ، ٢٨٣ ـ ٤ ، ٢٨٤ : ٢٩٣ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ : ٢٩٥، ابن الاثير جـ ٦ ص ١٥٣ : ٥ ، ١٥٥ : ٧ ، ١٥٧ ـ ٨ ، اليعقوبى جـ ٣ ص ١٩٢ : ٦ ، المسعودى : مروج الذهب جـ ٢ ص ٣٤٢ : ٤ ، التنبيه والاشراف ص ١٥١ ، فازيلييف : العرب والروم • ترجمة دكتور شعيرة ص ٩١ : ١١٢ Bury : Hist. of the Eastern Roman Emp., pp. 251 :6. دكتور رفاعى : عصر المأمون م ١ ص ٢٩٠ ـ ١ •

بآسيا الصغرى لمهاجمة بعض المواقع الساحلية الهامة • فصدرت أوامر الامبراطور قسطنطين الخامس الى الجيش وأسطول آسيا الصغرى بقطع خط الرجعة على ثمامة • واستطاعت السفن البيزنطية قطع الاتصال بين ثمامة وسفن الشام التى أبحرت معه باحتلالها سيس Syce ، على حين حاصر الجيش البيزنطى قوات ثمامة البرية وهكذا كان هناك تعاون بين الأسطول لدى الجانبين الاسلامى والبيزنطى ، وقد استطاع ثمامة أن يفلت من الحصار • وغزا الغمر بن العباس الخثعمى بحر الشام سنة ١٦٠ – ١ هـ •

وفى عهد الرشيد كانت الخطط البحرية للمسلمين والبيزنطيين تستهدف فرض الرقابة على سواحل العدو من جهة ، والاغارة المفاجئة عليها من جهة أخرى • وقد كان الأسطول البيزنطى يراقب شواطىء البحر المتوسط الشرقى التابعة للخلافة العباسية ، واستطاع أن يأسر سنة ٧٩٠ م سفننا اسلامية فى طريقها من مصر الى الشام • ولكن حدث فى تلك السنة نفسها ان أغار أسطول اسلامى على قبرص ، ويجوز أن الأسطول الاسلامى تمكن من انزال قواته فى الجزيرة ، فأرسلت ايرين قسما من الأسطول البيزنطى لنجدة قبرص ، ولكن كان مصيره الهزيمة وأسر المسلمون قائده الذى تعجل الهجوم ، وأمر الرشيد بقتله • وهكذا يبدو أن المسلمين تطلعوا لاستعادة مركزهم فى الجزيرة الذى كان قد تزعزع منذ أواخر العهد الأموى ، وقد روى البلاذرى ان المنصور رد جزية أهل قبرص الى ما كانت عليه أيام معاوية ، وكان عبد الملك بن مروان فقد زاد عليهم ألف دينار • وفى سنة ١٩٠ هـ / سنة ٨٠٦ م غزا حميد ابن معيوف الذى ولى سواحل بحر الشام وقبرص « فهدم وحرق وسبى من أهلها ستة عشر ألفا ، فأقدمهم الرافقة فتولى بيعهم أبو البخترى القاضى ، فبلغ أسقف قبرص ألفى دينار » كما يروى الطبرى ويذكر البلاذرى غزو حميد لقبرص « لحدث أحدثوه ، فأسر منهم بشرا • ثم انهم استقاموا للمسلمين ، فأمر الرشيد برد من أسر منهم ، فردوا» • ويبدو أن مركز المسلمين فى قبرص لم يكن مستقرا ، فالبلاذرى يذكر ما أحدثه أهلها مرة بعد أخرى ونقضهم العهود وتواطئهم مع العدو ، ويذكر نقاشا فقهيا طويلا جرى حول السياسة الواجب اتباعها ازاءهم « قالوا : أحدث أهل قبرص حدثا فى ولاية عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله ابن عباس الثغور ، فأراد نقض صلحهم – والفقهاء متوافرون • فكتب الى الليث بن سعد ومالك بن أنس وسفيان بن عيينة وموسى

ابن أعين وإسماعيل بن عياش ويحيى بن حمزة وأبى اسحق الفزاري ومخلد بن الحسين فى امرهم ، فأجابوه . وكان فيما كتب به الليث بن سعد : ان أهل قبرص قوم لم نزل نتهمهم بغش أهل الاسلام ومناصحة أعداء الله الروم وقد قال الله تعالى (واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء) ، ولم يقل لا تنبذ اليهم حتى تستيقن خيانتهم ، وانى أرى أن تنبذ اليهم وينظروا سنة يأتمرون ، فمن أحب منهم اللحاق ببلاد المسلمين على أن يكون ذمة يؤدى الخراج قبلت ذلك منه ، ومن أراد أن ينتمى الى بلاد الروم فعل ، ومن أراد المقام بقبرس على الحرب ـ أقام ـ فكانوا عدوا يقاتلون ويغزون ، فان فى انظار سنة قطعا لحجتهم ووفاء بعهدهم .. وكتب يحيى بن حمزة : ان أمر قبرس كامر عربسوس ، فان فيها قدوة حسنة وسنة متبعة ، وكان من أمرها ان عمير ابن سعد قال لعمر بن الخطاب وقد قدم عليه . ان بيننا وبين الروم مدينة يقال لها عربسوس ، وانهم يخبرون عدونا بعوراتنا ولا يظهرونا على عورات عدونا ، فقال عمر : فاذا قدمت فخيرهم أن تعطيهم مكان كل شاة شاتين ومكان كل بقرة بقرتين ومكان كل شيء شيئين ، فاذا رضوا بذلك فاعطهم اياه وأجلهم وأخربها ، فان أبوا فانبذ اليهم وأجلهم سنة ثم أخربها .... وكتب ابو اسحق الفزاري ومخلد بن الحسين : انا لم نر شيئا أشبه بأمر قبرص من أمر عربسوس » . على أن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وموسى بن أعين واسماعيل بن عياش دعوا الى التريث واحترام العهود ، ونقل عن الاوزاعى قوله « ماوفى لنا اهل قبرس قط ، وانا لنرى انهم أهل عهد ، وان صلحهم وقع على شيء فيه شرط لهم وشرط عليهم ولا يستقيم نقضه الا بأمر يعرف فيه غدرهم ونكثهم » . وهذه المناقشات الفقهية المطولة تدل على مدى اهتمام المسلمين بالوضع فى قبرص ومحاولتهم علاجه بكل سبيل . وفى سنة ۱۹۱ هـ سنة ۸۰۷ م أرسل الرشيد حملة الى رودس عادت بالأسرى والغنائم . على أن الفتن الداخلية نالت من جهود المسلمين فى البحر كما نالت من جهودهم فى البر ، وذلك فى آخر عهد الرشيد ، ثم طوال فترة الصراع بين الأمين والمأمون (۱۸۸) .

---

(۱۸۸) الطبرى جـ ۹ ص ۳۳٤ ، ۳٤۱ ، جـ ۱۰ ص ۹۹ ، ابن الاثير جـ ٦ ص ۲۰ ، ۷۰ البلاذرى : فتوح البلدان ص ۱٦۱ : ٤ ، دكتور العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ص ۸٦ ـ ۷

وقد انتقل عبء النشاط البحرى الى بلاد المغرب والأندلس ، وكانت هناك جماعات بحرية غير رسمية من مجاهدة البحر تغزو شواطىء البلاد النصرانية • والمراجع اللاتينية والبزنطية تصف هـذا النشاط بأنه قرصنة ، على أن ليفي بروفنسال يقول : « ومن المظنون أن قراصنة المسلمين كانوا شيئا آخر غير المجاهدين المسلمين الذين كانوا يغازون النصـارى بدافع دينى » • وقد اكتفت الأساطيل الاسلامية النظامية سواء اكانت تابعة للدولة العباسية في الشام أم للدويلات المستقلة فى مصر والمغرب بالدفاع عن الشواطىء ، اما الغارات فكانت تقوم بها فى الغالب جماعات تعمل لحسابهـا الخاص هدفها الاغارة على الشـواطىء الأوربية والفوز بالغنائم ، ومن هنا سميت هذه الأعمال بالقرصنة وأغفلتهـا المراجع العربية • وهذه الغارات البحرية الصـغيرة هى التى روعت امن شرق البحر المتوسط ووسطه بعد العصر الأموى • كما أن الشواطىء الأوربية للحوضين الشرقي والأوسط للبحر المتوسط حفلت بقراصنة النصارى الذين كانوا لا يفرقون بين البلاد الاسـلامية وغيرها وقد نسبت بعض اعمالهم للمسلمين • وأكبر مثال لهذه الجماعات الاسلامية التى كانت تعمل لحسابها الجماعة الاسلامية التى استولت على **اقريطش (كريت)** واصلها من الأندلس خرجت سنة ١٩٨ هـ ـ سنة ٨١٣ : ٤ م بعد تمرد ربض قرطبة على الحكم الأول وعقابه لأهل الربض ونفى بعضهم ، فذهب هؤلاء الى العدوة الافريقية واستقروا بفاس • ومنهم من واصل السير بحرا وكانوا ١٥ الفا عدا النساء والأطفال يقودهم ابو حفص عمر بن عيسى البلوطى فنزلوا الى جانب الاسكندرية فى جوار احدى قبائل افريقية الشمالية فى العام التالى لخروجهم وكان ولاة مصر لا يسمحون للأندلسيين بالدخول ، ولكنهم تمكنوا مع ذلك من نزول الاسكندرية « أيام شـغل الناس بفتنة الجروى وابن السرى •••• والدنيا مفتونة قد غلب على كل ناحية غالب » • ولما دخل عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر سنة ٢١١ هـ سنة ٨٢٥ م أرسل الى هؤلاء الأندلسيين يؤذنهم بالحرب ان لم يدخلوا فى الطاعة • فسـألوه الأمان « على أن يرحلوا من الاسكندرية الى بعض اطراف الروم التى ليست من بلاد الاسلام » ، فاعطاهم الأمان ونزلوا اقريطش • وكان قد غزاها جنادة بن ابى أمية الأزدى من قبـل فى بواكير العهد الأموى وحاصرها الأسطول العربى منذ القرن السابع الميلادى لكن لم يتم له الاستيلاء عليها « فلما كان زمن الوليد فتح بعضها ثم اغلق ، وغزاها حميد بن معيوف الهمدانى فى خلافة الرشيد ففتح بعضها • ثم غزاها فى خلافة المأمون أبو حفص عمر بن عيسى الأندلسى المعروف بالاقريطشى ، وافتتح منهـا حصنا واحدا ونزله ، ثم لم يزل يفتح شيئا بعد شيء حتى لم يبق فيها

من الروم أحد وأخرب حصونها » ، على ما يذكر البلاذرى • ثم وفد على الجزيرة نفر آخر من الأندلسيين وانضموا الى اخوانهم «وملكوا عليهم رجلا منهم وعمروا فيها أربعين قطعة ، وغزوا جميع ما حولهـا من جزائر القسطنطينية ، ففتحوا أكثر الجزائر وغنموا وسبوا ولم يكن لملك القسطنطينية بهم من قبل » • **وتربط المصادر اليونانية بين تفكير الأندلسيين فى الاستقرار بكريت وبين ثورة توماس التى استغرقت كل جهود الروم البحرية عند القسطنطينية ، ولكن هذه الثورة كانت قد أخمدت قبل اتجاه العرب الى كريت بأربع سنوات** • وقد سبق للأندلسيين غارات على كريت وجزر أخرى يونانية ، ويبدو أن أبا حفص حين نزل كريت فى هذه الهجرة الأندلسية لم يلق مقاومة كبيرة ، ولعل أهل كريت كانوا ساخطين على الحكم البيزنطى لسياسته الدينية والادارية • وتذكر المراجع البيزنطية أبا حفص الاقريطشى باسم Apocapso • وتنسب اليه غزوات كثيرة وكان مركز أعماله موضع بلد قديم على خليج لادا Lada هو شراخ Charax حفر حوله خندقا فعرف بالخندق ، وحرف الى Candia ولم يقلل ميشيل وخلفاؤه من أهمية وقوع كريت فى أيدى المسلمين بالنسبة للامبراطورية البيزنطية ، فنظمت سلسلة من الحملات لم تنتج شيئا ، وبقيت كريت فى سلطان العرب الى أيام الامبراطور رومانوس العربى حين فتحها القائد الذى صار امبراطور فيما بعد ـ نقفور فوكاس سنة ٩٦١ م • وقد فشلت الحملات البيزنطية التى أرسلت فى عهد ميشيل الثانى بقيادة فوتينوس Photeinos قائد البند الأناضولى سنة ٨٢٨ م ودميانوس Damianos (Count of the Stable) وكراتيروس Krateros قائد بند كيبيرايوت البحرى بآسيا الصغرى وأوريفاس Oryphas أمير البحر ولم يكف العرب عن مهاجمة **الجزر القريبة من كريت** وهددوا بحرايجه• ووجه ميشيل الثانى كل جهوده لصقلية فزادت الفرصة أمام عرب كريت وغزوا آسيا الصغرى فى كاريا وايونيا وتوغلوا الى جبل لاتروس Latros المشهور بأديرته ، ولكن هزمهم قائد البند التراقى • وفى الوقت نفسه تقريبا انهزم الأسطول البيزنطى سنة ٨٢٩ م قرب جزيرة ثازوس Thasos وهوجمت جزر السكلاديز وغيرها وقد اتجه تيوفيل كسلفه الى الاهتمام بصقلية ، وجنى الاباطرة العموريون ثمار اهمال الأسطول ، وجاء فقد كريت وصقلية درسا لهم فى هذا الصدد •

ويحيط الغموض برواية تزعم أن المسلمين بعد ان هزموا الروم فى عمورية سنة٨٣٨م، اتجهوا لدحرهم نهائيا ببناء أسطول لغزو القسطنطينية ظلوا عاكفين على بنائه سنين ، حتى كانت سنة ٨٤٢ م فقاد **أبو دينار**

أسطولا من ٤٠٠ سفينة dromonds الى القسطنطينية ، ولقى فشلا ذريعا وكان ذلك فى عهد **الواثق** العباسى (٢٢٧ : ٢٣٢ هـ ٨٤٢ ، ٨٤٧م) وميشيل الثالث (٨٤٢ : ٨٦٧ م) وان كانت الاستعدادات قد بدأت قبل ذلك ولا تتحدث المصادر العربية عن هذه الواقعة ألتى يقرنهـا الروم فى الأهمية بانتصار النزعة الموالية للأيقونات وعوذه الارثذوكسية، وقد ظن بعض المحدثين أن أباديناد هو جعفر بن دينار والى طرسوس غير أن جعفر يذكر فى تاريخ لاحق متأخر ، وظنه البعض أمير كريت وهذا أيضا غير صحيح . ولدينا اشارة من المسعودى فى (المروج) عن أن المعتصم بعد انتصاره فى عمورية « أراد المسير الى القسطنطينية .. فأتاه ما أزعجه وأزاله عما كان عزم عليه » . وأراد أنصار الايقونات أن يستطلعوا مدى رضاء الله عنهم بمحاولة استعادة كريت سنة ٨٤٣ م ، وكان على راس الحملة Theoklistos وان كانت هذه الحملة أقوى من الحملات التى أرسلت أيام ميشيل الثانى وقد أشاع العرب فى معسكر قائد الروم أن ثمة مكائد تدبر فى القسطنطينية ، فأسرع القـائد الى العودة وانهزم جيشه ، وان كان القائد البيزنطى قـد حاول أن يثـأر لنفســه من العـرب الذين خدعوه فى الجبهـة الشرقية ولـكنه انهزم أمـام عمرو بن الأقطع الذى غزا ارض الروم . وفى السـنوات الأخيرة من حــكم ميشــيل الثالث أغـار عرب كريت على جزيرة ميتيلين وهاجموا جبل آتوس Athos سنة ٨٦٢ م حتى اضطروا الرهبان لهجر أديرتهم ، كما أغاروا على جزيرة صغيرة مجاورة تسمى نيون سنة ٨٦٦ م . وأراد الروم اعداد حملة في هذا العام لمهاجمة كريت ولكنهـا توقفت بسبب الظروف الداخلية فى البـلاط البيزنطى . ومن كريت استمرت الهجمـات الاسلامية على جزائر بحر ايجه ، « ولم يكد ينتصف القرن العاشر حتى كانوا يهددون سـواحل اليونان نفسها ، ولقد عثر اخيرا على ثلاثة نقوش كوفية فى أثينا تدل على أن العرب استوطنوا حينا ما تلك الجهة . وربما كان مقامهم هناك قد امتد الى القرن العاشر » ــ على ما ينقله الدكتور حتى . وحين تم استرجاع الروم لكريت فى عهد نقفور فوقاس سنة ٣٥٠ هـ / سنة ٩٦١ م عادت سـيادة الدولة البيزنطية الى شرقى البحر المتوســط . ولكنها لم تدم طويلا لاهمـال البيزنطيين أسطولهم ، فقد أمنوا المنافسة من غيرهم وخشوا المتمردين من رجالهم.

وبذلك وجدت الفرصة السانحة امام البندقية لتأخذ وضعها وتلعب دورها في البحر المتوسط (١٨٩) ·

واذا كان فتح كريت قد ارتبط بعرب الأندلس ، فان فتح **صقلية** قد ارتبط بعرب المغرب · وكانت الاضطرابات قد تتابعت في افريقية منذ وليها المنصور الأغلب بن سالم سنة ١٤٨ هـ فقتله البربر سنة ١٥٠ هـ · وفي عهد الرشيد تولاها هرثمة بن أعين ، فلما رأى ما بها من الاختلاف كتب الى الخليفة يستعفي وخلف افريقية سنة ١٨١ هـ بعد أن تولاها سنتين ونصفا ، وولى الرشيد محمد بن مقاتل بن حكيم العكى فاختلف الجند عليه واضطربت الأمور ، ولكن ابراهيم بن الأغلب أعان الوالى « فكره أهل البلاد ذلك ، وحملوا ابراهيم بن الاغلب على أن كتب الى الرشيد يطلب منه ولاية افريقية فكتب اليه في ذلك ، وكان على ديار مصر كل سنة مائة ألف دينار تحمل الى افريقية معونة فنزل ابراهيم عنها، وبذل أن يحمل كل سنة أربعين ألف دينار » · وأيد هرثمة ترشيح ابراهيم بن الأغلب ، فولاه الرشيد في أول سنة ١٨٤ هـ « فانقمع الشر وضبط الأمر وسير كل من يتوثب على الولاة الى الرشيد» · وهكذا نشأت دولة الأغالبة في شمال افريقية « وكان قيام دولة الأغالبة في تونس نتيجة لسياسة الرشيد في تأديب البربر وغيرهم من الثوار ، والوقوف في وجه دولة الادارسة التى أسسها ادريس العلوى الذى هرب بعد موقعة فخ سنة ١٦٩ هـ ضد الحسين بن على ـ اذا أرادوا الاغارة على أراضى الدولة العباسية الواقعة شرق دولتهم » · وتزايد استقلال دولة الأغالبة عن الدولة العباسية على مر الأيام (١٩٠) ·

ويتميز المغرب عن غيره مما دخل في حوزة الاسلام من أقطار البحر المتوسط « بأن النشاط البحرى جزء لا يتجزء من حياته وكيانه الاقتصادى والاجتماعي تبعا لذلك ، لأن أخصب أراضى المغرب وأوفقها للسكنى وأوفرها ماء هي مناطق الشريط الساحلى الذى يتصل من تونس الى المحيط

(١٨٩) الطبرى جـ ١٠ ص ٢٧٥ ـ ٦ ، ابن الاثير جـ ٦ ص ١٤٧ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٤٤ ـ ٥ المسعودى : مروج الذهب حـ ٢ ص ٣٥٤ ، فازيلييف : العرب والروم ـ ترجمة دكتور شعيرة ص ٥٢ : ٦١ ، ٨٥ ـ ٦ ، ١٧١ ـ ٢ ، ٢٢٦ : ٨ حتى : تاريخ العرب ترجمة نافع حـ ٢ ص ٥٨١ ،
Bury : Hist. of the East. Rom. Emp., pp. 287:293.
دكتور مؤنس : المسلمون في البحر المتوسط ـ المجلة التاريخية المصرية م ٤ ع ١ مايو سنة ١٩٥١

(١٩٠) ابن الاثير جـ ٦ ص ٥٠ ، ٥٥ : ٧ ، دكتور حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام جـ ٢ ص ١٧٧ : ١٨٠ ، فازيلييف : العرب والروم · ترجمة دكتور شعيرة ص ٧٠ ·

الأطلسى ... وسكان هذا الشريط الساحلى العامر لا يستغنون عن البحر وتجارته ، ولهذا كان أهله من أنشط الأمم البحرية أيام الرومان والبيزنطيين .. وغلبت طبيعة البلاد البحرية على المسلمين ، فانشأوا ميناء تونس بعد اختطاطهم القيروان فى الداخل .. ولما تمكن المغرب من التخلص من قبضة المشرق بعض الشىء بقيام دولة الأغالبة على رأس المائة الميلادية التاسعة ، أخذ المغرب يرتد الى البحر المتوسط وعاد أهله الى نشاطهم السابق فى حوضه الأوسط ... وهكذا لم يكن فتح صقلية مصادفة أو استمرارا لسياسة الفتوح الاسلامية العامة ، **بل محاولة من المغرب لاستعادة مركزه فى البحر المتوسط فى نطاق اسلامى** . لقد اكتسب أهل المغرب من الاسلام شعورا بأنفسهم ونزوعا نحو السيادة فحاولوا التخلص من سيطرة العرب أولا ، ثم سيادة حوض البحر المتوسط الأوسط والغربى بعد ذلك . وبينما كان المغرب قبل الاسلام تابعا لما يقابله من شواطىء البحر الأبيض الشمالية نراه ينزع الى سيادتها بعد الاسلام » . وقد تم ذلك بعلاقات حربية فى عهد الاغالبية فالفاطميين ، ثم بعلاقات دبلوماسية تجارية فى عهد بنى زيرى ومن تلاهم،حتى انتقلت السيادة الى أمم غربى أوربا خاصة بعد شل الغزوة الهلالية لنشاط المغرب وضياع الأندلس . وقد كان نشاط المغرب منذ أواخر القرن الثامن الميلادى نشاطا غير رسمى تتحدث عنه حوليات النواحى التى وجه المغاربة اليها نشاطهم دون المراجع العربية (١٩١) .

وقد عرف العرب صقلية منذ أيام الاسلام المبكرة وأول غزوة عليها خرجت من شوطىء الشام سنة ٣٢ هـ ـ سنة ٦٥٢ م كما يذكر تيوفانيس ، ويقول البلاذرى : « قالوا : غزا معاوية بن حديج الكندى أيام معاوية بن أبى سفيان سقلية وكان أول من غزاها ولم تزل تغز بعد ذلك وقد فتح آل الأغلب بن سالم الافريقى منها نيفا وعشرين مدينة » . وبين غزو المسلمين المبكر وحملات الأغلب تتابعت الحملات الاسلامية . ومن ذلك حملة سنة ٦٦٨ م ـ سنة ٤٨ هـ التى خرجت من الاسكندرية بقيادة عبد الله بن قيس وتعاقبت على أثرها الهجمات . وفى سنة ٧٠٠ م ـ سنة ٨١ هـ أخذ عرب **مصر قوصرة (بانتلاريا)** وهى على ستين ميلا من صقلية وأربعين من افريقية وكانت القنطرة التى قفزوا منها الى صقلية . وهكذا تجدد النشاط البحرى من أوائل القرن الثامن الميلادى بعد سكونه « فنجد المسلمين يهاجمون صقلية فى سنوات ١٠٢ هـ ،

---

(١٩١) دكتور مؤنس : المسلمون فى البحر المتوسط ـ المجلة التاريخية المصرية م ٤ ع ١ مايو سنة ١٩٥١ م

سنة ٧٢٠ م ، ١٠٩ هـ سنة ٧٢٧ م ، ١١٠ هـ ـ ٧٢٨ م ، ١١٢ هـ ٧٣٠ م ١١٤ هـ ـ ٧٣٢ م ، ١٣٥ هـ ـ ٧٥٢ م ، ١٣٦ هـ ـ ٧٥٣ م » . على ان حملات الشام ومصر كانت للمغنم والاسر لا للفتح والاستقرار . وجاء تأسيس القوة العربية فى افريقية مغيرا للموقف ، وعرف أباطرة الروم انهم لن يستطيعوا أن يتجنبوا صراعا نهائيا فى صقلية . وتعرضت الجزيرة لهجمات متعددة خلال النصف الأول من القرن الثامن الميلادى (٢ هـ) دون نتيجة حاسمة .

ووجد زيادة الله بن الأغلب فى فتح الجزيرة مخلصا من متاعبه الداخلية والاضطرابات التى تحدث بين السودان والعرب والبربر . وكان الأغالبة قد فكروا فى الاستيلاء على صقلية وسرادانية جملة واحدة من قبل ولم تمكنهم الظروف من ذلك ، وعقد عبد الله بن ابراهيم سنة ٨١٢ م سنة ١٩٨ هـ صلحا لعشر سنين ولكن جاءت الفرصة المواتية لغزو صقلية على أثر تمرد القائد البيزنطى يوفيميوس Euphémius ـ الذى تسميه المراجع العربية (فيمه) «اذ كتب ملك الروم الى قسطنطين ـ عامله على صقلية ـ بأمره بالقبض على (فيمة) مقدم الأسطول وتعذيبه. فبلغ الخبر الى فيمه فأعلم أصحابه فغضبوا له واعانوه على المخالفة » . وكان بعد الجزيرة عن القسطنطينية يغرى بالثورة كل طامع ، وقد سبق فى عهد ايرين أن فر البيديوس Elpidiosمن الجزيرة الى العرب بافريقية حيث لقى الترحيب كامبراطور ورمانى . **وبدأ يوفيميوس ثورته سنة ٨٢٦ ـ ٧ م مغتنما ثورة توماس ونصر المسلمين فى كريت** ،وكان يعد لها من قبل. وقد استنجد وفيميوس بالمسلمين لمواجهة الدول البيزنطية ، وارتضى الأغالبة بعد تشاور أن يساعدوه . وخرجت الحملة الاسلامية بقيادة أسد ابن الفرات سنة ٢١٢ هـ ـ ٨٢٧ م من سوسة ونزلت الجزيرة عند مارزة Mazara وحاصرت سرقوسة Syracuse، وقرر أسد أن يستقل بعملياته عن حليفهالبيزنطى. وقد تعرض أسد لمكائد الروم وتواطؤ يوفيميوس معهم وتهديد المجاعة عند سرقوسة ، وكادت الحملة تفشل ورغب بعض الجند فى الرجوع ولكن وصل صقلية مدد من افريقية ومتطوعون أندلسيون من كريت ، كما قدم مدد من بيزنطة والبندقية الى الروم . وأحرز المسلمون بعض الانتصارات ثم تحول عنهم الحظ بعد وفاة قائدهم اسد بالطاعون ، وهلك يوفيميوس بمكيدة من أنصار الامبراطور . وهكذا حين جاء صيف سنة ٨٢٩ م ـ أى بعد عامين من بدء الغزو ـ بدا أن العمليات الحربية العربية على وشك الانتهاء وان كان موقف الروم ضعيفا رغم انتصاراتهم الظاهرة .

وتحول الموقف لصالح العرب في السنين الأولى من حكم تيوفيل اذ وصل المهاجمين اسطول أندلسي وآخر افريقي سنة ٢١٥ هـ ـ ٨٣٠ م ، ولكن المرض انتشر مرة أخرى في الجيش الاسلامي ، وعاد بعض عرب الأندلس الى بلادهم • بينما حاصر عرب افريقية بلرم فاستولوا عليها بعد حصار عام سنة ٢١٦ هـ ـ سنة ٨٣١ م ، ويقول فازيلييف : « **كان فتح بلرم أمرا هاما اكسب العرب قاعدة قوية يمكن الاعتماد عليها في فتح سائر المدينة • وكانت احداث سنة ٨٣١ تفسر لم أقدم تيوفيل بعد انتصاره في طرسوس والمصيصة على مصالحة المأمون** » • ولم يتبع نصر العرب في بلرم حدث هام مدى سنتين ، لانشغال المسلمين بتنظيم فتحهم الجديد • وتتابعت بعض الانتصارات للجيش الاسلامي حول قصريانة • وفي سنة ٢٢١ هـ ـ ٨٣٦ م غزا المسلمون اقليم اتنا (جبل النار) ، كما غزا أسطولهم الجزر الايولية المجاورة • **وفي سنة ٢٢٢ هـ ـ ٨٣٧ م سجل البيزنطيون انتصارهم في الجبهة الشرقية في زبطرة ، وفي صقلية ارتد المسلمون عند كفالو ومات زيادة الله وتوقف الهجوم العربي • لكن المسلمين ما لبثوا أن انتصروا في عمورية في العام التالي ، ثم اخذت تتساقط في أيدي المسلمين مدن في داخل صقلية** حتى صار القسم الغربي من الجزيرة في يد العرب آخر أيام تيوفيل ، وتوفى الامبراطور في أوائل سنة ٨٤٢ م بعد أن رأى فشل سياسته في الغرب والشرق •

ثم حول العرب عملياتهم الى أقصى الشرق من الجزيرة ، فحاصروا مسينا وساعدوهم أهل نابولى كحلفاء لهم ، وكان العرب قد ساعدوهم منذ هجوم بنفنتو سنة ٨٣٦ م ، فسقطت في أيدي المسلمين سنة ٢٢٩ هـ ـ ٨٤٣ م • وكانت الامبراطورة تيودورا الوصية على ميشيل الثالث (٨٤٢ : ٨٦٧ م) قد صالحت العرب المشارقة سنة ٨٤٥ م للتفرغ لصقلية ، ولكن تتابعت هزائم الروم وقامت مجاعة كبيرة بالجزيرة • وفي سنة ٢٣٨ ـ ٩ هـ ٨٥٢ : ٤ م خرب العرب القسم الجنوبي الشرقي من الجزيرة أي اقليم قطانيا وسرقوسة ونوتو وراجيز • وعلى الرغم من مهاجمة الروم دمياط سنة ٢٣٨ هـ ـ ٨٥٣ م لقطع اتصال مصر بكريت تمهيدا لمهاجمة الأخيرة ، فان ظروفهم لم تتحسن في صقلية • وسقطت قصريانة Castrojiovanni ٢٤٥ هـ ـ ٨٥٩ م ثم سقطت سرقوسة آخر المعاقل البيزنطية الكبرى سنة ٢٦٥ هـ ـ ٨٧٥ م بعد حصار طويل • ولم تسقط طبرمين Tauromenium الا سنة ٢٩٦ هـ ـ ٩٠٨ م « **اى أن المسلمين أنفقوا ١٣٨ سنة في فتح هذه الجزيرة ولم تخلص لهم بعد ذلك الا ثلاثا وسبعين** » ـ على حد تعبير الدكتور مؤنس • وهو يعتبر فتح صقلية من المعالم الهامة في التاريخ البحري الاسلامي

« فان سيطرتهم عليها جعلت مفتاح حوض البحر المتوسط الأوسط والغربي فى أيديهم . واذا كان المسلمون لم يحسنوا الاستفادة من صقلية كبلد عظيم وقع فى أيديهم وكان فى امكانهم تحويله الى بلد اسلامى خالص فلم يلبث أن ضاع من أيديهم ، الا أنهم أفادوا منه كمفتاح بحرى عظيم القيمة ، وعرفوا كيف يهددون منه ايطاليا كلها ويسودون البحر التيرانى كله ويفتحون أجزاء كثيرة من ايطاليا ومن أسف أن دول الأغالبة والفاطميين وبنى زيرى لم تضع سياسة بحرية رسمية تمكنهم من الافادة من صقلية ومركزها ولكن مرابطة المسلمين ومجاهدة البحر قاموا بجانب مما قصرت الدول المغربية الرسمية فى أدائه ، فاظهروا نشاطا عظيما فى الغزو فى البحر ، وتمكنوا من موالاة الغزوات على جنوبى ايطاليا وغربيها . ولو أن الدول الاسلامية المغربية أيدتهم فى أعمالهم ونظمتهم ، لكان للمسلمين فى حوض البحر الأبيض تاريخ آخر » . **ويذكر بيورى أن صقلية لعبت دورا مرموقا فى المرتين التى بلغ فيهما التوسع السامى اقصاه فى صراعه مع أوربا على جزر وسواحل البحر المتوسط وذلك بسبب موقعها الجغرافى : مرة فى صراع الفينيقيين مع الاغريق واخرى فى صراع العرب مع الروم . وفى كلتا المرتين انحسر المد الآسيوى على غير ايدى الاغريق ، فان الرومان هم الذين طردوا الفينيقيين كما أن النورمان هم الذين طردوا العرب** . والفارق بين الغزوتين الساميتين هو سيطرة العرب على الجزيرة بأسرها .

وقد عرقلت خلافات مسلمي صقلية من أفارقة عرب وبربر وغيرهم أندلسيين ـ عملياتهم الحربية ، على أنهم اشتركوا مع أهل المغرب فى مهاجمة **الشواطىء الايطالية** منتهزين فرص الخلافات بين الأسر الحاكمة حتى احتلوا برنديزى Brundisium سنة ٨٣٦ م وملكوها ثلاثين سنة ٨٤٠ : ٨٧٠ م ، وهاجموا نابلى سنة ٨٣٦ م واجتاحوا اقليم قلورية كله Calabria سنة ٨٣٧ م وخربوا كابوا Capua سنة ٨٤٠ م ، واحتلوا بنفنتو Benevento وحكموها خمس سنوات ٨٤٢ : ٨٤٧ م وعادوا اليها بعد فترة قصيرة من تركها ، واستولوا على تارنتم Tarentum وحكموها أربعين سنة ٨٤٠ : ٨٨٠ م ، واحتلوا بارى التى ظلوا فيها ثلاثين سنة ٨٤١ : ٨٧١ م . وغزوا روما وتقدموا شمالها الى مونت كاسينى سنة ٨٨٣ م وفى الوقت نفسه نزل بعض مهاجرة البحر الأندلسيين شاطىء ايطاليا الشمالى الغربى واجتاحوا شمالى ايطاليا حتى جبال الألب، وهاجم أسطول أغلبى جنوة سنة ٨٣٤ ـ ٥ م .

وفى سنة ٨٠٩ م كان الأندلسيون قد بدأوا فى غزو **قرصقة البيزنطية**

وسردانية الفرنجية ، وغزاهما الأغالبة من الغرب وصقلية وثبتت أقدامهم فيهما الى سنة ٨٣٠ م ، ثم انتقلتا الى الفاطميين فالأندلسيين حتى استخلصتهما قوات جنوة وبيزا بعد هجوم استمر من سنة ١٠١٦ إلى سنة ١٠٥٠ م . وفتح الأغالبة مالطة سنة ٨٢٤ م ، وظلت فى أيدى المسلمين حتى انتزعها النورمان سنة ١٠٩٠ م . **ومنذ فتح المسلمون قوصرة (بانتلاريا) سنة ١٣٠ هـ ــ ٧٤٨ م صارت درعا يقى تونس ، وقد زادت اهميتها بعد سقوط صقلية فى أيدى النورمان ، وكان سقوط قوصرة فى ايديهم ايضا سنة ٣٨٤ هـ ــ ١٠٩١ م نذيرا بغاراتهم على سواحل تونس (١٩٦) .**

الروم يستغلون فتنة الخرمية :

توالت أنباء الحوليات الاسلامية تحمل أنباء الانتقاضات الطائفية فى المشرق ، حيث تتعدد النحل والاعتقادات . ففى سنة ٧٩٦/١٨٠ م ــ فى عهد الرشيد ــ خرجت (المحمرة) بجرجان ، وظن الوالى العباسى على بن عيسى بن ماهان أن الأمر لا يعدو أن يكون تهييج فرد ، فطلب من الرشيد عقاب عمرو بن محمد العمركى لأنه هو « الذى هيج ذلك عليه وانه زنديق ، فأمر الرشيد بقتله فقتل بمرو » . ولكن ذلك لم يكن علاجا للأمور ، فقلبت المحمرة على خراسان فى العام التالى .

وفى سنة ١٩٢ هـ / ٨٠٨ م تحركت (الخرمية) بناحية أذربيجان، فوجه اليهم الرشيد جيشا من عشر آلاف فارس . ويبدو أن نجاح هذا الجيش كان جزئيا فقد حملت أنباء سنة ٢٠١ هـ / ٨١٥ م فى عهد المأمون « تحرك بابك الخرمى فى الجاويذانية ــ أصحاب جاويذان ابن سهل ــ صاحب البذ ، وادعى أن روح جاويذان دخلت فيه وأخذ فى العبث والفساد ، وتفسير جاويذان الدائم الباقى ، ومعنى خرم فرح ــ وهى

---

(١٩٦) ابن الاثير جـ٦ ص١٢٣ : ٦ ، ١٤٠ جـ٧ ص٢ـ٣ ، ٢٢ ، ٣٦ـ٧ ، فازيلييف: العرب والروم ــ ترجمة دكتور شعيرة ص ٦٢ : ٨٤ ، ١١٥ : ١٢٤ ، ١٢٩ ــ ١٣٠ ، ١٥٩ ــ ١٦١ ، ١٨٠ : ٧ ، ١٩٢ : ٥ ، ٢٢٨ : ٢٣١ ، دكتور مؤنس : المسلمون فى البحر المتوسط ــ المجلة التاريخية المصرية م ٤ ع ١ مايو سنة ١٩٥١ .
Vasiliev : L'Emp. Byz., Vol. I, pp. 367:370, 401:5. المصرية
Bury : Hist. of the East. Rom. Emp., pp. 294:306. وما بعدها
دكتور حتى : تاريخ العرب ــ ترجمة نافع حـ ٢ ص ٥٨٠ ــ ١ ، ٧٨١ : ٥ ، د . احسان عباس : العرب فى صقلية ص ٣١ : ٩ ، د . العدوى : الامبراطور البيزنطية والدولة الاسلامية ص ٧٦ : ٩١ فى صقلية ص ٣١ : ٩ ، العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ص ٨٦ : ٩١ .

مقالات المجوس أى دين الفرح ، ويعتقدون مذهب التناسخ » . وهذا التفسير لمبادىء الخرمية يورده ابن الأثير ، ويقول فان فلوتن « ويروى بعض الباحثين أن هناك صلة بين اسم الخرمية الذى قد يكون مشتقا من (خرم) اسم مدينة ببلاد ميديا أو كلمة (خرم) : ومعناها لذيذ ، فاذا ما تكلمنا عن (خرم دينيا Kharam dinia فلكي نبين أن هؤلاء لا يعرفون دينا غير اللذة » . والمحمرة فرقة من الخرمية . ويربط البعض بين الخرمية وبين أبى مسلم الخراسانى ، فيقال ان بابك من ولد مطهر بن فاطمة بنت أبى مسلم . وتنسب لهذه الطائفة كذلك أهداف سياسية ، فيقول المقدسي «فان الخرمية احتالوا فى ازالة الملك الى العجم ، فموهوا هذه النحلة وزينوها للجهال ، ودعوا اليها فى السر ومحصول أمرهم التعطيل والحاد » . وكانوا يعتقدون فى ظهور (المهدى) من جنسهم ليدعوهم الى الايمان به ، ويتبعه خلفاء له .

وتتابع ولاة أرمينية وأذربيجان على قتال بابك فى عهد المأمون دون نتيجة منذ سنة ٢٠٤ هـ ، وتذكر الحوليات انتصارات لبابك على عيسى ابن محمد بن أبى خالد سنة ٢٠٦ هـ وعلى محمد بن حميد الطوسى الذى لقى حتفه سنة ٢١٤ هـ . **وكانت ارمينية التى تتاخم ثغور الجزيرة من جهة وأذربيجان من جهة أخرى مسرح نشاط الخرمية الذين كانوا يسكنون بوجه خاص فى الاقليم الجبلى بين أذربيجان والديلم الى همذان والدينور . كما ارتبطت الفتنة الخرمية بالعلاقات الاسلامية البيزنطية فقد أراد الروم أن يستغلوا لصالحهم هذه الفتنة التى ساعدتها الظروف الجغرافية لتلك الأقاليم الجبلية . ويبدو أن تجدد الحرب بين المسلمين والبيزنطيين في أواخر عهد المأمون نشأ عن فتح باب المفاوضات بين بابك وتيوفيل** . فما كاد هذا يعتلى العرش حتى اجتاز عدد من ثوار الخرمية الحدود الى بلاد الروم ـ بعد أن قتل اسحق بن ابراهيم خليفة المأمون فى بغداد ٦٠,٠٠٠ فارسى فى همذان ـ وعرضوا خدماتهم على الجيش البيزنطى ، وقد تم هذا بمعونة ضابط من أصل فارسى أحضر للقسطنطينية وتيوفوبوس وحمل اسما اغريقياهو تيوفوبوسTheophobos أعتنق النصرانية وعينه تيوفيل قائدا على هؤلاء الهاربين الشرقيين وأهله لذلك أصله ولسانه وربما نظر اليه جنوده على أنه أحد الخلفاء المنتظرين لقائدهم الالهى . وكان طريق هؤلاء الهاربين من الخرمية هو الطريق الساحلى المار بطرابزون Trapezus اذ كانوا لا يستطيعون اجتياز اقليم ملطية الاسلامى . وقد حاول هؤلاء فيما بعد ـ وقد خدموا الدولة البيزنطية فى حملة زبطرة وغيرها ـ أن يعلنوا قائدهم الذى منح رتبة

البطريق امبراطورا سنة ۸۳۷م ضد رغبته ولضمن هذا القائد الذى تزوج أخت تيوفيل أو تيودوا كاتب الامبراطور بذلك ، فعفا عن هؤلاء الجنود ولكنه فرقهم فى مجموعات كل مجموعة من ألفى جندى على الجيوش المختلفة حيث عرفوا (بالتورمات الفارسية) .

وكان على المعتصم أن يواجه هذه الفتنة التى بلغ من خطورتها أن عبد الله بن طاهر قائد المأمون الشهير « بعث اليه المأمون يخيره بين خراسان والجبال أو ارمينية وأذربيجان ومحاربة بابك ، فاختار خراسان » كما يروى اليعقوبى . **وعقد المعتصم سنة ۲۲۰ هـ/۸۳٥ م للأفشين حيدر ابن كاوس على الجبال ووجهه لحرب بابك كما وجه أبا سعيد محمد بن يوسف الى اردبيل ليوفر الاستعدادات الحربية اللازمة للقتال « وأمره أن يبنى الحصون التى خربها بابك فيما بين زنجان واردبيل ، ويجعل فيها الرجال مسالك لحفظ الطريق لمن يجلب الميرة الى اردبيل »** . وقد أحرز أبو سعيد انتصارا على سرية خرمية مغيرة « فهذه أول هزيمة كانت على أصحاب بابك ، ووجه أبو سعيد الرؤس والأسرى الى المعتصم » .

ويعتبر قتال المسلمين لبابك مصدرا هاما لمعرفة النظم الحربية أيام العباسيين ، وقد استهل الأفشين جهوده بتحديد مراكز ثابتة محصنة لقواده بين برزند وأردبيل فى مواضع مختلفة « فكانت السابلة والقوافل تخرج من اردبيل معها من يبذرقها حتى تصل الى حصن النهر ، ثم يبذرقها صاحب حصن النهر الى الهيثم الغنوى (القائد من أهل الجزيرة وكان ينزل فى أرشق) ، ويخرج هيثم فيمن جاء من ناحيته حتى يسلمه الى أصحاب حصن النهر ، ويبذرق من جاء من أردبيل حتى يصير الهيثم وصاحب حصن النهر فى منتصف الطريق فيسلم صاحب حصن النهر من معه الى هيثم والعكس » . وكان الأفشين لا يؤذى الجواسيس ولكن يحاول أن يشتريهم ليعملوا لحسابه . وقد استهل الأفشين انتصاراته على بابك حين قدم بغا الكبير بأموال اليه ، وأراد الخرمية أن يأسروا القافلة التى تحمل الأموال . فقد رتب الأفشين خطة لتسير القافلة بعد أن يعود المال الى أردبيل ، وتنكر الخرمية فى زى جند المسلمين،وأخفى الافشين تحركه فباغت عدوه الذى كان يحلم بقافلة المال ولم يكن يتوقع أن يواجه الافشين فى قتال « فلم يزل الناس فى طلق واحد متراكضين يكسر بعضهم بعضا حتى لحقوا بابك وهو جالس ، فلم يتدارك أن يتحول ويركب حتى وافته الخيل والناس ، واشتبكت الحرب فلم يفلت من رجالة بابك واحد وأفلت هو فى نفر يسير » . على أن الخرمية استطاعوا مع ذلك أن يستولوا على

بعض قوافل تموين الأفشين ، كما انتصر بابك على بغا الكبير سنة ٢٢١هـ « وكان تجهز وحمل معه الزاد من غير أن يكون الأفشين كتب اليه ولا أمره بذلك ، فدار حول (هشتادسر) حتى دخل الى قرية (البذ) » ، فخرج اليه بعض عساكر بابك وهاجموا فريقا من جنده. ثم اتفق بغا والافشين على يوم معين لمهاجمة بابك ، ولكن الظروف الجوية القاسية من رياح باردة وأمطار وثلوج لم تحقق توافق العمليات الحربية من جانبى القائدين، فدارت الدائرة على جيش بغا بعد أن كابد الكثر من وعورة المضايق والعقاب فى الجبال « وتخوف بغا على عسكره أن يواقع بالطلائع من ناحية ، ويدور عليهم فى بعض الجبال والمضايق قوى آخرون... فقال له الفضل بن كاوس : ليس هؤلاء أصحاب نهار وانما هم أصحاب ليل .. فضرب لبغا على طرف الجبل فى موضع شبيه بالحائط ليس فيه مسلك ، وجاء بغا فنزل وأنزل الناس وقد تعبوا وكلوا وفنت أزوادهم ، فباتوا على تعبئة وتحارس من ناحية المصعد . فجاءهم العدو من الناحية الأخرى ، فتعلقوا بالجبل حتى صاروا الى مضرب بغا ، فكبسوا المضرب وبيتوا العسكر وخرج بغا راجلا حتى نجا وجرح الفضل ابن كاوس .. » ولكن المسلمين استطاعوا فى نفس السنة قتل قائد كبير لبابك هو طرخان .

وفى العام التالى جرت موقعة بين أصحاب الافشين وآذين قائد بابك الذى تحدى المسلمين فكشف عياله فوق جبل يشرف على روذ الروذ « وقال لا أتحصن من اليهود ـ يعنى المسلمين ـ ولا ادخل عيالى حصنا » ، فأراد الافشين ان يرد التحدى بأسر عيال آذين ، وأجرى استعدادات لمواجهة طبيعة البلاد الجبلية « وكان الافشين عند توجه هؤلاء الرجالة ودخولهم المضيق يخاف ان يؤخذ عليهم المضيق ، فامر (الكوهبانية) أن يكون معهم أعلام وان يكونوا على رؤس الجبال الشواهق التى يشرفون منها على هؤلاء الرجالة ، فان رأوا أحد يخافونه حركوا الأعلام » . وقد نجح جند الافشين فى هذه المهمة .

وأخذ الافشين يدنو من (البذ) فى بط «ولا يحفر خندقا،ولكنه يقيم معسكرا فى الحسك • وكتب اليه المعتصم يأمره أن يجعل الناس نوائب كراديس تقف على ظهور الخيل ، فبعض القوم معسكرون وبعض وقوف على ظهور دوابهم على ميل ، كما يدور العسكر بالليل والنهار مخافة البيات » • فأرهق جند الافشين وتعجلوا القتال ، ولكن الافشين مضى فى خطته فاختار مواقع حصينة على رؤس الجبال » وامر الفعلة بنقل الحجارة وتحصين الطرق التى تسلك الى تلك الثلاثة أجبل حتى صارت

شبه الحصون ، وأمر فاحتفر على كل طريق وراء تلك الحجارة الى المصعد خندقا ، فلم يترك مسلكا الى جبل منها الا مسلكا واحدا » • وأتاه رسول من بابك يحمل اليه القثاء والبطيخ ويرمى الى استطلاع استعدادات معسكر الافشين فمكنه من ذلك . ثم أخذ يوالى تجهيزاته دون أن يقدم على قتال حاسم ، ولكن يواجه المناوشات الجزئية ، وقد عول على أن يتعرف مواضع كمناء بابك بعد استدراجهم .

وكان كثير من الجند خاصة (المطوعة) لا يطيقون هذه الاجراءات الطويلة التى يحكم بها الافشين خطته ، فرتب هجمة سريعة لم تؤد لنتيجة « فلم يزل الناس متواقفين متحاجزين يختلف بينهم النشاب والحجارة : أولئك على سورهم والباب ، وهؤلاء قعود تحت اتراسهم وقال جعفر : لست أوتى من قلة الرجال ولكنى لست ارى للحرب موضعا يتقدمون انما ها هنا موضع مجال رجل أو رجلين قد وقفوا عليه وانقطعت الحرب ••• وبعث الافشين بالبغال عليها المحامل فجعلت فيها الجرحى ، وانصرف الناس الى خندقهم وأيسوا من الفتح فى تلك السنة ، وانصرف أكثر المطوعة » • ولكن الافشين جهز هجوما اخر بعد جمعتين ، جمعتين فلما تعثرت الخيل فى آبار محفورة وجه الافشين (الكلفرية) ـ الفعلة « يقلعون حيطان منازلهم ويطمون بها تلك الآبار ، وحمل الناس عليهم حملة واحدة » . واضطر بابك الى الانسحاب وعرض عليه الافشين الامان .

ودخل جند الافشين البذ وصعدوا بالاعلام فوق قصور بابك الأربعة ، وكان فيها كمائن خرجوا يقاتلون المهاجمين فقاتلتهم الافشين وقواده » واحضر النافطين فجعلوا يصبون عليهم النفط والنار والناس يهدمون القصور » وقد رجع الافشين بعد فتحه معقل بابك الى خندقه ، ثم تابع الهدم والتحريق ثلاثة أيام « وكتب الى ملوك ارمينية وبطارقها يعلمهم ان بابك قد هرب وعدة معه ، وصار الى واد خرج منه الى ناحية ارمينية وهو مار بكم ، وامرهم أن يحفظ كل واحد منهم ناحيته ولا يسلكها احدالاأخذوه حتى يعرفوه فجاء الجواسيس الى الافشين فاخبروه بموضعه فى الوادى وكان واديا كثير العشب والشجر طرفه بأرمينية الآخر باذبيجان ، ولم يمكن الخيل أن تنزل اليه ولا يرى من يستخفى فيه لكثرة شجره ومياهه » .

فرتب الافشين دوريات على الطرق ، وجدد عرض الامان على بابك حين ورد من المعتصم فابى ثم عثرت على بابك احدى الدوريات ولكنه

هرب حين رآها تاركا أخاه وأمه وامرأة أخرى ودخل جبال ارمينية متخفيا على أن احتياجه للطعام مالبث أن كشف امره ، واستطاع سهل ابن سنباط ان يخدعه ثم يسلمه اثناء خروجهما معا للصيد الى الافشين اما عبد الله أخو بابك ، فقد صار الى عيسى بن يوسف بن اصطفانوس فاسلمه أيضا .

وقد جرى استعراض بابك فى معسكر الافشين ثم فى سامرا حين اشخص اليها مع أخيه سنة ٢٢٣ هـ سنة ٨٣٨ م امام الخليفة والعامة ووضع على فيل ثم قتل وصلب ويقدم لنا الطبرى فى ختام عرضه المفصل لقتال بابك هذا الاحصاء : كان يجرى الافشين فى مقامة بازاء بابك سوى الأرزاق والانزال والمعاون فى كل يوم يركب فيه عشرة آلاف درهم ، ونصف ذلك حين لا يركب وكان جميع من قتل بابك فى عشرين سنة ٢٥٥٫٥٠٠ انسان وغلب يحيى بن معاذ وعيسى بن ابى خالد وأحمد بن الجنيد وأسره وزريق بن على صدقه ومحمد بن حميد الطوسى وابراهيم بن الليث ، وأسره مع بابك ٣٣٠٩ أناسى واستنفذ من المسلمات فى يده وأولادهن ٧٦٠٠ انسان وعدة من صار فى يد الافشين من أسرة بابك ١٧ رجلا و ٢٣ امرأة فلما أنهى الافشين هذا الصراع الطويل كان الخليفة يوجه اليه فى طريقة الى سامرا كل يوم فرسا وخلعة « منها عشرة آلاف ألف صلة وعشرة آلاف ألف يفرقها فى أهل عسكره وعقد له على السند ، وادخل عليه الشعراء يمدحونه وأمر للشعراء بصلات » . وقد بلغ من عناية المعتصم بأمر بابك وأخباره انه « جعل من سامرا الى عقبة حلوان خيلا مضمرة على رأس كل فرسخ فرسا معه مجر مرتب ، فكان يركض بالخبر ركضا حتى يؤديه من واحد الى واحد يدا بيد ، وكان ما خلف حلوان الى اذربيجان قد رتبوا فيه دواب المرج فكان يركض بها يوما أو يومين ثم تبدل .. وجعل لهم ديادبة على رؤوس الجبال بالليل والنهار .. ، فكانت الخريطة تصل من الأفشين الى سامرا فى أربعة أيام واقل » .

وقد ارهق بابك قوى الدولة الاسلامية فى الداخل وشغلها عن حرب البيزنطيين ، وقد كان يتجمع اليه الساخطون من رجال الدولة ، فحين أتى حاتم بن هرثمة بن اعين والى ارمينية لفترة فى عهد المأمون نبا مقتل أبيه بدسيسة ابن سهل « خرج من برذعة حتى نزل كسال ، فبنى فيها حصنا وعمل على أن يخلع ، وكاتب البطارقة وكاتب بابك والخرمية وهون أمر المسلمين عندهم فتحرك بابك والخرمية » . ولما غضب المأمون على على بن هشام وآليه على الجبل واذربيجان سنة ٢١٧ هـ ووجه اليه

عجيفا « أراد أن يفتك به ويلحق ببابك » (١٩٣)

وخرج **المازيار** بطبرستان ، وكان المأمون يخاطبه فى رسالة بالقاب التكريم الى جيل جيلان اصبهبذ اصبهبذان . . » ـ فاختلف أيام المعتصم سنة ٢٢٤ هـ مع عبدالله بن طاهر « فكان يكاتب بابك ويحرضه ويعرض عليه النصرة » .

ثم طمع **الافشين** فى ولاية خراسان جزاء على جهوده فى خدمة الدولة فشجع المازيار على الخلاف ليكون ذلك سبيلا لعزل عبد الله بن طاهر وافساح الطريق أمامه ، « وكان الافشين يسمع أحيانا من المعتصم كلاما يدل على انه يريد أن يعزل آل طاهر عن خراسان ، فطمع الافشين فى ولايتها ، فجعل يكاتب مازيار ويبعثه على الخلاف ويضمن له القيام بالدفع عند السلطان ، ظنا منه ان مازيار ان خالف احتاج المعتصم الى أن يوجهه لمحاربته ويعزل عبد الله بن طاهر ويوليه خراسان » . وهلك المازيار بعد أن أعان عليه ابن عم له حاقد عليه ، وسعى عبد الله بن طاهر عند الخليفة ضد الافشين وأخبر بمكاتباته للمازيار وتكديسه للأموال فى أشروسنة وزاد من حرج موقفه مخالفة منكجور منكجور أحد أقربائه باذربيجان . وهكذا انتهى أمر القائد الصغدى الايرانى الذى ابلى فى حرب بابك والروم الى المحاكمة ، وشهد المازيار عليه بانه كان يحرضه على المعصية « لمذهب كانوا اجتمعوا عليه ودين اتفقوا عليه من مذاهب الثنوية والمجوس » . وأن أخا الافشين كتب الى أخى المازيار « انه لم يكن ينصر هذا الدين الابيض غيرى وغير بابك فاما بابك فانه بحمقه قتل نفسه ولقد جهدت أن اصرف عنه الموت فأبى حمقه الا أن دلاه فيما وقع فيه ، فان خالفت لم يكن القوم من يرمونك به غيرى ومعى الفرسان وأهل النجدة والبأس ، فان وجهت اليك لم يبق أحد يحاربنا الا ثلاثة: العرب والمغاربة والاتراك والعربى بمنزلة الكلب المرح له كسرة ثم أضرب رأسه بالدبوس ، هؤلاء الذباب ـ يعنى المغاربة ـ انما هم أكلة رأس ، وأولاد الشياطين ـ يعنى الاتراك ـ فانما هى ساعة حتى تنفد سهامهم

---

(١٩٣) الطبرى حـ ١٠ ص ٦٨ ـ ٩ ، ١٠٩ ، ٢٤٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٨ ـ ٩ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٣٠٧ ، ٣١١ ، ٣١٤ : ٣٣٤ ، ابن الأثير حـ ٦ ص ٥٥ ، ٥٧ ، ٧٤ ، ١٢١ ، ١٣٢ ـ ٣ ، ١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ـ ٣ ، ١٥٥ ، ١٦٤ : ٦ ، ١٦٧ : ١٧٦ ، المسعودى : مروج الذهب حـ٢ ص ٢٣٦ ـ ٧ ، ٣٥٠ : ٣ ، دكتور حسن ابراهيم . تاريخ الاسلام حـ ٢ ص ٩٦ : ١٠٠ ، فازيلييف : العرب والروم : ترجمة دكتور شعيرة ص ٨٧ ـ ٨ ، ١١٣ ـ ٤ والهامش ، ١٣٨ : ١٤٣ ، ذيل هنرى جريجوار : ص ٣٦٣ ـ ٤ ،

Bury : Hist. of the East. Rem. Emp., pp. 251:4.

ثم تجول الخيل عليهم جولة فتاتى على آخرهم ، ويعود الدين الى مالم يزل عليه أيام العجم » . وقد تولى محاكمة الافشين محمد بن عبد الملك الزيات وطعن عليه فى دينه ، وانتهى أمره الى مصير بابك والمازيار ، حتى يقول براون Browne « ان الأفشين لم يكن فى ميوله ونشأته الفارسية أقل وطنية وعطفا على الفرس من هذين الرجلين الذين صحباه فى نهاية المحزنة (١٩٤) » !!

ولقد شهد عهد المعتصم وهو من أم ولد تركية **تحول العباسيين عن الفرس الى الاتراك** الذين جلبوا من وراء نهر جيحون عن طريق السبى باعتبارهم جزية يقدمها الامراء المحليون ، أو عن طريق تجارة الرقيق . وكانت قيادة هذه القوات فى أيدى الاحرار من رجال العباسيين العرب والفرس ، ولمـــا اشتعلت الخصومة بين العرب والفرس خاصة فى نزاع الامين والمأمون التمس المعتصم مزيدا من الطمأنينية بالاعتماد على الاتراك ورفعهم الى مناصب القيادة . وقد رأى المعتصم أخيرا أن يبعد هؤلاء الجنود الاتراد عن بغداد بعد أن تأذى الناس من تصرفاتهم وكثرت الاحتكاكات بينهم وبين الاهلين ، فبنى مدينة سامرا عند القاطول سنة ٢٢١ هـ/سنة ٨٣٦ م ويذكر ان الرشيد كان قد شرع في ذلك من قبل « وقد كان خاف من الجند ماخاف المعتصم ، فلما وثب أهل الشام بالشام وعصوا خرج الرشيد الى الرقة فأقام بها ، وبقيت مدينة القاطول لم تتم(١٩٥) » .

عمورية : سنة ٢٢٣ هـ / ٨٣٨ م :

عاصر تيوفيل الاول (٨٢٩ : ٨٤٢ م) السنوات الاخيرة من حكم المأمون حتى سنة ٨٣٣ م ، وعاصر المعتصم منذ توليه الخلافة فى ذلك العام ثم توفى العاهلان البيزنطى والاســلامى فى سنة واحدة . ويرى بيورى ان عهد تيوفيل كان من الممكن أن يتألق في الحوليات البيزنطية مثلما تألق عهد الرشيد فى حوليات الاسلام ، ولـكن تيوفيل كان هدفا لحملة شديدة باعتباره من محاربى الايقونات ، كنا أن عملياته الحربية

---

(١٩٤) الطبرى حـ ١٠ ص ٣٤٨ وما بعدها الى ٣٦٧ ، ابن الأثير حـ ٦ ص ١٨٢ ومابعدها الى ١٩٦ ، المسعودى : مروج الذهب حـ ٢ ص ٣٥٤ ، اليعقوبى حـ ٣ ص ١٨٩ الى ١٩٠ ، دكتـور حسن ابراهيم : تاريخ الاسـلام حـ ٢ ص ١٠٠ : ٤ ، فازيلييف العرب والروم ـ ترجمة دكتور شعيرة ص ١٠٥

(١٩٥) الطبرى حـ ١٠ ص ٣١٠ ـ ١١ ، ابن الأثير حـ ٦ ص ١٦٦ ، المسعودى : مروج الذهب حـ ٢ ص ٣٤٩ ـ ٥٠ ،

Brockelman : Hist. of the Islamic Peoples, pp. 129-130.

لم تكن موفقة فى المشرق والمغرب • ولم يكن الامبراطور البيزنطى متمتعا بمواهب الساسة الكبار . وقد زاد من تشويه سمعته ان تسجيل تاريخه قد وقع فى العهد الباسيلى ، الذى كان يرتكز على النيل من الأسلاف العموريين :

وقد اتيح لتيوفيل مع ذلك أن يحتفل مرتين بانتصاره على المسلمين: احداهما بعد حملته على المصيصة وطرسوس سنة ٢١ هـ - ٨٣١ م فى عهد المامون ، والاخرى فى عهد المعتصم • وقد كان لدى الدولة الاسلامية ما يشغلها من فتنة الخرمية فى داخلها ، وكان لدى البيزنطيين مايشغلهم من توجيه الجهود لاستنقاذ صقلية • لذلك بذل تيوفيل محاولات متتابعة لمصالحة المامون ، ولكن تاييد البيزنطيين للخرمية قد جعل قتال المسلمين لهم أمرا محتوما فى اواخر أيام المامون ثم فى عهد المعتصم بعد ذلك •
ذلك ان بابك حين رأى تضييق الأفشين عليه « وأشرف على الهلاك وأيقن بالضعف ، كتب الى ملك الروم توفيل بن ميخائيل بن جرجس يعلمه أن ملك العرب قد وجه عساكره ومقاتلته اليه حتى وجه خياطه - يعنى جعفر ابن دينار - وطباخه - يعنى ايتاخ ••• طمعا منه بكتابه فى أن ملك الروم ان تحرك انكشف عنه بعض ما هو فيه ، بصرف المعتصم بعض من بازائه من جيوشه الى ملك الروم ••• فذكر أن توفيل خرج فى مائة ألف وقيل أكثر ، فيهم من الجند نيف وسبعون ألفا وبقيتهم أتباع - حتى صار الى زبطرة ، ومعه من المحمرة - الذين كانوا خرجوا للجبال فلحقوا بالروم حين قاتلهم اسحق بن ابراهيم بن مصعب - جماعة رئيسهم بارسيس، وكان ملك الروم قد فرض لهم وزوجهم وصيرهم مقاتلة يستعين بهم فى أهم أموره اليه » وقد تظاهر بابك امام تيوفيل بأنه مسيحى ووعد بتنصير أتباعه .

ودخل تيوفيل ارض العرب بجيشه من البلغار والسلاف والفرس من أتباع بابك سنة ٨٣٥ م وقصد الروم الى حصن زبطرة الحصين فى ثغور الجزيرة قرب الحدود الفاصلة بين الامبراطوريتين على اربع فراسخ من الحدث وعلى مسيرة يوم من حصن منصور (فيران شهر جنوب غربى ملطية) • ويبدو أن تيوفيل رغب فى الاتصال بثوار ارمينية وأذربيجان من أعالى الفرات ، وكان قد حاول تدعيم نفوذه فى المنطقة الارمينية القوقازية ، وارسل رسلا الى ارمينية الكبرى لمطالبتها بالجزاة كما يقول ميشيل السورى • وهاجم تيوفيل **زبطرة وشمشاط وملطية** ، وكان اشد ما أصيب زبطرة حيث قتل الرجال وسبى الذرارى والنساء وتركت شمشاط على الفرات خرابا •

وبينما كان الامبراطور البيزنطى يحتفل بانتصاره « بلغ النفير الى سامرا ، وخرج أهل ثغور الشام والجزيرة الا من لم يكن عنده دابة ولا سلاح ، واستعظم المعتصم ذلك فصـــاح فى قصره : النفير ، ثم ركب دابته ... » ووضع الخليفة وصيته فى ممتلكاته ، ووجه بعض القواد الى زبطرة ـ عجيف بن عنبسة وعمرو الفرغانى ومحمد بن كوته « فوجدوا ملك الروم قد انصرف الى بلاده ... فوقفوا قليلا حتى تراجع الناس الى قراهم واطمأنوا . فلما ظفر المعتصم ببابك قال : أى بلاد الروم أمنع وأحصن ؟ فقيل عمورية ، لم يعرض لها أحد من المسلمين منذ كان الاسلام وهى عين النصرانية ... » ودخل ابراهيم بن المهدى على المعتصم فاستثاره بشعره :

يا غارة الله قد عاينت فانتهـــكى
هتـك النســـاء ومامنهن يرتكب

هب الرجال على اجرامهـا قتلت
مابال أطفالها بالذبح تنتهب

فتعمم المعتصم بعمامة الغزاة وخرج فى جمادى الاولى سنة ٢٢٣هـ/ ابريل سنة ٨٣٣م « ونودى فى الامصار بالنفير والسير مع أمير المؤمنين ، وجعل على مقدمته اشناس التركى ويتلوه محمد بن ابراهيم وعلى ميمنته ايتاخ ، وعلى ميسرته جعفر بن دينار وعلى ساقته بغا الكبير ، وعلى القلب عجيف بن عنبسة **وسار المعتصم من الثغور الشامية** .. ودخل الناس من سائر الدروب فلم يكن يحصى النـــاس العدد ، ولا يضـــبطون كثرة فمن مكثر ومقلل ، فالمكثر يقول خمسمائة ألف والمقلل مائتى ألف » . وأقام المعتصم على نهر اللامس ، وهو على سلوقية قريبا من البـحر بينه وبين طرسوس مسيرة يوم وعليه يكون الفداء ، «فذكر انه تجهز جهازا لم يتجهز مثله قبله خليفة قط من الســـلاح والعدد والآلة وحياض الادم والبغال والروايا والقرب وآلة الحـــديد والنفط » . ونقش المعتصم على الالوية والتروس عمورية .

ووزع المعتصم قواته فامضى الافشين الى سروج ليدخل من درب الحدث ، وأمر اشناس أن يدخل من درب طرسوس الى الصفصاف ، وحدد لهم المواعيد ليلتقى القــائدان بقواتهما مع قوات الخليفة عنــد انقرة ، ليفتحوها . ثم ارسل المعتصم الى اشـــناس وهو بمرج الاسقف أن جيش الامبراطور بين يديه وان عليه انتظار الساقة «لان فيها الاثقال والمجــانيق والزاد وغير ذلك ، وكان ذلك بعـد فى مضيق الدرب » .

ويذكر كانار Canard ان من الصعب ايجاد صلة لغوية بين مرج الاسقف وملاكوبيا (ملقوبية) ، ومقتضى مايذكره ابن خرداذبة أن مرج الاسقف تقع على الطريق بين دروب قيليقية وأذرولية بعد اجتياز (بليسة ـ فلسة)، ويزيد الادريسي انها تبعد عن بليسة نحو تسعة أميال «وعلى هذا لايتصور ان مرج الاسقف هي نازايانزى ـ نينزى أو ملاكوبيا » . وقد كلف المعتصم أشناس بالاستفادة من الوقت في ارسال سرية استطلاعية تأسر بعض الروم للاستعلام منهم عن خبر امبراطورهم ، وكان هذا قد علم بقصد المسلمين أنقرة وعمورية فغادر عاصمته صوب الحدود ومعه تيوفوبوس الفارسي ومانويل اللاجىء الرومي العائد وأخذ يدبر تحصين عمورية وشحنها مخالفا بذلك نصيحة باخلائها . وقد عهد بذلك الى Aetius آيتيوس (ياطس) قائد البند الاناضولي ومقره عمورية، **وكانت خطة الامبراطور ان يهاجم قوات عدوه شمالا الى انقرة .**

ولما لم يكن الامبراطور يعلم شيئا عن تحرك الافشين من الثغور الجزرية فانه قد عبر نهر الهليس مقدرا ان عدوه سيجتاز الابواب القيليقية الى انقرة عن طريق اقصر الطرق من سدس Soandos الى بارناسوس Parnassos ثم يتابع مجرى النهر ، فعزم على أن ينقض على جناحه . على أن كانار يرجح أن الامبراطور عسكر وراء الهيلاس لا الهليس ، وانه كان ينوى أخذ جيش امتصم على غرة عند مخاضة على هذا النهر « فان المعتصم حين أراد السير من مطامير الى انقرة ، لم يكن ليخطر بباله قط أن يجتاز منحنى الهليس ، وذلك ان الطريق المستقيم كان على الضفة الاخرى » . ثم علم الامبراطور بمسير جيش الافشين من ناحية بند الارمنياق فكان لابد من أن يقسم قواته ، فأخذ معظم جيشه وسار لمواجهة الافشين بينما خلف أحد أقربائه لمنع تقدم الخليفة . وكان الافشين قد اجتاز في هذه الاثناء سبسطية (سيواس) ووصل اقليم Dazimon حيث التقى بقوات الامبراطور . وتتحكم هذه البقعة (توكات الحديثة) في الطريق الكبير الذى يسير من القسطنطينية الى سبسطية في نقطة يجتازها طريق آخر شمالا الى Neo-Caesarea . وعسكر الافشين بجنده قرب طرخال Turkhal (كازا اوفا عند الترك Kaza Ova) على نهر ايريس . ويبدو أنه قد انضم اليهم جند ارمن مع أمير ملطية عمر بن عبيد الله بن مروان الاقطع السلمي ـ بينما كان الترك أكثر في جند اشناس .

وأتت السرية الاستطلاعية التي أرسلها أشناس بقيادة عمرو الفرغاني بأخبار توزيع الملك قواته بعد أن واجهت بعض المخاطر ، اذ ان

القائد البيزنطى فى منطقة (**حصن قرة**) فى بند كبادوكيا (القباذق) قد تنبه للخطر . ويقدم الطبرى تفصيلا عن نشـــاط هذه الحمـلة الاستطلاعية فيقول :

« فوجه أشناس عمرا الفرغانى فى مائتى فارس ، فساروا ليلتهم حتى اتوا حصن قرة فخرجوا يلتمسون رجلا من حول الحصن فلم يمكن ذلك ، ونذر بهم صاحب قرة ، فخرج فى جمع فرسانه الذين كانوا معه بالعدة . وكمن فى الجبل الذى فيما بين قرة ودرة (ولعلها مدينة دوارا فى كبادوكيا) ـ وهو جبل كبير يحيط برستاق يسمى رستاق قرة . وعلم عمرو الفرغانى أن صاحب قرة قد نذر بهم ، فتقدم الى درة فكمن بها ليلته . فلما انفجر عمود الصبح صير عسكره ثلاثة كراديس ، وأمرهم أن يركضوا ركضا سريعا بقدر ما يأتونه بأسير عنده خبر الملك ، ووعدهم أن يوافوه به فى بعض المواضع التى عرفها الادلاء ووجه مع كل كردوس دليلين ، وخرجوا مع الصبح فتفرقوا فى ثلاثة وجوه ، فأخذوا عدة من الروم وبعضهم من أهل عسكر الملك وبعضهم من الضواحى . وأخـذ عمرو رجلا من الروم من فرسان أهل القرة فسأله عن الخبر ، فأخبره أن الملك وعسكره بالقرب منه وراء اللمس بأربعة فراسخ (الهليس كما يرى فازيلييف وهيلاس كما يرى كانار) ، وأن صاحب قرة نذر بهم فى ليلتهم هذه ، وانه ركب فكمن فى هذا الجبل فوق رءوسهم فلم يزل عمرو فى الموضع الذى كان وعد فيه أصحابه ، وأمر الأدلاء الذين معه ان يتفرقوا فى رءوس الجبال ، وأن يشرفوا على الكراديس الذين وجههم اشفاقا أن يخالفهم صاحب قرة الى أحد الكراديس ، فرآهم الأدلاء ولوحوا لهم فأقبلوا ، فتوافوا هم وعمرو فى موضع غير الموضع الذى كانوا اتعدوا له ، ثم نزلوا قليلا ثم ارتحلوا يريدون العسكر ، وقد أخذوا عدة ممن كانوا فى عســكر الملك ، فصاروا الى اشناس فى (اللمس) فسألهم عن الخبر ، فأخبروه ان الملك مقيم منذ أكثر من ثلاثين يوما ينتظر عبور المعتصم ومقدمته باللمس فيواقعهم من وراء اللمس ، وانه قد جاءه الخبر قريبا انه قد رحل من ناحية الارميناق عسكر ضـخم وتوسط البلاد ـ يعنى عسكر الافشين ـ وانه قد صار خلفه ، فأمر الملك رجلا من أهل بيته ابن خاله فاستخلفه على عسكره . وخرج ملك الروم فى طائفة من عسكره ، يريد ناحية الافشين . فوجه أشناس بذلك الرجل الذى أخبره بهذا الخبر الى المعتصـم فأخبر بالخبر ، فوجه المعتصم من عسكره قوما من الادلاء وضمن لهم لكل رجل منهم عشرة آلاف درهم على أن يوافوا بكتاب الافشين وأعلمه فيه ان أمير المؤمنين مقيم ، اشفاقا من أن يواقعه ملك الروم . وكتب الى أشناس كتابا

يأمره أن يوجه من قبله رسولا من الأدلاء الذين يعرفون الجبال والطرق والمشبهة بالروم ، وضمن لكل رجل منهم عشرة آلاف درهم أن هو أوصل الكتاب » .

ولكن الرسل لم تلحق الافشين . « وذلك انه كان وغل فى بلاد الروم ، وتوافت آلات المعتصم وأثقاله مع صاحب الساقة الى العسكر ، فكتب الى أشناس يأمره بالتقدم . وتقدم أشناس والمعتصم من ورائه ـ بينهم مرحلة ، ينزل هذا ويرحل هذا ، ولم يرد عليهم من الأفشين خبر حتى صاروا من انقرة على مسيرة ثلاث مراحل ، وضاق عسكر المعتصم ضيقا شديدا من الماء والعلف » . ودل أحد الاسرى أشناس على موضع يتمون منه جنوده ودوابهم ، وكان قد هرب الى هذا الموضع بعض جند الروم الجرحى فعلم المسلمون منهم بانتصار الافشين فى المعركة التى دارت فى ٢٥ شعبان /٢٢ يوليو ضد جيش الامبراطور الذى فر من الميدان الى خليوكومون Chiliokomon بعد أن كان الجيش البيزنطى متفوقا فى أو الامر ويبدو انه قد حدث تمرد بين الفرس فى جيش الامبراطور . « وسمع منويل اللاجىء الرومى القائد الذى صار دمستق الاسكول) فى قول أو سمع تيوفوب (الفارسى) فى قول آخر ـ على حد تعبير فازيلييف ـ مفاوضات بين الفرس والعرب كان الفرض منها خيانة تيوفيل، فلما سمعها دعاه وفاؤه الى جمع جماعة ممن ثبت اخلاصهم للامبراطور فاقنعوه بالهرب . فافسح الامبراطور لنفسه طريقا بين جند العدو بعد شىء من العنا وسار حتى بلغ (خليو كومون) وهو سهل شمالا أمازيا ، فجمع به فلول جيشه الهارب » . ويذكر المسعودى أن المدعو نصرا (تيوفوب) ابلى بلاء حسنا. « والواقع انه وقع خلط كثير بين منويل وتيوفوب (نصر) ، لقد كان كل منهما شخصية كبيرة فى ناحية العرب وناحية الروم وكان لكل منهما اسطورة ذات ملاحم عند كلا الفريقين . ولهذا خلطوا بينهما ، ولكن منويل أصبح عند الروم موضع القداسة فغطى على تيوفوب » .

ويروى الطبرى نبأ الواقعة التى انتصر فيها الافشين نقلا عن شهود العيان من جرحى الروم فيقول « فاخبروهم ان الملك كان معسكرا على أربعة فراسخ من اللمس حتى جاءه رسول ان عسكرا ضخما قد دخل من ناحية الارمنياق ، فاستخلف على عسكره رجلا من أهل بيته ، وأمره بالمقام فى موضعه فان ورد عليه مقدمة ملك العرب واقعه ، الى أن يذهب هو فيواقع العسكر الذى دخل الامنياق ـ يعنى عسكر الافشين ـ فقال

أميرهم : نعم وكنت ممن سار مع الملك فواقعناهم صلاة الغداة ، فهزمناهم، وقتلنا رجالتهم كلهم وتقطعت عساكرنا فى طلبهم . فلما كان الظهر رجع فرسانهم فقاتلوا قتالا شديدا حتى خرقوا عسكرنا واختلطوا بنا واختلطنا بهم فلم ندر فى أى كردوس الملك فلم نزل كذلك الى وقت العصر . ثم رجعنا الى موضع عسكر الملك الذى كنا فيه فلم نصادفه . فرجعنا الى موضع معسكر الملك الذى خلفه على اللمس ، فوجدنا العسكر قد انتفض، وانصرف النـــاس عن الرجل قرابة الملك الذى كان الملك استخلفه على العسكر ، فأقمنا على ذلك ليلتنا . فلما كان الغد وافانا الملك فى جماعة يسيرة فوجد عسكره قد اختل ، وأخذ الذى استخلفه على العسكر فضرب عنقه . وكتب الى المدن والحصون ألا يأخذوا رجلا من عسكر الملك الا ضربوه بالسياط ، ويرجع الى موضع سماه لهم الملك انحاز اليه ليجتمع اليه الناس ويعسكر به ليناهض ملك العرب ، ووجه خادما له خصيا الى أنقرة على أن يقيم بها ويحفظ أهلها ان نزل بها ملك العرب . قال الاسير: فجاء الخصى الى انقرة وجئنا معه ، فاذا انقرة قد عطلها أهلها وهربوا منها فكتب الخصى الى ملك الروم يعلمه ذلك ، فكتب اليه الملك يأمره بالسير الى عمورية .. » وسارت السرية تحمل هذه المعلومات القيمة الى أشناس ، ولحق أشناس بانقره وأدركه المعتصم فى اليوم التالى « فلما كان اليوم الثالث جاءت البشرى من ناحية الأفشين يخبرون بالسلامة وانه وارد على أمير المؤمنين بانقره . قال : ثم ورد على على المعتصم الافشين بعد ذلك بيوم بانقره ـ فأقاموا بها أياما ، ثم صير العسكر ثلاثة عساكر : عسكرا فيه أشناس فى الميسرة ، والمعتصم فى القلب ، والافشين فى الميمنة ـ وبين كل عسكر وعسكر فرسخان . وأمر كل عسكر منهم أن يكون له ميمنة وميسرة وأن يحرقوا القرى ويخربوها ويأخذوا من لحقوا فيها من السبى فيما بين انقرة الى عمورية وبينهما سبع مراحل» .

وبدأ حصار **عمورية** فى ٦ رمضان / أول أغسطس بعد تخريب انقرة فى الطريق «فقسمها أمير المؤمنين بين القواد كما تدور : صير الى كل واحد منهم ابراجا منها على قدر كثرة أصحابه وقلتها وصار لكل قائد منهم ما بين البرجين الى عشرين برجا وتحصن أهل عمورية وتحرزوا » . وقد أوفد تيوفيل رسولا يطلب الصلح « فى أول ما نزل المعتصم على عمورية» كما يذكر الطبرى ، وهذا عرض الامبراطور حسب رواية اليعقوبى «فأوفد طاغية الروم من قبله وفدا الى المعتصم يقول ان الذين فعلوا بزبطرة ما فعلوا تعدوا أمرى ، وأنا ابنيها بمالى ورجالى وارد من أخذ من أهلها ، وأخلى جملة من فى بلد الروم من الاسارى ، وابعث اليك بالقوم الذين

فعلوا بزبطرة على رقاب البطارقة » • ورفض الخليفة الصلح ، ولم يأذن الرسول الروم فى اعوده حتى انجز فتح عموريه • وكانت عموريه موطن الاسرة البيزنطية قد استعدت لمواجهة الحصار فدعمت الأسوار وحفرت الخنادق ، وتراجع الامبراطور الى درولیه Dorylaion يسابع ابناء المعركه. وابتدأت المناوشات بتبادل قذف الاحجار والسهام ، فقتل كثيرون • وهنا تذكر الروايات العربية والبيزنطية نبأ خيانة فى معسكر الروم ، ويذكر الطبرى ان الخائن كان مسلما قد أسره الروم وتنصر « فلما رأى أمير المؤمنين ظهر وصار الى المسلمين ، وأعلمه ان موضعا من المدينة حمل الوادى عليه من مطر جاءهم شديد ، فحمل الماء عليه فوقع السور من ذلك الموضع فكتب ملك الروم الى عامل عمورية أن يبنى ذلك الموضع فتوانى •• حتى كان خروج الملك من القسطنطينية فبنى وجه السور بالحجارة حجرا حجرا وصير وراءه من جانب المدينة حشوا ثم عقد فوقه الشرق »،وهكذا بدا ظاهر السور سليما أمام عين(امبراطور) واستترت نقطة ضعف خطيرة أرشد المسلمين اليها هذا الرجل • « فأمر المعتصم فضرب مضربه في ذلك الموضع ، ونصب المجانيق على ذلك البناء ، فانفرج السور من ذلك الموضع • فلما رأى أهل عمورية انفراج السور علقوا عليه الخشب الكبار ـ كل واحدة بلزق الاخرى فكان حجر المنجنيق اذا وقع على الخشب تكسر ، فعلقوا خشبا غيره وصيروا فوق الخشب البراذع ليترسوا السور • فلما ألحت المجانيق على ذلك الموضع انصدع السور»• وأراد ياطس (آيتيوس)والخصى (تيودور كراتيروس Theodore Krateros الذى أرسله تيوفيل للدفاع عن المدينة أعلام الامبراطور بنبأ الثغرة والعزم على الانسحاب ، فأرسلا رسولين أحدهما يتقن العربية ، ولكنهما وقعا فى أيدى المسلمين ، وتذكر الروايات العربية انهما أسلما بعد أن نفحهما الخليفة من عطائه ، وأوقفا أمام السور يحملان الكتاب والعطاء سخرية من ياطس . واستمر الحصار « وأمر المعتصم أن تكون الحراسة نوائب، فى كل ليلة يحضرها الفرسان يبيتون على دوابهم بالسلاح وهم وقوف عليها ، لئلا يفتح الباب ليلا فيخرج من عمورية انسان » • وقد أراد الخليفة أن يبتكر فى وسائل الحصار ، فاتخذ مجانيق كبارا يسع الواحد منها أربعة رجال ، وجعلها على كراسى تحتها عجل ، وطرح حشايا من جلد الغنم مملوءة بالتراب فى الخندق لتسير عليه دبابات كبار تسع الواحدة عشرة رجال ، ولكن هذه الحشايا الجلدية تعلقت بالدبابات « وبقى القوم فيها فما تخلصوا منها الا بعد جهد ، ثم مكثت تلك العجلة مقيمة هناك لم يمكن فيها حيلة حتى فتحت عمورية ، وبطلت الدبابات

والمنجنيقات والسلاليم وغير ذلك حتى أحرقت» • وتتابع القواد على القتال يوما بعد يوم : اشناس ، وكان الموضع ضيقا فلم يمكن القتال واكتفى بالرمي بالمجانيق الكبار ، فالافشين وقد أثنى المعتصم على الحرب فى يومه ، وفى اليوم الثالث كانت النوبة على جند الخليفة « ومعهم المغاربة والاتراك ، والقيم بذلك ايتاخ • فقاتلوا فاحسنوا واتسع لهم الموضع» •

وتذكر الرواية العربية هنا حادثا غريبا لقائد رومي يسمى (وندوا)ـ تقول الرواية ان تفسيره بالعربية ثور ـ وكان موكلا بموضع الثلمة « وكان قواد ملك الروم عندما نزل بهم عسكر المعتصم اقتسموا البروج ، لكل قائد وأصحابه عدة أبرجة» • ونظرا لتركيز العرب هجومهم على موضع الثلمة استمد القائد الروم ليعينوه على موضعه بعد أن كثر جرحاه «فقالوا سلم السور من ناحيتنا ، وليس نسألك أن تمدنا، فشأنك وناحيتك فليس لك عندنا مدد • فاعتزم هو وأصحابه على أن يخرجوا الى المعتصم ويسألوه الامان على الذرية ، ويسلموا اليه الحصن بما فيه من الخرثى والمتاع والسلاح • وأمر أصحابه ألا يحاربوا حتى يعود اليهم ، فخرج حتى وصل الى المعتصم فصار بين يديه والناس يتقدمون الى الثلمه وقد أمسك الروم عن الحرب ، حتى وصلوا الى السور • فدعا المعتصم بفرسه فحمله عليه ، وقابل حتى صار الناس معهم على حرف الثلمة وعبد الوهاب بن على بين يدى المعتصم ، فأومأ الى الناس بيده ان ادخلوا ، فدخل الناس المدينة • فالتفت (وندوا) وضرب بيده الى لحيته وقال : جئت أريد أن أسمع كلامك وتسمع كلامى فغدرت بى ••» ويشك بيورى فى امتناع الروم عن امداد هذا الرجل ، ويذكر ان الوفد الذى قابل المعتصم كان يتألف من بطريق عمورية وثلاثة من الضباط فيهم هذا الرجل الذى يدعى بويدتزس Boiditzes وقد طلب الخليفة استسلاما بلا قيد ولا شرط فعاد الوفد ادراجه وانفرد بويدتزس وحده بالرجوع الى المعتصم للاتفاق • والواقع ان مصير عمورية كان محتوما بعد تهدم سورها، وقد أجزل الخليفة للرجل العطاء ، ودخل العرب عمورية فى ١٧ رمضان/ ١٢ أغسطس • وكان آخر قتال فى كنيسة كبيرة فى زاوية عمورية ، فأحرقها المسلمون • وحاول ياطس أن ينخفى ليجد سبيلا للفرار ، ولكن صعد المسلمون البرج فأسروا ياطس وغيره مثل تيودور الخصى « فأمر المعتصم (بسيل) الترجمان أن يميز الاسرى فيعزل منهم أهل الشرف والقدر من الروم » وأذن لرسول امبراطور الروم بالعودة • وهناك روايات تزعم آن خائن عمورية قد اعتنق الاسلام وسعى فى تخذيل قومه من أسرى الروم ليسلموا مثله ، ولكنهم أبوا فقتلوا • وتذكر اسطورة ان الخائن

لقى نفس المصير اذ رأى الخليفة انه ان كان قد خان قومه فهو بخيانة المسلمين أولى ٠

وادت البنود البيزنطية دورها فى حماية الدولة ضد الهجوم الاسلامى ، فقامت منطقة حدود كبادوكيا بمواجهة السرية الاستطلاعية واحتمى الامبراطور البيزنطى ببند الابسيق حيث تقهقر الى درولية Dorylaion **بعد تقدم الجيش الاسلامى نحو عمورية ، وكان يريد أن تقوم انقرة وعمورية بدوريهما فى مواجهة القوات الزاحفة ، وعلى هذا النحو تستهلك البنود البيزنطية على التوالى طاقة الجيوش المهاجمة ،** وتتعاون على النيل منها فى أكثر من ميدان ، حتى لا تخلص الى القسطنطينية ـ اذا قصدت ذلك ـ الا وهى منهكة غاية الانهاك « وهكذا وقفت البنود البيزنطية بآسيا الصغرى خطا دفاعيا مرنا منيعا ضد التقدم الاسلامى ، تصمد له حينا وتنثنى أمامه حينا لتقذف به فى الوقت المناسب الى الوراء ، أو يتراجع الخط الدفاعى بانتظام لاجهاد المسلمين واستنفاذ قواهم ٠ كل ذلك دون أن تنال الاغارات الاسلامية المتكررة من تلك البنود أو تعرقل حياتها ، اذ ظل سكانها يحتملون مصائب الغزو فى صبر وجلد ثم يقبلون على فلاحة اراضيهم وبساتينهم بعد انتهاء كل غارة دون بأس أو ضجر ٠٠»

وفى طريق العودة بلغ المعتصم ان الامبراطور البيزنطى « يريد الخروج فى أثره أو يريد التعبث بالعسكر ، فمضى فى طريق الجادة مرحلة ثم رجع الى عمورية وأمر الناس بالرجوع ، ثم عدل عن طريق الجادة الى طريق وادى الجور ففرق الاسرى على القواد ٠٠ فساروا فى طريق نحوا من أربعين ميلا ليس فيه ماء فكان كل من امتنع من الاسرى أن يمشى معهم لشدة العطش ضربوا عنقه ، فتساقط الناس والدواب وقتل بعض الاسرى بعض الجند وهرب ٠ وكان المعتصم تقدم العسكر ، فاستقبل الناس ومعه الماء قد حمله من الموضع الذى نزله ، وقال الناس له : ان هؤلاء الاسرى قد قتلوا بعض جندنا ، فأمر عند ذلك بسيل الرومى بتمييز من له القدر منهم ، ثم أمر بالباقين فاصعدوا الى الجبال وأنزلوا الى الاودية فضربت أعناقهم جميعا ـ وهم مقدار ستة آلاف رجل قتلوا فى موضعين بوادى الجور وموضع آخر ٠ **ورحل المعتصم يريد الثغر حتى دخل طرسوس ،** وكان قد نصب له الحياض من الادم حول العسكر من الماء الى العسكر بعمورية ٠٠ » وهكذا كانت نهاية هذه الغزوة التى استغرقت خمسة وخمسين يوما ٠ وقد هدمت أسوار عمورية وأبوابها ، وأمر المعتصم

بترميم **زبطرة وتحصينها واقامة حصون أخرى حولها** (طبارجي والحسينية وبنى المومن وابن رحوان)، ويصف الادريسي اسوار عمورية أيامه بأنها متينة ، في حين رآها أبو الفدا بعده خرابا • وقد أجرى الجيش الاسلامي أثناء رجوعه بعض عمليات صغيرة من ذلك ان المعتصم حين ارتحل من عمورية يريد الثغر « وجه الافشين ابن الاقطع خلاف طريق المعتصم ، وأمره أن يغير على موضع سماه له، وأن يوافيه في بعض الطريق»• وتذكر الروايات غير العربية أن تيوفيل **أرسل الى المعتصم البطريق باسيل** يعرض مائتي قنطار فداء للأسرى ومعه بعض أقربائه وخاصته ، فأجاب الخليفة ان النفقات بلغت ألف قنطار ، واشترط تسليم (منويل) الذى كان قد لجأ للعرب وخانهم وعاد الى قومه وصار دمستق الاسكول ومن يسمى نصر ، وكان مع المبعوث البيزنطي رسالة أخرى ذات لهجة تهديدية عند رفض الرسالة الودية وحين قرأها المعتصم رد الهدايا مغضبا •

صار الطريق أمام المسلمين بعد انتصارهم في عمورية مفتوحا لمواصلة الزحف الى القسطنطينية ، ولكن المعتصم كان قد استهل عهده بما يدل على انصرافه عن هذه الوجهة اذ أوقف سنة ٢١٨ هـ بناء الطوانة الذى كان قد شرع فيه المأمون وأمر بهدم ما كان قد بنى « وحمل ما كان من السلاح والآلة وغير ذلك مما قدر على حمله ، وأمر بصرف من كان المأمون اسكن ذلك من الناس الى بلادهم» • ونستطيع على هذا الضوء أن نرى في حملة عمورية **حملة تأديبية قامت بقصد محدد وغرض مؤقت ،** لكن مع ذلك يذكر المسعودى أن المعتصم «أراد المسير الى القسطنطينية والنزول على خليجها والحيلة في فتحها برا وبحرا ، فاتاه ما أزعجه وازاله عما كان عزم عليه من أمر العباس بن المأمون وأن ناسا قد بايعوه وأنه كاتب طاغية الروم » • على أن **هناك غزوات برية أعقبت عمورية ، وقد قام بها : سعيد محمد بن يوسف امير الشام والجزيرة وبشير أمير المصيصة الذى اتيح له ان يهزم نصر ويهلكه رغم تفوقه أول الأمر ويذبح الخرمية في جيشه** ـ كما يقول ميشيل السورى ففرح الخليفة بموت نصر لانه كان مخرب زبطرة ، وتقع هذه الحملة سنة ٨٣٩ أو ٨٤٠ م ولعل منها ماتسرب الى اسطورة البطال • **لكن الروم نجحوا في حملة لهم سنة ٨٤٠ ـ ٨٤١م فاحتلوا الحدث ومرعش وأرض ملطية بينما كان المعتصم متفرغا للافشين واصحابه ولعل العام السابق قد شهد غارة لاسطول الروم على ساحل الشام امام انطاكية** ، ويقول فازيلييف « ولنا أن نفترض انه أرسل الى سوريا في وقت حصار عمورية رجاء التخفيف عنها • ولا يذكر أحد هذه الغزوة البحرية الا ميشيل السورى ـ وهو يقول : قصد الروم عندئذ

انطاكية ونزلوا ميناء سلوقية ، ونهبوا التجار وأسروا ثم ركبوا سفنهم . فلما بلغ الامر ابا اسحق آمر ببناء حصن وسط الميناء » غير ان البلاذري يروي ان محمد بن يوسف المروزي المعروف بأبي سعيد « بنى حصنا بساحل انطاكية بعد غارة الروم على ساحلها في خلافة المعتصم » .

ويذكر بيوري ان هذه الظروف دعت المعتصم الى قبول **تبادل الاسرى في سنة ٨٤١م** ، وقد أبدى الخليفة استعداده لرد اسيرين رومين مكان كل أسير مسلم اذا أعاد الروم أسرى المسلمين دون أن يسألوا مقابلا ، كما أبدى استعداده لمجاوزة أي مدى يصل اليه الروم في هذا السبيل ، ولكن لم يشمل هذا الفداء ياطس (آيتيوس) وزملاءه ويقول فازيلييف « ونحن نرى ان هذا التبادل المزعوم عام ٨٤١م لم يقع ، ويلاحظ فابل عن حق ان العرب سجلوا أمر الافدية تسجيلا دقيقا ، ولم يذكروا غير فداء سنة ٢٣١ هـ / سنة ٨٤٥ م . فمن الراجح ان الامبراطور لم يغتنم اذن هذه الوفادة ليطلب ولو بعض اسرى عمورية وخاصة قريبه قسطنطين بابوتزيكوس ، ونحن نعلم ان شهداء عمورية قتلوا في ٦ مارس سنة ٨٤٥ م ، ثم ان المعتصم رغم تبادل الهدايا عام ٨٤١ م كان يفكر منذئذ في هجوم يبلغ به هذه المرة القسطنطينية ، ووقع هذا الهجوم فعلا على يد الى أبي دينار وانتهى بالفشل بعد موت تيوفيل والمعتصم سنة ٨٤٢م» .

وقد قام تيوفيل على اثر معركة عمورية بايفاد الرسل الى البندقية وبلاط ملك الفرنجة لويس التقي والخلافة الاموية بالاندلس ، ولم تثمر هذه الوفادات نتائج ايجابية ، باستثناء ارسال اسطول من البندقية لمهاجمة الامير العربي في تارنت بايطاليا الجنوبية وقد كان مصيره الهزيمة(١٩٦) .

لم ينعم المعتصم بنصرة في عمورية ، فقد نغصت عليه الفتن طريق

---

(١٩٦) الطبري جـ ١٠ ص ٣٠٤ ــ ٥ ، ٣٣٤ : ٣٤٣ ، ٣٤٤ ــ ٥ ابن الاثير جـ ٦ ص١٧٦ـ ١٨٠ ، المسعودي : مروج الذهب جـ ٢ ص ٣٥٣ ــ ٤ ، التنبيه والاشراف ص ١٤٤ ــ ٥ ، اليعقوبي جـ ٣ ص ٢٠١ ــ ٢ ، البلاذري : فتوح البلدان ص ١٧٤ ، ٢٠٠ ، الفخري ص ١٧١ ، فازيلييف : العرب والروم ــ ترجمة دكتور شعيرة ص ١٢٤ ، ١٦٥ ، ص ١١٣ ــ ٤ (الهامش ، ذيل بقلم جريجوار ص ٣٦١ : ٤ ، ذيل كنار ص ٣٥٩ ــ ٣٦٠ ،
Bury : Hist. of the East. Rom. Emp., pp. 121-2, 127, 253-4, 259, 276.
حتى : تاريخ العرب جـ ٢ ترجمة نافع ص ٣٧٢ ــ ٣ ، دكتور العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ص ٨٢ : ٥ ، دراسات في التاريخ البيزنطي : المجلة التاريخية المصرية م ٢ ع ٢ اكتوبر ١٩٤٩ ، د . مؤنس : صور من البطولة ص ١٤٧ : ١٥٢ .

عودته • وبدت البوادر حين اثنى **عمرو الفرغاني** على قتال الافشين في عمورية أمام الخليفة ، فسمعها اشناس ، فعنفه وكان هو القائد المباشر للقتال في اليوم السابق على يوم الافشين • وحين تداول عمرو مع **احمد بن الخليل في** ذلك « قال ان **العباس بن المأمون** قد تم أمره وسنبايع له ظاهرا ونقتل المعتصم وأشناس وغيرهما عن قريب » ، وتصحه بالانضمام الى المتآمرين • وقد **استاء عجيف بن عنبسة** لاطلاق يد الافشين دونه فاتجه الى العباس بن المأمون الذى ظهر خطره على خلافة المعتصم منذ بدايتها اذ بايعه الجند بالخلافة بعد وفاة أبيه المأمون « فأرسل أبو اسحق الى العباس فأحضره فبايعه ثم خرج الى الجند فقال : ما هذا الحب البارد؟ قد بايعت عمي وسلمت الخلافة اليه فسكن الجند» • وقد استثار عجيف مطامع العباس فى الخلافة ، وصير العباس الحارث السمرقندى سفيره لدى القواد يرتب لمن ينضم الى المؤامرة دوره فيها والشخص الذى يقتله • وأشار عجيف على العباس أن يثب على المعتصم في الدرب ـ وهو في قلة من الناس بحكم ضيق الممر ، ويقفل الناس دون غزو فيفرحوا بانصرافهم، فأبى العباس حتى لا يفسد الغزاة • وكرر عليه عجيف القول بعد فتح عمورية ، فرأى العباس أن يؤجل هذا لحين مرور المعتصم في الدرب عند العودة • وأحس المعتصم بوادر الفتنة عند نهب المتاع أثناء بيع الغنائم « فوكل بالمقاسم قواده ••• ووكل مع كل قائد من هؤلاء رجلا من قبل أحمد بن أبي داود يحصي عليه ••• ولما كان يوم ايتاخ قبل أن يرتحل المعتصم منصرفا وثب الناس على المغنم الذى كان ايتاخ على بيعه ، وهو اليوم الذى كان عجيف وعد الناس فيه أن يثب بالمعتصم • فركب المعتصم بنفسه ركضا وسل سيفه ، فتنحى الناس عنه من بين يديه وكفوا عن انتهاب المغنم ، فرجع الى مضربه » • وكان خبر المؤامرة قد تسرب الى المعتصم عن طريق غلام له من قرابة الفرغاني • وكان اشناس قد علم باتجاه الفرغاني وأحمد بن الخليل الى عسكر الافشين ، فلما سئلا عن قصدهما قالا انهما رغبا فى الشراء من سبى ابن الاقطع الذى عاد به من غارته على الموضع الذى وجهه اليه الافشين بعد عمورية • فغضب اشناس وطلب من المعتصم تأديبهما فحنقا عليه وطلبا التحول الى قائد آخر • فما كان من اشناس الا أن حبسهما ، ثم بلغه نبأ المؤامرة عن طريق أحمد ابن الخليل ، فقبض على كبار المتآمرين • وأقر الحارث السمرقندى لكن المعتصم أطلقه « وخلع عليه ولم يصدق على أولئك القواد لكثرتهم » ، وعفا عن الحارث لصدقه الخبر ، أما العباس فقد استدرجه المعتصم فأطلقه ومناه وأسكره « ثم دفع العباس الى الافشين ، ثم تتبع المعتصم أولئك

القواد فأخذوا جميعا » • فجرى تعذيب المتآمرين بالتجـويع والشمس والقيد والسياط ، فقتلوا شر قتلة : العباس بمنبج ، والفرغاني بنصيبين، وعجيف بباعيناثا ، وابن الخليل بسامرا ـ وغيرهم • وحبس ولد المأمون من (سندس) أم العباس (١٩٧) • ثم واجه المعتصم سنة ٢٢٤ هـ فتنة المازيار ، وفي السنة التالية فكر الافشين في قتل الخليفة بالسم أو هروبه هو الى بلاد ارمينية ثم الخزر حين أحس بتغـير الخليفة عليه • **وهكذا اصـطدم المعتصم بقـواده في حمـلات الثغـور وغيرها وبرجال دولته ،** وجاء خروج المبرقع اليماني الى فلسطين في السنة التي توفي فيها الخليفة « وبعد المعتصم لم يقم العرب من جانبهم بهـجوم خطير ، فكانت أهداف الجيوش التي أرسلها أخلافه عبر الحدود ترمي الى الغارة لا الى الفتح ، ولم يقع صدام ذو أهمية أو كان له أثر عميق في البلاد • **ومع ذلك فطوال القرن التاسع الميلادي كانت العلاقات العدائية برغم قلة اهميتها لاتنقطع ، بل كانت تقع كل عام تقريبا على الحدود الشرقية • وكانت أمثال هذه الغارات تدرب الجند وتعود باسلاب كبيرة ، ولكن الروح العربية القومية والباعث الديني اللذان كانا يحركان حملات الاسلام من قبـل قد اصبحا اقل اهمية** ، ونم الضعف الذي اعترى الدولة الاسـلامية عن نفسه في علاقات المسلمين الخارجية» (١٩٨) •

دبيب الوهن :

الواثق (٢٢٧ : ٢٣٢ هـ / ٨٤٢ : ٨٤٧ م)
المتوكل (٢٣٢ : ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ : ٨٦١ م)

لم يكن الواثق بمسـتطيع أن يستفيد من انتصارات أبيه المعتصم فقد واجهته أزمات داخلية خطيرة في جهاز الدولة الاداري وفي فتن الأهلين في قلب الدولة وأطرافها على السواء •

لقـد تتابعت **الفتن في الشام** ففي سـنة ٢٣١ هـ جرى بين الامير مانا **والمردة** حروب كثيرة في جبل لبنان ، فانتصر عليهم ولقب بالغضنفر أبي الاهوال ـ كما ينقل كردعلي ، وحثه على متابعة الحرب خاقان التركي

(١٩٧) الطبري حـ ١٠ ص ٣٠٤ ، ٣٤٠ ـ ١ ، ٣٤٢ ـ ٣٤٣ ، ٣٤٣ : ٨ ، ابن الأثير حـ ٦ ص ١٦١ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٠ : ٢ ، اليعقوبي حـ ٣ ص ٢٠٢ ، المسعودي : مروج الذهب حـ ٢ ص ٣٥٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب حـ ١ ص ٦٨ ـ ٩ ، فازيليف العرب والروم ـ ترجمة دكتور شعيرة ص ١٤٧ ـ ٨ ، ١٥٢

(١٩٨) حتى : تاريخ العرب ترجمة نافع حـ ٢ ص ٣٧٣